قطـــرات

من

فيـض الـرحمـن

بحوث فى الدين والحياة

الجزء الأول

تأليف
الشيخ / عبد العزيز محمد شاهين
المدير العام للدعوة والإعلام الدينى بالأزهر
وعضو لجنة الفتوى بالأزهر
(سابقاً)



للثقافة والعلوم

الموضـــــوع : خواطر إيمانية وفيوضات ربانية .
إسم الكتـــاب : قطرات من فيض الرحمن .
التـــأليف : الشيخ / عبد العزيز محمد شاهين .
الصف التصويرى : الندى للتجهيزات الفنية .
عدد الصفحات : 200 صفحة .
قياس الصفحة : 17×25
الطبـــعـــة : الثانيـــه
التوزيع والنشر : دار البشير للثقافة والعلوم .

طنطا ـ 23 ش الجيش عمارة الشرق للتأمين
تليفاكس040/3305538 تليفون 040/3316316

الإيداع القانونى : 2003 / 2579
الترقيم الدولى : I. S. B. N. 977 - 278 - 243- x

1427 هـ
2006 م

E-mail / info@Dar-albashir.com
Dar_elbasheer@hotmail.com

ما من شيء يهم الإنسانية
ويشغل بالها إلا وللإسلام فيه
مقال وبيان
وما من شيء يلامس حياة
الأمة الإسلامية إلا وللإسلام فيه
توضيح وتبيان

قال تعالى :

﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: 153] .

وقال تعالى : ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾

[يونس: 32] .

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن نهج نهجه، وسار على طريقه، فى ثقة وعزم وقوة وإيمان.

وبعد

فمن خلال عملى فى حقل الدعوة كداعية قرابة الأربعين عامًا، رأيت الإسلام فى شتات وغربة، والمسلمون فى فتن وفرقة، والدعاة إليه كأنهم ينفخون فى رماد، فهم فى واد والناس فى واد، قال تعالى: ﴿**إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ**﴾(1).

رأيت الإسلام يرمى من كل ناعق، والعواصف العاتية تهب عليه من كل جانب، أعداؤه لم ينسوا تاريخه فخافوا من قيامه فعملوا على هدم أركانه، وتشديد وثاقه، وتفريق أتباعه، وأما أتباعه فاحتوتهم الجاهلية بغبائها من كل أقطارها، فعزفوا عنه، ونسوا ما ذكروا به، ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها.

رأيت الإسلام فى الأمة شتيت لا يصلح، والعقيدة عندهم شؤمى لا تنفع، ورأيت المسلمين فى كساد خلقى، وفساد عملى، راجت بينهم البدع والخرافات فعبدوا الهوى والشيطان، وخافوه كخوفهم من الله أو أشد، اعتقدوا أن الجن سلط عليهم، يرصد أعمالهم، ويحصى أفعالهم، ويسيرهم كيفما شاء وهو على حد اعتقادهم يستطيع أن يتجسد الإنسان، ويمتطيه كالحيوان، يضره وينفعه، ويمرضه ويصرعه، ويقيمه ويقعده، يدله على المخبوء أينما كان، ويطلعه على بعض الغيبيات، وإذا اعتقد المسلم هذا الاعتقاد فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، وتجرد من الإيمان كما يتجرد العريان من الثياب، والله تعالى يقول: ﴿ **إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلاً** ﴾(2).

---

(1) ص: 24.

(2) الإسراء: 65.

وفى تصريح صريح من الشيطان أمام الله والناس يوم القيامة يقول الله تعالى على لسان الشيطان : ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(1) .

إن الله تعالى لم يخلق الخلق لهواً ولا عبثًا، ولم يخلقهم ويتركهم سدىً، قال تعالى : ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾(2) . . بل خلق سبحانه عالم الجن وشرع له قانونه الذى يحكمه، وخلق عالم الإنس وشرع له قانونه الذى يحكمه، ومن انحرف أو حاد عن هذا الطريق لقى الجزاء والمصير الذى أعده الله للمعتدين ، قال تعالى : ﴿ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾(3) .

رأيت الناس: ظنوا الحياة فوضى لا رقيب فيها ولا حسيب وما هى إلا أرحام تدفع ، وقبور تبلع ، وما بينهما يفعل الإنسان ما شاء ـ كما فعل الحجاج وغيره ـ فلا يعدل فى قضية، ولا يقسم بالسوية، ويأكل أموال الناس بالباطل، لذلك فسدت الحياة، واختل ميزان الكون وكما قال رب العزة: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾(4).

لذلك ولتلك العلل، وهاتيك الأدواء، تخلى الله عنهم ، وجعل بأسهم بينهم شديد ، وسلط عليهم عدواً من غيرهم ، فأذاقهم ألواناً من العذاب ، فهذه أفغانستان، ومن قبلها البوسنة والهرسك ، ومن بعدها العراق والشيشان ، والبقية تأتى، ويهدد الطاغوت الأمريكى أى دولة مسلمة تتمسك بالإسلام الصحيح فهى فى نظره إرهابية ، من حقه القضاء عليها ، ثم يُؤَمْرِك ما بقى من إسلامها .

إذا لابد للمسلمين أن يفهموا دينهم الصحيح ، ويبعدوا عنه الخرافات

(1) إبراهيم: 22.
(2) المؤمنون 115 .
(3) النساء: 14 .
(4) الروم: 41..

والأساطير ، وأن يبدلوا من سلوكهم ، ويغيروا ما بداخلهم ، قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[1] .

لابد للمسلمين أن يقابلوا التحدى بتحد أقوى منه ، والفكر بفكر أعمق منه ، وإن مخازن الهيئة التشريعية الإسلامية ، فيها من العلوم والمعارف والأخلاق ما به تستطيع أن تدحض أى فكر شرقى أو غربى بالحجة والإقناع .

لذلك ولكل هذه السلبيات حاولت جاهدا أن أسعى مع الساعين ، لإزالة هذا الغبش ، ومحو هذا العفن الذى لحق بالأمة .

هذه القطرات الندية ، والخواطر الايمانية ، القيتها فى المساجد والنوادى ، وقاعات المحاضرات ، ونشرت بعضها فى المجلات ، الاسلامية فاشار على بعض الاصدقاء أن أجمعها فى كتاب لتكون الفائدة بها أعم فاستخرت الله تعالى وجمعت بعضها فى هذا الجزء ، وان شاء الله تعالى سيليه الجزء الثانى ، وأرجو من الله عَزَّ وجل أن ينفع به وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم .

والحمد لله أولاً وآخراً ، وسلام على عباده الذين اصطفىٰ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المؤلف

عبد العزيز محمد شاهين

المدير العام للدعوة الإسلامية بالأزهر

وعضو لجنة الفتوى بالأزهر

«سابقاً»

فى 12 ربيع أول 1424هـ

الموافق 13 مايو 2003 م

(1) الرعد : 11 .

الباب الأول

علاقة الجن بالإنس

هذا المبحث يتضمن العناصر الآتية:

- الإنسان من أغرب الكائنات وأعجب المخلوقات.
- رد على الخرافات التى تدور حول الجن.
- أسئلة حائرة تحتاج إجابات.
- ما هو الصرع من الناحية العلمية الطبية ؟
- تعريف الجن فى ضوء ما قررته الشريعة.
- أصناف الجن. - هل يرانا ونراه ؟
- هل يدخل الجن جسد الإنسان ؟
- الأحاديث التى يفيد ظاهرها دخول الجن جسد الإنسان.
- مناقشة الأحاديث.
- هل يعمل بهذه الأحاديث فى العقائد والأحكام ؟
- المس. وكيف مس الشيطان نبى الله أيوب ؟
- الخلاصة.

علاقة الجن بالانس

الإنسان مخلوق عجيب

الإنسان من أعجب الكائنات، وأغرب المخلوقات، حوى من الأسرار ما أدهش العلماء وحير الباحثين، فيه عوامل البناء والقوة التى لا تحد، وفيه معاول الهدم والضعف التى لا تعد، لديه المقدرة على أن يتسفل إلى أسفل الدركات. ولديه المقدرة على أن يترقى إلى أعلى الدرجات، لقد وصل من القوة الإيمانية والعقلية إلى حد أن عبد الله كأنه يراه، وبحيث لا يراه ربه حيث نهاه، ولا يفقده حيث أمره، فرآه فى كل ما يراه.

ووصل من الجهل والغباء إلى حد أن هانت عليه إنسانيته، فعبد الصنم، وسجد للحجر، وماذا بعد هذا الحمق صنع معبودا من العجوة ثم جاع فأكله، ومازال هذا الغباء ممتدا حتى رأيناه فى عبادة الجن، فبعض الناس وقعوا صرعى أمام الجن، فخافوه كخوفهم من الله أو أشد، ألغوا عقولهم، شلوا تفكيرهم، صمُّوا آذانهم، وإنقادوا وراء هذا الوهم الكاذب الذى صنعه الدجالون والكذابون.

رد على الخرافات التى تدور حول الجن:

كان لابد من تحديد المسار والإجابة القاطعة عن هذه التساؤلات:

هل للشيطان علينا من سبيل؟

هل للشيطان سلطان علينا؟

هل حقا سلطة الله على عقولنا وأجسادنا؟ حتى صرنا لا مخرج ولا فكاك لنا من هذا الهم؟ هل يدخل الشيطان أجسادنا؟وهل يقدر على أن يصرعنا ويقعدنا؟ وكيف مس الشيطان سيدنا أيوب فى قوله تعالى: ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾[1]؟ أسئلة وأسئلة رأيت لزاما أن نجيب عليها بما فتح به المولى علينا، وأن نفند المعتقدات الباطلة.

---

(1) ص: 41.

أولاً:

من البلايا الطامة التى لحقت بالأمة الإسلامية، ومن النكبات التى نزلت بساحتها، ما نراه وما نسمعه من الجرى وراء الخرافات والأوهام، والمعتقدات الخاطئة التى تدور حول الجن، ومدى تأثيره حتى اعتقد البعض أن الجن لديه المقدرة الفائقة على أن يتجسد الإنسان، ويستطيع أن يضره وأن يمرضه، وأن يقعده عن العمل، ويدافعون عن هذا المعتقد الخاطىء الذى ورثوه عن الأباء والأجداد كدفاعهم عن دينهم أو ربما أشد.

واستغل الدجالون، والكذابون، والمشعوذون هذا المعتقد لبلبلة الأفكار، ولتحقيق ما يراودهم من أمانى، وأحلام، فروجوا له، واختلفوا حوله الخرافات والأساطير، وفتحوا باب القصص المثير الذى يستهوى العامة، وتتشوق له نفوسهم، وساعدهم على ذلك اختلاف العلماء، والباحثين، والمفكرين حول هذا الموضوع فلقد تشعبت آراؤهم، وتضاربت أقوالهم، وغلبت عليهم أهواؤهم، فمنهم المؤيد والمعارض، ومنهم الجازم بالقبول والرافض، وأصبح الناس حيرى بين الحقيقة والخيال بين المعقول واللامعقول حتى تخلخلت العقيدة، واهتز الإيمان فكان لابد من كلمة لنفى هذا الركام العفن.

ثانياً:

من منطلق خبرتى فى العمل «كداعية إسلامى» نظرت فوجدت العقيدة شؤمى لا تنفع، ووجدت الإيمان شتيت لا يصلح، والفراغ الدينى سمة المتمسلمين حتى أشفقت مما رأيت، وأفزعنى أن بعض الشباب يعتقد أن الجن يتجسد الإنسان وأثمر نزغ الشيطان فى هؤلاء الفتية، ومدار هذا الاعتقاد أن الجن مطلق السراح، يفعل ما يشاء، فمن الممكن أن يصيب الإنسان فى أى زمان وفى أى مكان، فى غدوه ورواحه، فى ذهابه وإيابه وكأن الجن يتربص بنا الدوائر حتى أصبحنا وأمسينا ونحن نخاف الجن، ونترقب أن يصيبنا فى أى لحظة.

فمثلاً لو دخلنا غرفة مظلمة نعتقد أنها مملوءة بالجن، وإذا سرنا فى طريق مظلم نعتقد أن الجن على حافتى الطريق، وإذا مررنا ببيت مظلم فهو مسكن الشياطين، وتمكلنا الخوف، وتحكم فينا، وسيطر على عقولنا، وأفكارنا، حتى نقلنا العدوى إلى أولادنا الصغار، وأصبح الولد أو البنت يخاف أن يخرج من باب الغرفة خوفاً من

العفاريت، ونحن الذين زرعنا فى قلوبهم الخوف وهذا معتقد باطل . . باطل . . وعلى الآباء والأمهات والعلماء تقع التبعة .

ثالثاً:

إن الجن من عالم الغيب والإنسان دائماً مولع بالغيب، دائماً يبحث عن المجهول من هنا تتلهف النفوس لمعرفة أخبار الجن فإذا لم يتوصلوا لمعرفته اختلقوا حوله الأكاذيب، وراجت بينهم الأساطير عن أخبار الجن، ومدى تأثير الجن ومقدرته، على جلب النفع ودفع الضر، واتخذت النفوس الضعيفة سنداً لضعفها بفعل الجن ، فمن فشل فى التعليم، أو فى الزواج، أو فى العمل، أو تراكمت عليه الهموم، أو حرم من مغنم، كل هؤلاء وأمثالهم يمسحون خطأهم فى الشيطان ويردون إليه كل ما أصابهم من كوارث وهموم فلقد حل بجسدهم شيطان أو أصابهم مس من الجان ، ومن هنا انتشر الدجل، وتخصصت فيه فئة أوهمت الناس أنهم على صلة بالجان وانقاد لهم السوقه والدهماء، والأدهى والأمر سقوط بعض أساتذة الجامعات فى هذا المستنقع العفن .

والسؤال:

إذا كان هذا ممكنا فى عصور الظلام والتخلف، فهل فى الإمكان أن يحدث هذا فى عصرنا؟ بالرغم من التقدم العلمى الرهيب الذى طوع الإنسان فيه المستحيل فأتى بالخوارق الصناعية ، وألغى قانون الجاذبية الأرضية، وبث الأقمار الصناعية حول الكرة الأرضية، و . . . و . . . . الخ .

ومازال عندنا من يعتقد هذا الاعتقاد المشين ، وإذا ذكر اسم الجن اقشعر بدنه، وتغير لونه، وصك وجهه، واستعاذ بالله وحوقل .

رابعاً:

إن هذا الاعتقاد المشين لا ينشأ إلا فى غيبة الإيمان ، وفقدان العلم ، فإذا غاب الإيمان أصبح القلب وكراً للشيطان يبيض فيه ويفرخ ، وإذا فقد العلم فشا الجهل وسيطر ، وتحكم ، وأصيب الإنسان بالشلل العقلى ، والجمود الفكرى ، وسيطرت عليه الخرافات .

وبالتالى: يصبح سجين همه وغمه، وقعيد بأسه ومآسيه، فالإيمان هو الحاجز القوى لكل هذه المعتقدات وهو الذى يترصد مصايد الشيطان ويدحض كيده ومكره، ولقد وصف الله كيده بالوهن والضعف قال تعالى: ﴿ **فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا** ﴾[1].

بكلمة واحدة يخنس، وبتسبيحة واحدة يفر هارباً، فقد روى الإمام البخارى بسنده الصحيح المتصل إلى النبى ﷺ أن رجلين إستبا عند رسول الله ﷺ: حتى إحمر وجه أحدهما فقال ﷺ: «**إنى أعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**».

وهل أتاك نبأ الشيطان مع سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ألم يقل الرسول الكريم ﷺ له: «**يا ابن الخطاب والذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان سالكًا فجا إلا سلك فجا غير فجك**» رواه البخارى من حديث طويل لسعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنهم أجمعين.

ويقول ابن أبى الدنيا حدثنا أبو شراعة قال: رآنى يحيى بن الجزار وأنا أهاب أن أدخل زقاقا بالليل فقال لى: إن الذى تهاب هو أشد منك فرقًا (بفتح الفاء والراء) أى هو أشد خوفاً منك وفزعا أرأيت أخى المسلم كيف يفر الشيطان من أمير المؤمنين عمر، وكيف يهاب المؤمن ويخافه، وكيف يحذر من المؤمن ويرهبه، ولكنه عندما يضعف الإيمان، ويفتقد العلم هنا تكون الطامة لأن الإنسان يصبح فريسة له؛ وألعوبة فى يديه.

قال عثمان بن أبى العاص قلت: يارسول الله حال الشيطان بينى وبين صلاتى وقراءتى (قال: « **ذاك شيطان يقال له**: «**خنزب** » **فإذا أحسسته فتعوذ بالله واتفل على يسارك ثلاثًا**») قال: ففعلت ذلك فأذهبه الله عنى[2] فمن كانت تدفعه تفله؛ ويخاف من بصقة لهو أهون من أن يركب الإنسان.

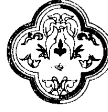
خامســـاً:

لقد حدد القرآن الكريم وظيفة الشيطان بالنسبة لبنى آدم، ورسم له دائرة محددة

(1) النساء: 76.
(2) رواه مسلم.

لا يتخطاها ولا يتعداها أبدًا ، فإن تعداها أو تخطاها احترق على الفور ، هذه الدائرة هى الإغواء؛ والإيحاء؛ والوسوسة قال الله تعالى على لسان الشيطان وهو يوبخ البشر يوم القيامة : **﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾**[1] .

وقال تعالى : **﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾**[2] فكيف يحتل الجنى جسما ويصرعه رغم أنف صاحبه ؟ وكما يقول الشيخ الغزالى (إن الشيطان لا يملك إلا الوسوسة فلا يتجسد الإنسان ، ولايصرعه ، ولا يقدر أن يصرعه)[3] .



(1) إبراهيم : 22 .
(2) سبأ : 21 .
(3) قذائف الواحد القهار لرئيس جمعية أنصار السنة .

أسئلة حائرة

لماذا لم تظهر هذه الصور فى دول الغرب؟

لماذا لم تظهر الشياطين والعفاريت إلا عندنا؟

لماذا لم تظهر الجن إلا فى دول العالم الثالث؟

ولم تسمع أن الجن (إمتطى) أمريكيًا، أو فرنسيًا ، أو تقمص شيوعيًا ، أو حل ببوذى ، وهم أولى بذلك منا، لأن عندنا القرآن ، وفينا الإيمان ، أما الشيوعى، أو الصهيونى، أو الصابئى ، وغيرهم فلا دين لهم، ولا عقيدة عندهم إن هذه الصورة الشائنة لم تظهر إلا فى الدول المتخلفة دول الفقر، والجهل، والمرض.

إن الشيطان لا يستطيع أن يدخل جسد من ألغى قانون الجاذبية الأرضية، وصنع محطات الفضاء؛ وحاملات الطائرات؛ إن الجان بقوته لايستطيع أن يصرع من صرع القمر فداسه بقدمه وحلل أجزاءه، إنهم فى الدول المتقدمة لا يفكرون فى الجن لأنهم أتوا بما لم يأت به الجن وصنعوا ما لا يقدر الجن على صنعه.

وقبل الكلام عن الجن لابد من كلمة موجزة عن الصرع وذلك من الناحية العلمية الطبية، فما هو الصرع؟ وما هى المفاهيم العلمية الحديثة لهذا المرض؟

تعريف الصرع

يقول الدكور «وليد سرحان» مستشار الطب النفسى [1] : الصُرع مرض عارض ناجم عن إطلاق مؤقت للحركة العصبية فى الدماغ ، وعن أسباب من داخل الرأس أو باقى أعضاء الجسم ، ويتصف الصرع بنوبات محددة ، وتتسم باضطراب فى الحركة أو الإحساس ، أو السلوك ، أو الوعى.

ثم يقول وأكثر أنواع الصرع هو الذى يفقد المريض فيه الوعى ، ويسقط على الأرض ، وجسمه فى حالة تشنج مما يؤدى إلى احتباس النفس وخروج الزبد من الفم وميل لون الجلد إلى الأزرق لانقطاع الأكسجين يلى ذلك حركة انتفاضية فى العضلات تؤدى إلى اهتزاز الجسم بعنف وبعد دقائق معدودة تنتهى النوبة والمريض لا يذكر شيئاً لأنه كان فاقد الوعى ثم ينام بعدها.

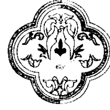
(1) بالمملكة الأردنية الهاشمية.

وأسباب هذا المرض تقع فى الدماغ والجسم ويعتبر مرضًا من الأمراض وله علاجه .

أما ما يرد من حالات قد تسمى صرعًا ، أو كما يقولون : مسًا من الجن فإن ذلك يقع ضمن الأمراض النفسية ، وأخطرها مرض (الفصام العقلى)، وهو يشمل حالات كثيرة وفى هذا المرض يضطرب التفكير والإدراك فيرى المريض أشياء غير موجودة وربما يسمع أصواتا ، وربما تحدث هلوسة بصرية أو سمعية .

ثم يقول : ونعرف جيدًا من خلال البحوث الطبية أن فى هذا المرض اضطرابًا فى كيماويات الدماء يمكن علاجها ببعض العقاقير ويصل انتشار هذا المرض إلى حوالى 1 % ثم يقول : وخلال عملى لا يمر يوم إلا وأرى فيه مريضا يقال إنه به مسا من الجن أو جناً تلبسه أو عملاً أو تعويذه هى سبب مشاكله وبالبحث والفحص أجده يعانى من أحد الاضطرابات النفسية المعروفة والمصنفة عالمياً ثم يقول : وإنى لأعجب كثيراً من أمر المسلمين كيف يلصقون هذه التهم بالإسلام والإسلام دين يحترم العقل ويحض على العلم ويشجع العلماء والمسلم المتمعن فى اكتشافات الطب الحديث لا يجد فيه أى تناقض مع الإسلام .[1] .

أما الدكتور (عدنان العبد الله) مستشار أمراض الدماغ والأعصاب[2] فيقول : الصرع مرض شائع يصاب به 1 % من الناس ، وله أسباب متعددة يطول شرحها منها أورام الدماغ والتهاب الدماغ ، أو وجود بؤرة فى الدماغ تظهر بعد عمل تخطيط الدماغ الكهربائى وتعالج هذه الحالات باستئصال الورم أو ببعض العقاقير فمن أصابه شىء من ذلك فعليه بالعلاج المتعارف عليه دولياً وبين أطباء العالم ونحن فى دوم فى مواكبة الجديد بين اختراع دواء أو اكتشاف مرض ثم علاجه إن شاء الله ، وما خلق الله داء إلا وله دواء)[3] .



---

(1) المرجع السابق .

(2) بالمملكة الأردنية الهاشمية .

(3) نفس المرجع السابق بتصرف يسير .

ما هو الجن؟

الجن عالم غريب علينا، عالم مجهول لدينا، عالم ما وراء المادة لا نراه ولا يحق لنا أن نراه لأنه غيب والغيب كل ما غاب واستتر فلا تراه بعينك، ولا تلمسه بيدك، ولا تشتمه بأنفك، ولا تسمعه بأذنك، إذا نحن نبحث عن عالم مجهول لذلك لا نتكلم عنه إلا بمقدار ما قررته وحددته الشريعة الإسلامية وسأتكلم عنه فى نقاط محددة حتى لا نشتط فى بيانهم.

أولاً:

الجن أجسام نارية هوائية وكلمة الأجسام إما أن تكون رقيقة أو كثيفة وسواء كانت رقيقة أم كثيفة لا يمكن معرفتها إلا بالمشاهدة أو بالخبر الوارد عن الله تعالى أو عن رسوله الكريم ﷺ وكلا الأمرين مفقود حيث لم يرد نص صريح بذلك ولكن الذى يقوى إيماننا بأنهم أجسام رقاق ما نلمسه من قوله تعالى: ﴿**إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ** ....﴾ (1)، ورقة أجسامهم هى أحد الموانع من رؤية المرئيات ومشاهدة المشهودات.

ولهذا قال علماؤنا إنه يجوز لنا أن نراهم لو قوى الله شعاع أبصارنا أو كثف أجسادهم لنا ولكن لم تظهر صورتهم فى كثافتها إلا للأنبياء والمرسلين ومن اختارهم الله سبحانه من عبادة فقد كثف صورتهم لسيدنا محمد ﷺ.

روى النسائى وأحمد وأبو داود وقالوا: إنه على شرط البخارى عن عائشة - رضى الله عنها - قالت أن النبى ﷺ كان يصلى فأتاه الشيطان فأخذه فصرعه فخنقه قال ﷺ: «**حتى وجدت برد لسانه على يدى ولولا دعوة أخى سليمان لأصبح موثقا حتى يراه الناس**» وأيضاً لغالبية الأنبياء والمرسلين ومنهم سيدنا سليمان حيث كانوا يعملون له ما يشاء.

قال تعالى: ﴿**وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ**

(1) الأعراف: 27.

مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (١٢) يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ﴾[1] ، وقال تعالى في ذكر بعض النعم التي أنعم بها على سيدنا سليمان قال: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (٣٦) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ (٣٧) وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ﴾[2] والمقرن فيالأصفاد لا يكون إلا جسما مكثفا.

ثانيــاً:

وهم يأكلون، ويشربون، ويتناكحون، ويتناسلون: جاء في صحيح البخاري أن الجن سألوا رسول الله ﷺ عن الزاد؟ فقال: «**كل عظم ذكر أسم الله عليه يقع في يد أحدهم أوفر ما يكون لحما وكل بعر علف لدوابهم**»[3] وقد نهى ﷺ أن يستنجى بالعظم والروث وقال: «**إنه زاد إخوانكم من الجن**» ومن طعام الجن أيضاً كل طعام لم يذكر اسم الله عليه وأما الدليل على أنهم يتناكحون ويتناسلون قال تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ﴾[4] ، فهذا يدل على أنه يأتي منهم الطمث والطمث هو إزالة البكارة وقال تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً﴾[5] وهذا يدل على أنهم يتناكحون لأجل الذرية والذرية هم الأهل والولد.

ثالثاً:

هم مكلفون مثلنا قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾[6] وقال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾[7] ومنهم المؤمن و[illegible] والصالح والطالح قال تعالى:

---

(1) سبأ: 13,12.
(2) ص38,37,36.
(3) رواه البخاري.
(4) الرحمن: 56.
(5) الكهف: 50.
(6) الأحقاف: 29.
(7) الجن 2,1.

﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا (١٤) وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾[1] .

رابعاً:

لا يعلمون الغيب كما يدعى بعض الجهلة قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ [2] .

خامساً:

فى خلقهم : خلق الله الجان من النار الصافية قال تعالى ﴿ مِن نَّارِ السَّمُومِ﴾[3] قال القرطبى فى قوله ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ﴾[4] أى من قبل آدم والسموم هى الريح الحارة التى تقتل ، وهى نار لا دخان لها ، وقال تعالى فى آية أخرى : ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾ [5] المارج هو اللهب قال ابن عباس خلق الله الجان من لسان النار الصافية التى تكون فى طرفها إذا التهبت ، إذا عنصرهم النار كما أن عنصرنا التراب .

سادساً:

وهم أجساد قادرة على التشكل بأية صورة من الصور حسنة أم قبيحة إنسان ، أو حيوان ، حشرة أو غير ذلك ولديهم القدرة على اختراق الحواجز والجبال وبسرعة تفوق سرعة البرق ، وأخيراً حفظنا الله منهم ، فلا سلطان لأحد منهم علينا ، يقول القاضى الشبلى رحمه الله «إن الجن ليس له سلطان على الإنسان لأن الإنسان محفوظ بعناية الله ، وما عليه إلا أن يكثر من ذكر الله تعالى وأن يستعيذ به منهم ولن يستطيعوا أن يمسوه بسوء أبداً والله أعلم» .

---

(1) الجن : 15,14 .
(2) سبأ : 14 .
(3) الحجر : 27 .
(4) الحجر : 27 .
(5) الرحمن : 15 .

أصناف الجن

وهم على أصناف عدة ولكننا نذكر ما ورد فى الكتاب العزيز وهم : -

(أ) الجن . (ب) إبليس . (ج) الشيطان . (د) القرين . (هـ) المارد . (و) العفريت . ستة أنواع أو أسماء لهذا العالم الغيبى :

فعن الجن: قال تعالى : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ . . ﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ [2] .

وعن إبليس: قال تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [3] .

وعن الشيطان: قال تعالى : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾[4] .

وعن القرين : قال تعالى : ﴿ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِن كَانَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ﴾ [5] وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾[6] .

وعن المارد: قال تعالى : ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴾[7] .

وعن العفريت: قال تعالى فى قصة سيدنا سليمان مع بلقيس ملكة سبأ : ﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ۝٣٨ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴾[8] .

يعنى كل هذه الأسماء حقيقية وليست من وحى الخيال والمطلوب منا أن نؤمن بها ، ولكل واحد من الأصناف التى ذكرناها مهام يقوم بها .

---

(1) الأحقاف : 29 .
(2) الجن : 1 .
(3) البقرة : 34 .
(4) يس : 60 .
(5) ق : 27 .
(6) الزخرف : 36 .
(7) الصافات : 7,6 .
(8) النمل : 39,38 .

هل يرانا ونراه؟

بعض الناس يعتقد أنه يرى الجن على حقيقته، وهذا إدعاء باطل . . باطل . . باطل لأنه يخالف النص القرآني قال تعالى : ﴿**إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ**﴾[1] وأجمع علماء التفسير على أن الضمير هنا عائد على إبليس وجنوده وعلى هذا فلا يجوز البحث ولا الاجتهاد فى هذا الموضوع، وعامة الفقهاء يقولون : (لا إجتهاد مع النص) يقول الإمام الشافعى رحمه الله (من ادعى أنه يرى الجن لا تقبل شهادته لأنه فاسق) . قال تعالى فى حق من ردت شهادتهم : ﴿**وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾[2] وهو أيضاً كاذب إلاأن يكون ممن ذكرناهم آنفا من الأنبياء والمرسلين وبعض الصالحين ولكن يجوز أن يتمثل الشيطان فى صورة حيوان أو حشرة أو قطعة أو غير ذلك ويراه الإنسان فى هذه الصورة .

هل يدخل الجن جسد الإنسان؟

هذا السؤال هو أخطر الأسئلة التى تطرح فى هذا الباب وهو الذى يدور عليه الحوار، ولذلك قلت إن هذا الاعتقاد المشين لا ينشأ إلا فى غيبة الإيمان، وفقدان العلم ، فإذا غاب الإيمان أصبح القلب مزاراً لكل المعتقدات، وإذا فقد العلم أصبح العقل وكرًا لكل الخرافات ، والأساطير، وذلك بالأدلة الآتية : -

أولاً:-

نؤمن بأن الله تعالى حكيم ،عليم، خبير، فى فعله وبخلقه ، فعندما خلق الإنس والجن لم يخلقهم عبثًا، ولا لهوًا ، ولا لعبًا ، بل خلق الإنس لحكمة أرادها، وجعل له خواصه، وصفاته، وقانونه الذى يحكمه ، وخلق الجان لحكمة أرادها وجعل له أيضاً خواصه، وصفاته، وقانونه الذى يحكمه .

ومن خواص الجن وصفاته:

1- أنه يرانا ولا نراه .

---

(1) الأعراف : 27 .
(2) النور : 4 .

2- أنه قادر على أن يتشكل بأى صورة كانت حسنة أم قبيحة .

3- قادر على أن يخترق الجبال ويقطع المسافات .

4- أن الله تعالى سلطه علينا ليميز الخبيث من الطيب ولكن بلا سلطان .

5- أن عداوته حقيقة حتمية لنا .

6- يقعد لنا كل مقعد ويترصد لنا كل مرصد .

7- لا يلج الجن جسد الآدمى حتى يلج الجمل فى سم الخياط .

ثانيـاً:

لو تصفحنا القرآن الكريم ما وجدنا آية واحدة تدل من قريب أو بعيد أن الجن يدخل جسد الآدمى بل كل الآيات تدل على أن الله تعالى سلطه علينا بكل الطرق والأساليب فى دائرة الإغواء والإغراء، بالوسوسة والإيحاء بشرط أن لا يقرب جسد الإنسان وهذه بعض الأدلة القرآنية :

الآية الأولى:

قال تعالى على لسان الشيطان : ﴿ **قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ** (١٦) **ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ**﴾ [1]جاء فى تفسير الفخر الرازى : أن الإغواء هو إيقاع الغى فى القلب أو أن المراد بالإغواء الإضلال أو المراد به الإهلاك كما جاء فى قوله تعالى : ﴿**فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا**﴾[2] أى هلاكًا وكما قال تعالى : ﴿**إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ**﴾ [3] أى إن كان الله يريد أن يهلككم بعنادكم وعلى ذلك يكون معنى الآية والله أعلم بمراده أن الشيطان يقول للخالق سبحانه أنك بما أهلكتنى وطردتنى من الجنة بسبب آدم لأقعدن لذريته فأزين لهم الفساد وأرشدهم إلى الضلال ، حتى أبعدهم عن الجنة ، وأدخلهم النار ، وعبر بالقعود للمواظبة والدوام على الفساد ، لأن من أراد أن يبلغ أمراً هاماً قعد له وتفرغ له حتى يمكنه بلوغ الهدف .

---

(1) الأعراف17,16 .

(2) مريم : 59 .

(3) هود : 34 .

قال ﷺ : «أن الشيطان قعد لابن آدم بطرق فقعد له بطريق الإسلام فقال : أتسلم وتترك دينك ودين آبائك فعصاه وأسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال : أتهاجر أتدع أرضك وسماءك فعصاه وهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال : أتجاهد وهو تلف النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح نساؤك ويقسم مالك فعصاه وجاهد قال ﷺ : فمن فعل ذلك كان حقاً على الله أن يدخله الجنة» (1) .

ثم قال تعالى : ﴿ ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾(2) أى أنه يأتى الإنسان من هذه الجهات الأربع وكل جهة منها تختص بنوع من الآفة فى الدين فهو لا يترك جهة إلا جاء منها أى يدور حوله ولا يستطيع أن يقْربه ، يقول القاضى : «وهذا القول من إبليس كالدلالة على بطلان ما يقال إنه يدخل جسد الآدمى ويخالطه لأنه لو أمكنه ذلك لكان قاله فى باب المبالغة» (3) أو كان دخل جسده وفتك به بدل هذا الإنتظار المرير ولكان سيره كما يريد .

(ب) الآية الثانية:

قال تعالى : ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾(4) .

يقول الفخر الرازى فى تفسيرها : «إعلم أن إبليس لما قال ﴿لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾(5) أوهم هذا الكلام أن له سلطانا على عباد الله الذين لم يكونوا مخلصين فبين الله سبحانه فى هذه الآية أنه ليس له سلطان على أحد من عباد الله سواء كانوا مخلصين أو لم يكونوا مخلصين بل من إتبع منهم إبليس بإرادته واختياره صار متبعا له .

ولكن حصول تلك المتابعة أيضا ليس لأجل أن إبليس يقهره على تلك المتابعة أو يجبره عليها ثم قال والحاصل فى هذا القول أن إبليس أوهم أن له على بعض عباد الله سلطاناً فبين تعالى كذبه فيه وذكر أنه ليس له على أحد منهم سلطان ولا قدرة

---

(1) رواه النسائى بسند صحيح .
(2) الأعراف : 17 .
(3) مفاتيح الغيب جـ9 ص 428 ط دار الغد العربى .
(4) الحجر : 42 .
(5) الحجر : 40,39 .

أصلا» ومعنى هذا أن الشيطان لا يستطيع أن يقهر أحداً ولا يصرعه، ولا يجبره، وإنما يوسوس له فأغواه وأغراه وأزّهُ أزّاً حتى أبعده عن الصراط المستقيم.

(جـ) الآية الثالثة:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي...﴾[1] يقول صاحب مفاتيح الغيب في قوله ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ﴾ أي قدرة، ومكنة وتسلط وقهر فأقهركم على الكفر والمعصية إلا أن دعوتكم أي إلا دعوتى لكم إلى الضلالة بوسوستى وتزييني، قال النحويون: ليس الدعاء من جنس السلطان فقوله إلا أن دعوتكم من جنس قولهم ما تحيتهم إلا الضرب قال الواحدى: إنه استثناء منقطع أي لكن دعوتكم، وعندى (الكلام مازال للإمام فخر الدين الرازى) أنه يمكن أن يقال إن كلمة (إلا) ههنا استثناء حقيقى لأن قدرة الإنسان على حمل الغير على عمل من الأعمال تارة يكون بالقسر والقهر، وتارة يكون بتقوية الداعى فى قلبه بإلقاء الوساوس إليه فهذا نوع من أنواع التسلط)[2].

ثم إن ظاهر الآية يدل على أن الشيطان لا قدرة له على تصريع الإنسان، ولا على تعويج أعضائه، وجوارحه، ولا على إزالة عقله منه، كما يقول العوام والحشوية... أهـ.

(د) جاء فى كتاب المنتخب:

فى تفسير القرآن الكريم الصادر من المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف عند تفسير هذه الآية الكريمة: قال ما نصه (ويقول إبليس حين يقضى الأمر بتنعيم الطائعين وتعذيب العاصين لمن تبعه إن الله وعدكم وعداً حقًا بالبعث والجزاء فانجزه، ووعدتكم وعداً باطلاً بأن لا بعث ولا جزاء فأخلفتكم وعدى، وما كان لى عليكم قوة أقهركم بها على إتباعى لكن دعوتكم بوسوستى إلى الضلالة فأسرعتم، إلى طاعتى فلا تلومونى بوسوستى ولوموا أنفسكم على إجابتى).

---

(1) إبراهيم: 22.

(2) مفاتيح الغيب جـ9ص322 ط دار الغد العربى.

يقول الإمام الجبائى : (هذه الآية تدل على بطلان قول من زعم أن الشيطان والجن يمكنهم صرع الإنسان وإزالة عقله كما يقول العامة وربما نسبوا ذلك إلى السحرة . قال : وذلك خلاف ما نص الله عليه ووافقه الكلبى على هذا) [1] .

ثالثاً:

الإسلام هو العقل ولا دين لمن لا عقل له ولذلك ينكر الإسلام هذه الفوضى الفكرية والنزغات الخرافية يقول الشيخ محمد الغزالى ـ رحمه الله ـ بعد كلام طويل عن الخلافات الفقهية قال : (ولكن بعض الناس يجاوز النقل، والعقل معًا، ويتعلق بمرويات خفيفة الوزن أو عديمة القيمة ، ولا يبالى بمايثيره من فوضى فكرية تصيب الإسلام وتؤذى سمعته ، ومن هذا القبل زعم بعض المخبولين أنه متزوج بجنية أو أن رجلا من الجن متزوج بإنسية أو أن أحد الناس احتل جسمه عفريت واستولى على عقله وإرادته ثم قال : أى روايات بعد ما كشف القرآن عن وظيفة الشيطان ورسم حدودها أليس يقول الله فى كتابه على لسان الشيطان وهو يوبخ البشر : ﴿**وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي**﴾ [2] .

فكيف يحتل الجنى جسما ويصرعه برغم أنف صاحبه المسكين إن الشيطان يملك الوسوسة والتحصن منها سهل بما ورد من آيات وسنن فلا تفتحوا أبوابا للخرافات بماتصدقون من مرويات تصل إليكم ثم قال : هناك أمراض نفسية أصبح لها تخصص علمى كبير وهذا التخصص فرع من تخصصات كثيرة تعالج ما يعترى البشر من علل ، إن الإسلام دين يقوم على العقل وينهض على دعائم علمية راسخة فلا يجوز لأتباع دين كالإسلام أن تشيع بينهم هذه الأوهام عن عالم الجن فيجروا وراءها هنا وهناك . إن الله عز وجل سائل المسلمين عما فعلوا بدينهم وعما لحق بهذا الدين البرىء من تهم) [3] .

رابعاً:

من السنة : عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : «**إذا نودى للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط**

(1) مفاتيح الغيب جـ9 ص428 ط دار الغد العربى .

(2) إبراهيم : 22 .

(3) نقلاً عن كتاب علاقة الجان بالإنسان (الأسطورة التى هوت) تأليف الشيخ حسان عبد المنان - الأردن .

حتى لا يسمع الأذان فإذا قضى الآذان أقبل فإذا ثوب بها (يعنى الإقامة) أدبر فإذا قضى التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه ويقول : اذكر كذا اذكر كذا ما لم يكن يذكره حتى يظل الرجل ولا يدرى كم صلى» (1) .

من هذا الحديث الشريف نقول : ما الداعى لأن يقبل الشيطان ثم يدبر، ويدبر ثم يقبل ، مادامت لديه القدرة على أن يدخل جسد الإنسان ويصرعه؟ ما الداعى لهذه الحيل مادامت لديه الصلاحية لأن يحتل جسده وعقله ، وبذلك يصرفه عن العبادة أصلاً ، ويوفر على نفسه وسائل الإغواء والوسوسة ، التى يبذل فيهما جهداً كبيراً وبهذه الصلاحية لا يترك أحداً معافاً .

إن القرآن الكريم لم يشر من قريب أو من بعيد على أن الشيطان يحتل جسد الإنسان ويجعله سكنًا له واستراحات يمرح فيها كيف يشاء، إن هذه الخرافات لا تكون ولا توجد إلا عند أصحاب العقول الخربة . أما عن العقل السليم والعلم التجريبى فقد ثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن فقدان العقل ومرض الصرع ما هو إلا فساد فى بعض خلايا المخ وكلها تعالج إما بالطب العلاجى أو الطب النفسى ولا دخل للجن فى شىء من هذا .

خامساً :

لو سلمنا جدلاً أن الجن دخل جسد الأنس والجن فيه روح لأنه حى والإنس فيه روح لأنه حى فأى الروحين يدير حركة الجسم ؟ بأى الروحين يسمع ويبصر؟ وبأيهما يفكر ويتكلم ؟ فإن قلتم هى روح الجن لأنه عندما يتكلم يكون الكلام كلام الجن والفعل فعل الجن والطلبات طلبات الجن تقول فأين روح الإنس ؟ فإن كانت خرجت فهو الموت وإن كانت باقية فما جعل الله لحى روحيين فى جسمه كما لم يجعل لرجل من قلبيين فى جوفه ثم هناك شبهة خطيرة لو كان فى وسع الجن أن يقحم روحه فى جسم الإنسان لاغتنم الفرصة كلما مات إنسان احتل جسده عند خروج روحه وأوهم أهله وولده أنه حى ثم يتصرف فى بيته وأهله وماله كما يريد وعندئذ يختل نظام الكون ويفسد 1 هـ . (2)

---

(1) البخارى ومسلم .

(2) نقلا عن كتاب (مساجلات صيحة الحق) لفضيلة الشيخ أبو الوفاء درويش بتصرف يسير .

الأحاديث التى يفيد ظاهرها دخول الجن جسد الإنس:

وإنصافاً للحق والحقيقة وللأمانة العلمية أذكر أهم الأحاديث النبوية الشريفة التى وردت فى هذا الموضوع والتى يفيد ظاهرها (دخول الجن جسد الآدمى) وسأذكرها بالنص مع ذكر رواتها، ودرجة الحديث من حيث القوة والضعف، ثم أقوال العلماء فيها، وحكم منكرها.

الحديث الأول:

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان فيستهل صارخاً من نخسة الشيطان إلا ابن مريم وأمه**» قال أبو هريرة إقرءوا إن شئتم ﴿ وَإِنِّى أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾[1].

الحديث الثانى:

قال ﷺ: «**إذا جنح الليل فكفوا صبيانكم فإن الشياطين تنتشر حينئذ فإذا ذهب ساعة من الليل فخلوهم وألقوا الأبواب واذكروا اسم الله فإن الشيطان لا يفتح بابا مغلقاً**» وفى رواية أخرى قال ﷺ: «**إذا جنح الليل أو أمسيتم فكفوا صبيانكم فإن الشيطان ينتشر حينئذ فإذا ذهب ساعة من الليل فخلوهم وأغلقوا الأبواب واذكروا اسم الله فإن الشيطان لا يفتح بابا مغلقا وأوكوا قربكم واذكروا اسم الله وخمروا آنيتكم واذكروا اسم الله ولو أن تعرضوا عليها شيئا واطفئوا مصابيحكم**».

الحديث الثالث:

قال ﷺ: «**فناء أمتى بالطعن والطاعون ووخز أعدائكم من الجن وفى كل شهادة**».

الحديث الرابع:

قال ﷺ: «**إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فإذا ذكر الله خنس وإذا نسى التقم قلبه**».

الحديث الخامس:

عن أم إبان بنت الوازع عن أبيها عن جدها قالت: انطلق جدى إلى النبى ﷺ بابن له أو ابن أخت له فقال: يا رسول الله إن هذا مجنون أتيتك به لتدعوا الله له قال: «**قربه منى واجعل ظهره لى**» قال: ففعل فأخذ النبى بمجامع ثوبه من أعلاه

(1) آل عمران: 36.

وأسفله فجعل يضرب ظهره ويقول: «**اخرج عدو الله**» فصار المريض ينظر نظره الصحيح لا نظره الأول ثم حول وجهه نحوه ودعا بماء فمسح به وجهه ودعا له قال جدى فلم يكن فى الوفد بعد هذا أفضل ولا أحسن منه .

الحديث اسادس:

قال ﷺ : «**إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فى العروق**» .

مناقشة الأحاديث

هذه بعض الأحاديث التى وردت فى هذا الباب وهى الأقوى درجة من غيرها وأتكلم عنها من عدة جوانب الأول فى رواتها وبيان درجتها قوة وضعفا . الثانى فى معناها، الثالث هل يعمل بها فى العقائد والأحكام، الرابع حكم منكرها، أما عن الأول فى معرفة رواتها وبيان درجتها :

فالحديث الأول:

رواه البخارى ومسلم وأبو داود ورواه أحمد فى مسنده برقم 7182 ، وقال : محققه إسناده صحيح .

الحديث الثانى:

رواه أحمدوالنسائى وأبو داود والبهيقى والرواية الثانية فى صحيح مسلم وجاء فى مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لأبى بكر الهيثمى بتحرير العراقى وابن حجر ط القدس بالقاهرة جـ 2، ص184 .

الحديث الثالث:

رواه أحمد وجاء فى مجمع الزوائد ومنبع الفوائد جـ 5 ، ص 149 ورواه الطبرانى .

الحديث الرابع:

ابن أبى الدنيا وأبو يعلى وفيه عدى بن أبى عمارة وهو ضعيف وقال عنه ابن كثير أنه غريب وورد فى أحياء علوم الدين وخرجه العراقى جـ 3 ص28 وقال عنه أنه ضعيف .

الحديث الخامس:

رواه أحمد منفردًا براويته عن أم أبان بنت الوازع ولم يرو عنها غير مطر وهو حديث آحاد يفيد الظن ولا يفيد اليقين .

الحديث السادس:

معروف ومشهور وصحيح رواه البخارى ومسلم عن صفية زوج النبى ﷺ .

شرح ألفاظ الأحاديث مع بيان الحكم:

أستدل المؤيدون فى الحديث الأول :

بقوله ﷺ : «**إلا نخسه الشيطان**» ونقول لهم : إن كلمة نخس كما جاء (فى المعجم والقاموس) نخس بمعنى طعن والمنخاس هو ما تطعن به الدابة فيكون المعنى ما من مولود يولد إلا طعنه الشيطان وهل إذا طعنه الشيطان يدل على أنه تلبسه وسكن جسده لو كان المعنى كما يقولون لكان كل مولود يولد فى العالم يتجسده الشيطان وأصبح العالم كله مخبولاً مجنوناً وهذا لا يجوز ولا يصح .

الحديث الثانى:

نقول هل كف الصبيان ومنعهم من الخروج ليلاً معناه دخول الجن أجسادهم لا يعقل .

الحديث الثالث:

كلمة وخز أعدائكم معناها فى القاموس وخز فلان الشئْ أى غمزه به والوخز الوجع وهو قريب من النخس فى الحديث الأول .

الحديث الرابع:

ضعفه جمهور العلماء ولو ثبتت صحته فليس فيه ما يؤيد قولهم لأن خطم الأنف هى مقدم الأنف والفم ووضعه على القلب يفيد الوسوسة ومعنى خنس الشيطان انزواؤه .

« يقول الشخ جاد الحق على جاد الحق(شيخ الأزهر السابق) فى كتاب « بحوث وفتاوى إسلامية معاصرة» جـ 1 ، ص 60 يقول : (ومع هذا فإن الأحاديث الأربعة لا تفيد قطعاً دخول الجن جسد الآدمى لأن الألفاظ الواردة فيها مثل : النخس ، والوخز ، وكفُّ الصبيان ، وموضع خطم الشيطان وخنسه لا قول بذاتها قطعاً على دخول الجن جسد الآمى إذ كل لفظ من هذه الألفاظ يحمل أكثر من معنى) .

أما الحديث الخامس:

فنتكلم عنه من عدة وجوه :

أولاً:

هذا الحديث رواه (الإمام أحمد) منفرداً بروايته عن أم أبان بنت الوازع ولم يرو عنها غير مطر، وهذا الحديث جاء فى كتاب (التاج الجامع للأصول فى أحاديث الرسول ﷺ) للشيخ منصور على ناصف جـ 5 ص248 ثم عزاه إلى الأمام أحمد فقال: (رواه أحمد) وجاء أيضا فى كتاب أكام المرجان للشبلى المتوفى سنة 769 ثم عزاه إلى الإمام أحمد وأبى داود.

ثانياً:

هذا الحديث خبر آحاد وليس من المتواتر وأحاديث الآحاد إن صحت فهى ظنية الثبوت عن رسول الله ﷺ تفيد الظن الراجح.

ثالثاً:

هذا الحديث يعارض النص القرآنى فى قوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي....**﴾[1] الآية، وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ**﴾[2] وهذا النص لا يحتاج إلى تأويل، وكما يقول الأصوليون لا جدال مع النص وعلى هذا فاللفظ صريح لا يجوز حمله على غير معناه إلا إذا كان هناك صارف يصرفه عن المعنى الظاهرى.

ومعلوم أن النصوص الشرعية الثابتة لا تتعارض سواء كان ذلك قرآنا مع قرآن أو سنة صحيحة مع سنة صحيحة أو سنة صحيحة مع قرآن.

لأن الحق لا يعارض الحق كما أن الفرع لا يجوز أن يعارض الأصل فإذا ظن البعض أن بعض الآيات القرآنية تتعارض مع بعضها فهو تعارض ظاهرى لا حقيقى مثل قوله تعالى: ﴿ **فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ** ﴾[3] مع قوله تعالى: ﴿**وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ**﴾[4].

---

(1) إبراهيم: 22.
(2) الحجر: 24.
(3) المؤمنون: 101.
(4) الطور: 25.

فالآية الأولى نفت التساؤل والثانية أثبتته والتوفيق بينهما بإجماع المفسرين أن عدم التساؤل فى الأولى يكون عند النفخة الأولى وإثباته فى الثانية يكون بعد النفخة الثانية (1).

أما إذا تعارض الحديث الصحيح مع الحديث الصحيح ولم يمكن التوفيق بينهما لجأنا إلى الترجيح، والترجيح معناه إهمال أحد النصين، مثال ذلك الحديث الذى رواه الإمام الترمذى والأمام أبو داود عن أم سلمة - رضى الله عنها - قالت: (كنت عند رسول الله ﷺ وعنده ميمونة فأقبل ابن أم مكتوم وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب فقال ﷺ: «**احتجبا منه**» فقلت: يا رسول الله أليس هو أعمى!!! فقال ﷺ: «**أفَعَمْيَاوَان أنتما ؟**» قال: حديث حسن صحيح. فتح البارى جـ2 ص. 445.

هذا الحديث يعارض الحديث المتفق عليه والذى روته أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - قالت: (رأيت النبى ﷺ يسترنى بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون فى المسجد).

قال القاضى عياض: (فيه جواز نظر النساء إلى فعل الرجال الأجانب، فإذا تعارض الحديثان ولم يمكن التوفيق بينهما يجب الترجيح وهو إهمال أحد النصين ولهذا رد العلماء المحققون حديث أم سلمة) (2).

والأحادث فى هذا الباب كثيرة مثل أحاديث زيارة القبور للنساء وأحاديث العزل وأحاديث النسخ فى الحديث.

أما إذا تعارض الحديث الصحيح - وأقول الحديث الصحيح - مع القرآن الكريم ولم يمكن التوفيق بينهما فالقرآن هو الأصل وهو العمدة فى الموضوع وما عداه رد.

رابعاً:

من هذا الحديث وأمثاله تمسك القائلون بدخول الجن جسد الآدمى وعلى رأسهم ابن تيمية هذا العالم الفاضل وتلميذه ابن القيم ويقوم الآن أتباعهما بعلاج

(1) ومن أراد المزيد من لاآيات التى ظاهرها التعارض فليقرأ كتاب (الإتقان فى علوم القرآن).
(2) كتاب (كيف نتعامل مع السنة النبوية) للدكتور / يوسف القرضاوى ص114.

المرضى من الصرع بقراءة القرآن الكريم والأشرطة المسجلة وضرب المريض كى يخرج الشيطان ونقول لهم :

رفقاً بنا وبديننا ، رفقا بالإسلام المتهم من أتباعه وأعدائه والسؤال : على من يقع الضرب على الجن أم على المريض؟وهل للجن جسم مادى دخل جسم الآدمى فكانا جسدان فى جسد واحد؟ وإذا حدث هذا فكيف يقع الضرب على جسد الجن دون جسد الإنس أظن هذا غير منطقى وإذا كان الجن ليس له جسم مادى فيكون الضرب إذا على المريض والجن مطلق وطالما أن الجن ليس له جسم مادى فيمكنه أن يهرب من الضرب فى الأمعاء أو المعدة أو فى الأرجل أو فى أى جزء من أجزاء الجسم فما الذى يجعله عرضة للضرب وإذا كان مطلق الحركة فبإمكانه أن يخرج ويدخل ولا يتعرض للضرب ولن يحتاج إلى تأشيرة دخول أو خروج .

وإن صح القول بذلك على حد تعبيرهم فربما تكون هذه خصوصية لرسول الله حيث لم يرد عن الخلفاء الراشدين ولا عن الصحابة والتابعين أنهم فعلوا ذلك أقول : أفيقوا يا قوم وكفانا من نخس أعدائنا ووخزهم فى عقيدتنا كفانا ما بنا فقد طف الصاع وبلغ السيل الزبى .

الحديث السادس:

وهو أن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم نقول لهم : هل علمتم سبب هذا الحديث؟ .

عن صفية بنت حيى بن أخطب ـ رضى الله عنها ـ قالت : كان النبى معتكفاً فأتيته أزوره ليلاً فحدثته ثم قمت لأنقلب فقام معى فمر رجلان من الأنصار فلما رأيا النبى ﷺ أسرعا فقال ﷺ «**على رسلكما إنها صفية بنت حيى**» فقالا : سبحان الله يا رسول الله فقال ﷺ «**إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم وأنى خشيت أن يقذف فى قلوبكما شراً**» أظن أن المعنى وضح وأنه لا صحة للفهم السقيم فلقد أستخدم الرسول الكريم هذا التعبير كتشبيه جريان الدم فى العروق كناية عن وسوسة الشيطان ولم يقل إن الشيطان يجرى فى عروق الدم وفرق بعيد بين اللفظين .

هل يعمل بهذه الأحاديث فى العقائد والأحكام؟

كل الأحاديث التى ذكرناها هى أقوى ما ورد فى هذا الموضوع وهناك أحاديث أخرى أقل وعلى كل فكل ما ورد فى هذا الباب من أحاديث صحيحة كانت أم ضعيفة فهى أحاديث آحاد وليست من المتواتر وأحاديث الآحاد ظنية الثبوت عن رسول الله ﷺ ومتى لحقت الظنية بالحديث فلا تثبت به عقيدة ولا يفيد اليقين ولا يعتد به فى شأن الغيبيات وهذا ما قام عليه إجماع الأمة من علماء الفقه والأصوليين وإنما يعمل به فى الأحكام العملية [1].

أقسام الأحكام الشرعية:

وللعلم فالأحكام الشرعية تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

أ- أحكام عملية.

ب- أحكام عقدية.

جـ- أحكام أخلاقية.

فالأحكام العملية:

المدار فيها على الحس والاجتهاد وعمل الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين أما الأحكام العقدية والأخلاقية:

فالمدار فيهما على السماع الذى يفيد اليقين ولا مجال فيها للاجتهاد وعلى هذا فأحاديث الآحاد لا يعمل بها حتى ولو جاءت فى الصحيحين لأنها ظنية الثبوت عن رسول الله ﷺ وإذا ورد حديث الآحاد فى باب الاعتقاد لا يكون حجة. فمن أنكره لا يكفر [2] ولا يفسق [3] وعلى هذا فهذه الأحاديث لا تفيد دخول الجن جسد الآدمى [4].

---

(1) راجع كتاب «بحوث وفتاوى إسلامية فى قضايا معاصرة» للشيخ جاد الحق شيخ الأزهر جـ1 ص59 وما بعدها بتصرف يسير.

(2) بتشديد الفاء المفتوحة.

(3) بتشديد السين المفتوحة.

(4) راجع كتاب «بحوث وفتاوى إسلامية فى قضايا معاصرة» للشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر رحمه الله.

المـسّ

المس فى الأصل هو المس باليد يقال مس الشىء يمسه مسا لمسه بيده وهذه اللغة الفصيحة وبابه فهم وفيه غيره :

1- (مس الماء الجسد) اصابه .

2- (مسه الكبر) أدركه الكبر .

3- (سمته الحاجة) ألجأته الحاجة .

4- (مسه الجن) ألحق به الأذى والضرر .

5- (مستهم البأساء والضراء) أصابتهم .

6- ويقال فى النهى لا مساس ومنه قوله تعالى : ﴿ **قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لا مِسَاسَ** ﴾ (1) .

وقد وردت كلمة المس فى القرآن الكريم فى أكثر من عشرين موضعا ونتكلم هنا عن المس فى آيات معدودة :

الآية الأولى :

فى قوله تعالى : ﴿**الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ**﴾ (2) .

الآية الثانية :

قوله تعالى : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ**﴾(3) .

الآية الثالثة :

قوله تعالى : ﴿**وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّى مَسَّنِىَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾(4) .

---

(1) طه : 97 .

(2) البقرة : 275 .

(3) الأعراف : 201 .

(4) الأنبياء : 83 .

الآية الرابعة:

قوله تعالى : ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾(1) .

أما عن الآية الأولى:

أولاً: جاء فى مختار الصحاح خبط البعير الأرض بيده ضربها ومنه قيل (خبط عشواء) ويقال للرجل الذى لا يحسن التصرف إنه يخبط خبط عشواء ومعنى تخبطه الشيطان أى مسه بجنون أو خبل فتسمى إصابة الشيطان بالجنون ، والخبل خبطة ، والمس الجنون يقال مس الرجل فهو ممسوس وأصله من المس باليد وعلى هذا يسمى الجنون مساً ، ويسمى الجنون خبطة والفرق بينهما أن المس يكون باليد والتخبط يكون بالرجل .

ثانياً: معنى الآية للعلماء فيها رأيان :

الرأى الأول: وهو الذى يؤيد المس بالجنون فيقول : إن الذين يأكلون الربا لا يقومون يوم القيامة من قبورهم إلا وهم يتخبطون يمنه ويسره وكلما وقفوا وقعوا كمن أصابه مس من الجن فصار يتخبط وذلك عقاباً لهم وتنكيلاً بهم حتى يعرف الناس أن هؤلاء أكله الربا فى الدنيا وظاهر المعنى أن فيه مس من الشيطان بجنون ونحوه .

الرأى الثانى: ينفى المس بالجنون ويثبت المس بالوسوسة وذلك من عدة وجوه .

الوجه الأول: معنى الآية : أن الذين يأكلون الربا لا يكونون فى سعيهم فى الدنيا وتصرفهم فيها وفى سائر أحوالهم إلا فى اضطراب وخلل كالذى أفسد الشيطان عقله بوسوسته فصار يتخبط فى قوله وفى فعله كما يقال للذى لا يحسن التصرف فى فعله (إنه يخبط خبط عشواء) وعلى هذا فالمس هنا مس وسوسة كثرت عليه فصارت حركاته مضطربة .

الوجه الثانى: أن الناس إذا بعثوا من قبورهم يوم القيامة خرجوا مسرعين لقوله

---

(1) ص : 41 .

تعالى : ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾[1] إلا أكله الربا فإنهم يقومون ويسقطون كما يقوم الذى أفسد عقله الشيطان بوسوسته فى الدنيا فصار لا يقدر أن يقوم ولا يقعد أى فأكلة الربا لا يمكنهم الإسراع فى المشى بسبب ثقل بطونهم وهذا بعيد جداً عن الجنون وليس من الجنون فى شىء والمشبه به أيضاً كذلك وعلى هذا فالمس هنا مس وسوسة لأن هذا هو القدر المسموح به للشيطان قبل الإنسان.

ويقوى هذا الرأى ما قاله الإمام الجبائى - رحمه الله - حيث قال : «إن الناس يقولون إن المصروع إنما حدثت له تلك الحالة لأن الشيطان يمسه ويصرعه وهذا باطل لأن الشيطان ضعيف لا يقدر عى صرع الناس وقتلهم» [2].

الوجه الثالث: ما ذكره الإمام الرازى فى كتابه مفاتيح الغيب قال : إن الشيطان يدعو إلى طلب اللذات والشهوات والانشغال بغير الله تعالى فهذا هو المراد من مس الشيطان ومن كان كذلك كان فى أمر الدنيا متخبطا فتارة يجره الشيطان إلى النفس والهوى وتارة يجره الملك [3] إلى الدين والتقوى فحدثت هناك حركات مضطربة وافعال مختلفة فهذا هو الخبط الحاصل بفعل الشيطان وآكل الربا لاشك أنه يكون مفرطا فى حب الدنيا متهالكا فيها فإذا مات على ذلك الحب صار ذلك الحب حجابا بينه وبين الله فالخبط الذى كان حاصلاً له فى الدنيا أورثه الخبط فى الآخرة [4] وذلك مثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾[5].

الوجه الرابع: رد الإمام الرازى على من قال أن المس فى قوله تعالى ﴿ يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [6] إنه مس جنون وقالوا : إن هذا صريح فى أن الشيطان يتخبطه

(1) المعارج : 43.
(2) الفخر الرازى جـ3 ص560 ط دار الغد العربى.
(3) الملك بفتح اللام.
(4) المصدر السابق.
(5) الأعراف : 201.
(6) البقرة : 272.

بسبب مسه فقال إن الشيطان يمسه بوسوسته المؤذية التى يحدث عندها الصرع وهى كقول أيوب عليه وعلى نبينا السلام كما حكى القرآن الكريم : ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾(1) وإنما يحدث الصرع عند تلك الوسوسة لأن الله خلقه من ضعف الطباع، وغلبت السوداء عليه بحيث يخاف عند الوسوسة فلايجترىء فيصرع عند تلك الوسوسة كما يصرع الجبان من الموضع الخالى وبهذا المعنى لا يوجد هذا الخبط فى الفضلاء الكاملين وأهل الحزم والعقل وإنما يوجد فيمن به نقص فى المزاج وخلل فى الدماغ.

الوجه الخامس : وذكر القفال وجها آخرا فقال : إن الناس يضيفون الصرع إلى الشيطان وإلى الجن فخوطبوا على ما تعارفوه من هذا وأيضاً من عادة الناس أنهم إذا أرادوا تقبيح شيء أضافوه إلى الشيطان كما فى قوله تعالى : ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ (2).

الآية الثانية : ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْاْ ......﴾ (3) الآية لما بين الله تعالى لرسوله الكريم فى الآية التى قبلها انه قد ينزغه الشيطان أى يوسوس له فى قوله تعالى : ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (4) والنزع هو ابتداء الوسوسة وعلمه كيف يعالج هذه الوسوسة وهى الاستعاذة بالله من الشيطان ليبين فى هذه الآية أن حال المتقين يزيد عن حال الرسول ﷺ فى هذا الباب فالوسوسة للمتقين تكون لا محالة أشد وأبلغ حتى يسيطر على الإنسان ويجبره على المخالفة والوقوع فى المعصية ولكن المؤمن يقوم فزعاً تائباً نادماً على ما فعل وتذكر وأبصر ما يحاك من الآيتين الثالثة والرابعة : عن سيدنا أيوب عليه وعلى رسولنا السلام.

قال تعالى فى سورة «الأنبياء» ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ....﴾ (5) الآية وقال تعالى فى سورة «ص» : ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ.....﴾ (6) الآية والنداء فى الآيتين لحادثة واحدة ولكنه فى النداء الأول طلب من ربه أن يكشف

---

(1) ص : 41.
(2) الصافات : 65.
(3) الأعراف : 201
(4) فصلت : 36.
(5) الأنبياء : 83.
(6) ص : 17.

عنه السوء والضر الذى لحق به وفى الثانية طلب منه أن يكشف عنه ا لسوء الذى لحق به من مس الشيطان .

وذكر المفسرون قصصا طويلاً عن مرض سيدنا أيوب وعن سبب ابتلائه، كيف مرض ؟وكيف جاءه المرض؟ وكيف تحكم الشيطان فى بدنه، وماله، وولده إلى آخر ما قالوه وكله باطل غير جائز لا يليق بمقام النبيين لأنه افتراءات إسرائيلية ولذلك قال الإمام القرطبى فى تفسيره «وهذا كلام لم يقم عليه دليل وهو باطل».

وابن كثير ترفع عن ذكر هذا القصص فى تفسيره وكذلك الإمام البيضاوى والمنتخب فى تفسير القرآن الكريم طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة. وقال القاضى أبو بكر بن العربى بعدما فند القصة قال: والذى جرأهم على ذلك وتذرعوا به إلى ذكر هذا قوله تعالى: **﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾**[1] . فلما رأوه قد اشتكى مس الشيطان أضافوا إليه من رأيهم ما أضافوه وليس الأمر كما زعموا والأفعال كلها فى خيرها وشرها، فى إيمانها وكفرها، طاعتها ومعصيتها، خالقها هو الله لا شريك له فى خلقه ولكن الشر لا ينسب إليه ذكراً، وإن كان موجوداً منه خلقاً، أدباً أدبنا به»[2] ثم قال ولم يصح عن أيوب إلا ما أخبرنا الله عنه فى كتابه فى هاتين الآيتين وأما النبى ﷺ فلم يصح عنه أنه ذكره بحرف واحد إلا قوله «**بينما أيوب يغتسل إذ خر عليه رجل** [3] **من جراد من ذهب**» الحديث وإذا لم يصح عنه فيه قرآن ولا سنة إلا ما ذكرناه فمن الذى يوصل السامع إلى أيوب خبره؟ أم على أى لسان سمعه والإسرائيليات مرفوضة على البتات فأعرض عن سطورها بصرك، واصمم عن سماعها أذنك، فإنها لا تعطى فكرك إلا خيالاً ولا تزيد فؤادك إلا خبالاً» [4] .

هذا عن مرض أيوب المنفر الذى لم يصح منه شيء على الإطلاق أنه كان من فعل الشيطان لأن الله تعالى قادر على أن يخلق ذلك كله من غير أن يكون للشيطان له فيه كسب ولا دخل حتى لا تقر له عين بالتمكن من الأنبياء فى أموالهم وأنفسهم

(1) ص 41.
(2) تفسير القرطبى جـ8ص5852.
(3) رجل بكسر الراء وسكون الجيم.
(4) نفس المصدر السابق.

وأهليهم وعلى هذا يكون العذاب المضاف إلى الشيطان هو عذاب الوسوسة، وإلقاء الخواطر الفاسدة، حتى ضاق بها ذرعا أيوب وخاف على نفسه، وزوجه فدعا ربه.

ومما يقوى هذا الرأى ـ أن هذا العذاب عذاب وسوسه ـ ما ذكره المرحوم سيد قطب فى تفسيره قال: «قصة ابتلاء سيدنا أيوب وصبره ذائعة مشهورة وهى تضرب مثلاً ولكنها مشوبة بالإسرائيليات والحد المأمون فى هذه القصة هو أن أيوب عليه السلام كما جاء فى القرآن الكريم عبد صالح أواب وقد ابتلاه الله فصبر صبرا جميلاً ثم قال: وكان الشيطان يوسوس لخلصائه القلائل الذين بقوا على وفائهم له ومنهم زوجته بأن الله لو كان يحب أيوب ما ابتلاه وكانوا يحدثونه بهذا فيؤذونه بنفسه أشد ما يؤذيه الضر والبلاء فلما حدثته أمرأته ببعض هذه الوساوس حلف لأن شفاه الله ليضربنها عددا عينه وعندئذ توجه إلى ربه بالشكوى مما يلقى من إيذاء الشيطان فقال كما حكى القرآن الكريم ﴿ **أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ** ﴾ (1) فلما علم الله صدقه ونفوره من محاولات الشيطان ـ وهو سبحانه تعالى أعلى وأعلم ـ أدركه برحمته ورد عليه عافيته» (2).

أما تفسير الصابونى فقال فى قوله تعالى: ﴿ **أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ** ﴾ (3) أسند الضر الذى أصابه فى جسمه، وأهله، وولده، إلى الشيطان أدباً مع الله تعالى مع أن الفاعل الحقيقى هو الله تعالى فالخير والشر والنفع والضر بيد الله وحده ولكن لا ينسب الشر إليه وإنما ينسب إلى النفس والشيطان وهو على حد قول إبراهيم عليه السلام ﴿ **وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ** ﴾ (4) حيث نسب الإطعام إلى الله ونسب المرض إلى نفسه ثم قال والذى ينبغى أن يقتصر عليه المسلم أن ما أصاب أيوب عليه السلام إنما كان مرضاً من الأمراض المستعصية التى ينوء بحملها الناس عادة وخصوصاً إذا امتد الزمن بها.

ولقد دارت الأخبار الإسرائيلية حول أيوب ونسجوا حوله القصص والخرافات وكلها مرفوضة ثم قال: والله تعالى قادر على أن يخلق هذا من غير أن يكون للشيطان كسب فيه (5).

---

(1) ص: 41.
(2) ظلال القرآن المجلد الخامس ص3021 ط دار الشروق.
(3) ص: 41.
(4) الآيتان 80,79 الشعراء.
(5) كتاب روائع البيان تفسير آيات الأحكام للشيخ محمد على الصابونى جـ2 ص429 وما بعدها بتصرف يسير.

أما الإمام الزمخشرى فقال فى الكشاف : لما كانت وسوسته إليه وطاعته له فيما وسوس سبباً فيما مسه الله به من النصب والعذاب نسب إليه وقد راعى الأدب فى ذلك حيث لم ينسبه إلى الله فى دعائه مع أنه فاعله ولا يقدر عليه إلا هو .

والإمام الرازى أفاض فى هذا الموضوع حيث قال : إن الشيطان لا قدرة له البتة على إيقاع الناس فى الأمراض والآلام والدليل عليه من وجوه :

1- أنا لو جوزنا حصول الموت والحياة، والصحة والمرض من الشيطان، فلعل الواحد منا إنما وجد الحياة بفعل الشيطان، والحياة وما فيها من خير وشر بفعل الشيطان وحينئذ لا يكون هناك مجال لنعتقد أن الفاعل هو الله .

2- أن الشيطان لو قدر على ذلك فلم لا يسعى فى قتل الأنبياء والعلماء ، والأولياء، ولم لا يخرب ديارهم، ويقتل أولادهم .

3- أن الله حكي عن الشيطان قوله : قال تعالى : **﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي. . . .﴾** [1] الآية، فصرح أنه لا قدرة له فى حق البشر إلا على إلقاء الوساوس والخواطر الفاسدة .

4- لو كان الشيطان يقدر على الصرع، والمرض، والجنون، ويصيب بذلك من يشاء لكانت أفعاله أقوى من معجزات الأنبياء، وكرامات الأولياء وذلك يجر إلى الطعن فى النبوة .

إذا لا يجب علينا إلا أن نؤمن إيمانا لا يعتريه شك أن الفاعل لكل شيء هو الله وأن القدر المسموح به للشيطان هو كما فى قوله تعالى : **﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . . . .﴾** [2] .

وأختم بحثى بهذه الكلمات القيمة يقول الدكتور حمدى مراد أستاذ الحديث ورئيس قسم الشريعة والدراسات العليا بكلية أصول الدين :

1- لاشك أن عالم الجن حق، وأن عقيدتنا فيه ثابتة، وهذا ما أجمعت عليه الأمة من خلال النصوص القطعية من الكتاب والسنة .

2- أن الشيطان وقبيلة عدو لنا بنص الكتاب والسنة، وتشتد عداوته للأنبياء،

---

(1) ، (2) إبراهيم : 22

ثم العلماء، ثم الأولياء، ثم الصالحين، والسؤال : لم لا يتجسد الشيطان هؤلاء الناس، ويفتك بهم، ويصيبهم بالأمراض والعلل، وهم الذين يؤلبون الناس ضده وعليه؟ ولكننا نرى كما يدعون انه ينال من العصاة والجهلاء والفسقة فهل يعقل أن يترك أعداءه ويفتك بأصدقائه!

3- لو كان هناك أدنى علاقة تسمح بتدخل الجن فى شئون الإنسان غير الوسوسة، والإيحاء لكان حقاً على الله أن يبينه لنا، وأن يحذرنا منه، ورسول الله ﷺ ما ترك شاردة ولا واردة فى حياتنا إلا ذكرها وبينها ثم تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها .

4- أن كثيراً من الأحاديث التى وردت فى هذا الباب ظنية الثبوت عن رسول الله ﷺ وأن كثيراً مما أسند لأهل العلم وخاصة ممن يعتد برأيهم فيه نظر، بل لم يثبت حسب أصول هذا العلم الشريف، فكيف نقيم فهما واعتقادا كهذا على افهام ظنية، أو تجارب شخصية، أو آراء غير علمية.

5- ثم يقول : كانت لى تجارب عديدة مع هؤلاء الدجاجلة والمشعوذين والحوار الطويل ولم يثبت عندى شيء من دعواهم الباطلة لأنها ليست حقيقة ولا شيئاً من الحقيقة إلا عند الواهمين والمخدوعين[1] .

وأقول أن مما يؤسف له أن هذه الأفكار لا نجد لها متنفسا ألا بين المسلمين، بينما لا نجد لها رواجاً بين الملاحدة، ، وأصحاب العقائد المنحرفة، لقد مضى أسلافنا رضوان الله عليهم وما على الأرض من قوة الأوقد اندحرت أمام قوة إيمانهم، وتمسكهم بعقيدتهم فماذا جرى؟

ويقول الشيخ محمد الغزالى : «هل يجوز لاتباع دين كالإسلام أن تشيع بينهم هذه الأوهام عن عالم الجن أن الله عز وجل سائل المسلمين عما فعلوا بدينهم وعما لحق بهذا الدين البريء منه تهم»[2] . والله تعالى أعلى وأعلم.

(1) كتاب (علاقة الإنسان بالجان) للشيخ حسان عبد المنان - المملكة الأردنية الهاشمية نقلاً عن كتاب «قذائف الواحد القهار للشيخ/ بدوى محمد طه رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية» وذلك بتصرف يسير.
(2) نفس المرجع السابق.

الباب الثانى

أما آن لأمتنا أن تعلم ؟!!![1].

هذا المبحث يتضمن العناصر الآتية:

- الوفاق العالمى ضد الإسلام والمسلمين.
- حقائق تاريخية.
- العمل على إضعاف المسلمين.
- معاول الهدم المختارة.
- حاضر الأمة الإسلامية.
- قلب الموازين.
- الواقع المرّ.

(1) نشر للمؤلف هذا المقال فى عددين من مجلة «نور الإسلام» - العدد الخامس السنة الثانية والستون أكتوبر 1993 والعدد الأول السنة الثالثة والستون يونيو 1994 تحت عنوان «متى تفيق الأمة الإسلامية»؟

الوفاق العالمى ضد الإسلام

أرى العواصف العاتية القادمة من الغرب تهب على الإسلام بعنف وقوة تريد القضاء عليه ، وأرى الخطر القادم من الشرق يريد أن يبتلعه ويلقيه فى اليم، أما الصهيونية العالمية فأراها تصك وجهها وتكشر عن أنيابها وترميه بكل ما لديها وما عندها ، والكفرة وأذنابهم فى كل مكان هم فى ضلال وسعر لا ينفكون عن حقدهم على الإسلام، ويتخبطون لسماعه كـ﴿ **الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ**﴾[1] ويوحى بعضهم إلى بعض: ﴿ **لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ**﴾[2] و ﴿**كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ (٥٠) فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ**﴾ [3] .

وكأن شياطين الإنس والجن قد تعانقوا وتعاهدوا وتقاسموا على أن لا يرتفع للإسلام علم، ولا ينتظم له صف، ولا تتوحد له كلمة ﴿**يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾ [4] .

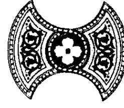
لذلك أعلنوا بكل صفاقة وكلاحة أن الإسلام هو الخطر عليهم وعلى بقائهم وكيانهم فعملوا على هدمه وإذلال أمته؛ والقضاء عليه وعلى آثاره، ومعالمه ، بكل ما أوتوا من قوة؛ ولقد صدق رسول الله ﷺ الذى لا ينطق عن الهوى؛ والذى أوتى جوامع الكلم حيث قال ﷺ : «**يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها**» قالوا: أمن قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: «**بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من قلوب أعدائكم المهابة منكم وليسلطن عليكم الوهن**» قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: «**حب الدنيا وكراهية الموت**» [5] .

فالأمم لاتقاس بالكم كما لا يقاس الرجل بالطول والعرض، والحق لا يعرف بالرجال ، وإنما تعرف الرجال بالحق ،ولقد صدقت نبوءة الرسول الكريم فالمسلمون اليوم أكثر من مليار وربع المليار مسلم ولكنهم غثاء كغثاء السيل لا وزن لهم فى

(1) البقرة: 275 .
(2) فصلت: 26 .
(3) المدثر 51,50 .
(4) التوبة32 .
(5) رواه أبو داود من حدث ثوبان 4276 والطبرانى .

عصر التكتلات العالمية لأن أحوالهم مفرقة، وجموعهم مبعثرة، وينتمون جميعا لعالم الفقر والمسألة.

والمتبع لتاريخ العالم الشرقى والغربى يجد بينهما تطابقاً، وتحالفاً، وإستراتيجية محكمة نحو الإسلام والمسلمين، فهم ينظرون إلى الإسلام نظرة المؤرخ (چيبون) الذى حذر العالم من الإسلام وقال: «ربما يفاجأ العالم اليوم بما فوجىء به من قيام الدولة الإسلامية الأولى فى بقعة مغمورة من العالم (الجزيرة العربية) وكيف أفلح البدو فى ابتلاع أقوى امبراطوريتين فى زمانهما وهما دولتا الفرس والروم وما حولهما وبيزنطة، والمغول، وأوروبا، وتحس أنه يوما سوف يبتلعها إذا وقف على قدميه» (1). هذه النظرة المتأصلة من قديم هى التى تحكم التحالف العالمى ضد الإسلام عبر التاريخ.



(1) مجلة المختار الإسلامى العدد39 للسنة السابقة ص34وما بعدها.

حقائق تاريخية

اذكر هذه الحقائق التاريخية ليعيها المسلمون فى كل مكان حتى يتبين لهم الحق ويعلموا أن هذا الطاغوت العالمى وراء كل ما حل بنا من احتلال أرضنا، وتمزيق شملنا، وإهدار حقوقنا، وإذكاء روح الفرقة بين شعوبنا، ومع كل هذا يحاول أن يقنع العالم بما لديه من أسلحة إعلامية نادرة بأن الإسلام هو البدائية، هو الهمجية، هو البربرية، و الفوضى التى تهدد الحضارة العالمية **﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا ﴾**(1).

أولاً:

ديكتاتور ألمانيا هتلر: نشر فى وثائق الحرب الألمانية أن أمين الحسينى عرض على هتلر تأليف «فرقة أجنبية» مسلمة تلتحق بجيش هتلر وتكون من متطوعى شمال أفريقيا المسلمين لتقف بجانبه ضد الحلفاء قال هتلر: أنا لا أخشى الشيوعية ولا الحلفاء ولكننى أخشى الإسلام.. يقول الدكتور فهمى الشناوى: هذا القول نشر فى وثائق الحرب الألمانية ونشر فى مجلة روز اليوسف ونشر فى الدوحة منذ سنوات (2).

ثانيــاً:

مستشار الأمن القومى الأمريكى (برجنسكى) وضع استراتيجية كاملة أعلنها ونشرها قال: إن وفاقا يجب أن يتم بين روسيا وأمريكا لمواجهة الإسلام القادم أما (جلوب) باشا قائد الجيش الأردنى السابق فقال: إن الوفاق بينهما جاهز منذ بدء الحرب العالمية الثانية» (3).

ثالثــاً:

بريطانيا صاحبة التاريخ الأسود فى العالمين العربى والإسلامى والتى جثمت على صدورنا قرابة السبعين عاما كتمت فيها أنفاسنا، وأضاعت حقوقنا، وسلبت

---

(1) الكهف: 5.
(2) نفس المصدر السابق – مجلة المختار.
(3) نفس المصدر السابق.

أموالنا، وقتلت أطفالنا، وأكلت خيرات بلادنا، وأذاقتنا مر العذاب على مدى هذه السنين الطوال (يقول رئيس وزرائها جيمس كالاهان عام 1985 وردا على سؤال لأحد الصحفيين وهو: ماذا تتوقع من إجتماع القمة بين (ريجان -وجورباتشوف)؟ رد قائلاً أمام صحافة العالم: يجب عليهما بحث موضوع الإسلام ومنع عودته من جديد)[1] وكذلك رئيسة وزراء بريطانيا (مارجريت تاتشر) والتى كانت تعرف بالمرأة الحديدية تقول: (إن الإسلام هو الخطر الذى يهدد الحضارة العالمية هؤلاء أربعة زعماء غربيين فى أزمان مختلفة ومواقع مختلفة يقولون قولاً واحداً وهو خلاصة السياسة الدولية.

رابعــــاً:

(يقول المؤرخ (جرانفيل) الذى رافق الملك لويس التاسع فى رحلته من المنصورة إلى عكا بعد خروجه من السجن قال: إن خطة لويس التاسع فى معتقله بالمنصورة أتاحت له فرصة ليفكر بعمق فى السياسة التى كان أجدر بالغرب أن يتبعها إزاء المسلمين وانتهى به التفكير إلى أن الحروب الصليبية لم ولن تفيد ولابد من مواجهات أخرى مع المسلمين (ولم يشرح هذه الخطة) ثم يقول المؤرخ (رينيه جروسيه): أن الملك لويس التاسع رسم الخطة المبدئية للسياسة التى رأى أنها تمكنه من مواجهة الإسلام والقضاء عليه قال: لابد من الهجوم على العالم الإسلامى ككل فى كل أقطاره وفى عقر داره، وليست القدس وحدها.

وبالتالى قامت بريطانيا ودمرت ممالك الإسلام فى شبه الجزيرة الهندية وسيطرت على الخليج كله.

وانطلقت فرنسا فاحتلت الجزائر والمغرب وتونس وذهبت إيطاليا إلى ليبيا والصومال وأريتريا.

وسيطرت هولندا على جزر الهند الشرقية بأكملها وأخيراً وقعت مصر والسودان فى قبضة بريطانيا.

---

(1) نفس المصدر السابق.

أما ملك أسبانيا فأكد أمام البابا أن أسبانيا قد جندت نفسها لحرب المسلمين فى أفريقيا ودحرهم.

وعندما فتحت قناة السويس أرسل المهندس ديليسبس إلى البابا يقول له: الآن أصبح الطريق إلى قلب العالم الإسلامى مفتوحاً.

وعندما سقطت دمشق فى يد القوات الفرنسية ذهب القائد (غورو) إلى قبر صلاح الدين قائلاً: لقد عدنا مرة ثانية يا صلاح الدين.

وعندما دخلت قوات إسرائيل مدينة القدس 1967 تجمهر الجنود حول حائط المبكى وأخذوا يهتفون: يوم بيوم خيبر لقد ولى محمد وراح، محمد مات بعد أن أنجب بنات !!!!!!!.

وأخيراً وبعد هذا الدمار والخراب والذلة والمذلة يخطب رئيس وزراء بريطانيا (جلاد ستون) قائلاً: لن نستطيع القضاء على المسلمين وقهرهم ودحرهم ما بقى فيهم المصحف والأزهر والكعبة.

هذه سياسة الغرب قبل الإسلام والمسلمين فمتى تفيق الأمة الإسلامية؟؟؟. [1].

خامساً:

روسيا فى العالم الشرقى: لو قرأنا تاريخ روسيا القديمة نحو الإسلام نجده أشد خطراً عن روسيا الجديدة، روسيا القيصرية النصرانية كانت أشد ضراوة وفتكا بالمسلمين من روسيا الشيوعية كيف هذا؟ التاريخ يذكر أن روسيا النصرانية منذ ثلاثمائة سنة تقريباً كانت دولة صغيرة فقيرة حقيرة ولكن سال لعابها على الخيرات فى الممالك الإسلامية التى تجاورها فاستولت عليها واحدة بعد الأخرى نظرًا لضعف هذه الممالك فاستولت على مملكة الأورال، مملكة إسترخان، مملكة القوقاز، مملكة القرم، مملكة سيبريا، مملكة تركستان.

---

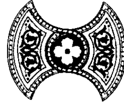
(1) عن كتاب دكتور عبد الودود شلبى عرض الأستاذ/ حلمى عبد المجيد فى كتاب (مختارات إسلامية) من ص 8 إلى 13 بتصرف يسير.

كل هذه الممالك الإسلامية الست والتى كانت ترفرف عليها رايات التوحيد استولت عليها روسيا، استولت روسيا على نصف أوروبا الشرقية ونصف آسيا الشمالى الإسلامى، وقتلت خلال هذه المعارك ما يزيد عن واحد وعشرين مليونا من المسلمين هذه الممالك الإسلامية كان منها العلماء الأفذاذ أمثال الأمام البخارى والأمام الترمذى، والأمام النسائى كانوا كلهم من تركستان والإمام جار الله الزمخشرى مفسر القرآن الكريم والأمام أبى البركات النسفى من مملكة تركستان وكان إمام البلاغة عبد القادر الجرجانى وسعد الدين التفتازانى وغيرهم من عمالقة الإسلام من هذه الممالك.

أما مملكة القوقاز التى فتحها عثمان بن عفان بعد أن فتح مصر عمرو بن العاص فى عهد عمر بن الخطاب فلما قامت الثورة البلشفية الشيوعية ساقت المسلمين فيها إلى مجازر لا يعلم مداها إلا الله لأنهم يؤمنون بمنطق الإلحاد، والثورة على الأديان خاصة الدين الإسلامى لذلك قامت هذه الثورة بتحطيم كل قيد يقيد حريتها وليس أمامها عائق قوى إلا الإسلام.

لذلك صبت عليه جام غضبها هذه روسيا القديمة وتلك روسيا الجديدة، إذا هو اتفاق فى السياسة الدولية لمنع عودة الإسلام السياسى وعدم عودة الخلافة الإسلامية أما الإسلام المسموح به عندهم فهو الإسلام المستأنس، إسلام الدراويش، ومحترفى التجارة بالدين، إسلام عصور التخلف والإنحطاط، إسلام الموالد والمناسبات، إسلام الجبرية فى الاعتقاد، والابتداع فى العبادة، والسلبية فى الأخلاق، والجمود فى التفكير، (والاشتغال بالقشور دون اللباب) [1].

أما الإسلام الحقيقى، إسلام القرآن والسنة، إسلام الصحابة والتابعين، إسلام القوة والحق، إسلام العزة والكرامة فهو مرفوض ومرفوض فمتى تفيق الأمة الإسلامية وتقرأ تاريخها ؟.



---

(1) كتاب «الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف» للدكتور القرضاوى ص123 بتصرف يسير.

العمل على إضعاف القوة الإسلامية

أ- قرأنا فى الصحف المصرية أن باكستان لما عزمت على صنع القنبلة الذرية وقف الرئيس الأمريكى منذراً ومحذراً باكستان بالحصار، وقطع المساعدات إن هى فعلت ذلك، ومعلوم أن جارتها الهند صنعت القنبلة الذرية بعون روسى، وأمريكا تعلم ولم تهدد ولم تقطع المساعدات، وكأن شيئاً لم يحدث فلماذا؟[1].

إن التحالف العالمى بقيادة أمريكا يصر على بقاء المسلمين الأضعف فى أى صراع يقع هنا أو هناك، وهو نفس الخط الذى تسير عليه أمريكا فى الصراع العربى الإسرائيلى، الخط الذى يجعل إسرائيل وحدها قادرة على أن تهزم أكثر من عشرين دولة عربية مجتمعة، وذلك بترجيح كفتها عسكريًا، ومدنيًا والتدخل المباشر إن اختل الميزان.

ب- عندما أسلم المفكر الفرنسى العالمى (رجاء جارودى) قامت الدنيا ولم تقعد وقدم الرجل للمحاكمة، ووقف أمام القضاء بتهمة معاداة السامية، واتفق الناشرون بباريس على ألا يطبعوا له كتابا وألا يتعاونوا مع من يتعامل معه، وحُورب الرجل فى رزقه، وفى فكره، وفى عمله، ولا ذنب له إلا أن قال لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ.

جـ- لما ألف سلمان رشدى كتابه (آيات شيطانية) يهاجم فيه الإسلام ورسول الإسلام ﷺ ووصف الرسول بما لا يليق، هلل له الشرق والغرب معاً وفتحوا أمامه كل مغلق، وتلقف الناشرون الكتاب، وروجوا له حتى تطوعت بعض دور النشر بطبعه على حسابها الخاص، وعلا شأن الرجل عندهم حتى استقبله الرئيس الأمريكى «بيل كلينتون»، وقبله استقبله «جون ميجور»، ولا معنى لذلك إلا أن سلمان رشدى أصبح ورقة سياسية فى يد خصوم الإسلام كما كانت البوسنة ورقة فى يد أوروبا، لإذلال المسلمين وكشمير ورقة فى يد الهند، وقبرص فى يد اليونان وكلها أوراق يراد بها إذلال المسلمين على المسرح الدولى.[2].

---

(1) الحق المر للشيخ الغزالى ص7.
(2) نفس المصدر السابق.

د- وأخيراً ما نراه وما نسمعه اليوم من حرب الحصار والتخويف والتجويع على الشعب العراقى ما يقرب من أربعين دولة جندهم الطاغوت الأمريكى لضرب العراق بكل ما خطر وما لم يخطر على البال من أسلحة وبآلاف الأطنان من القنابل العنقودية الذكية والغبية بحجة البحث عن أسلحة الدمار والعجيب والغريب أن بجانب العراق دولة إسرائيل بها كل ما خطر وما لا يخطر على العقل من هذه الأسلحة فلماذا؟ ولماذا يبقى المسلمون هم الأضعف دائماً؟ .

احـــــرام على بلابله الدوح	حلال للطير من كل جنـــس
كل دار أحـــق بالأهـــل إلا	فى خبيث من المذاهب رجس

هـ- أسبانيا : ولكن العجب كل العجب هو دخول أسبانيا الحرب بكل هذا الحماس والتأييد المادى والمعنوى ، والمشاركة الفعلية فى الحرب ، فلقد أرسلت الآلاف من أبنائها بعتادهم وعدتهم فلماذا؟ هل هى الحرية التى يتشدقون بها؟ أو خوفهم على العالم من الأسلحة التى يبحثون عنها؟ أم هى طاعة المتبوع للتابع بحيث لو دخل جحر ضب دخل معه؟ أم هو التشفى من العرب اللذين فتحوها قديمًا؟ وهنا نقف ونرجع بالذاكرة إلى التاريخ القديم .

يذكر التاريخ أن المسلمين دخلوا أسبانيا عام 92 هجرية بقيادة لواء الإسلام موسى بن نصير ، وطارق بن زياد ، أخذ طارق معه سبعة آلاف من جند المسلمين وعبر بهم البحر حتى نزلوا عند سفح الجبل الذى سمى فيها بعد بجبل طارق ، هناك ترامت إليه الأنباء أن الفرنجة جمعوا له مائة ألف مقاتل فماذا يفعل؟ وقف على سفح الجبل وخطب خطبته الشهيرة والتى قال فيها : (أيها الناس أين المفر؟ البحر من ورائكم والعدو أمامكم وليس لكم والله إلا الصدق والصبر . .) إلى آخر ما قاله من الحث على الجهاد فى سبيل الله وقد كان لهذه الخطبة أثرها البالغ فى إحراز النصر وفتح المسلمون أسبانيا فى شهر رجب عام 92 هـ وتوغلوا فيها حيت طرقت خيولهم أبواب باريس) [1] .

---

(1) الدولة الأموية بين عوامل البناء ومعاول الهدم للدكتور الطيب النجار رئيس جامعة الأزهر السابق .

وظل المسلمون فى أسبانيا حتى عام 896 هـ حتى اختلفوا فيما بينهم وتحولت أسبانيا إلى ملوك الطوائف وضعفت القوة الإسلامية فدخل الصليبيون البلاد ورفعوا راية التثليث وأنزلوا رايات التوحيد ، قال شوقى :

يا أخى أتدلس عليك سلام   هوت الخلافة عنك والإسلام

يقول الأستاذ أنور الجندى فى كتابه عقيدتنا توحيد وبناء ص 140 قال : (عندما انهزم السلطان أبو عبد الله آخر ملوك غرناطة أمام ملك أسبانيا(فردينا ندو) وسقطت عاصمة ملكه فى قبضة الأسبان خرج أبو عبد الله مع أسرته ووقف فوق جبل يشرف على المدينة يلقى نظرة أخيرة وتساقطت الدموع من عينيه وكانت أمه (عائشة) بجانبه فقالت له على الفور : ابك كما تبكى النساء، ابك ملكاً لم تحسن الدفاع عنه كالرجال) .

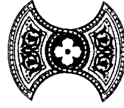
إن أسبانيا كانت غالية علينا، إن أسبانيا كان لها تاريخ معنا ، إن أسبانيا تذكرنا بمجد الإسلام وعظمة المسلمين وقوتهم ، ومن أسبانيا وقف العالم يتساءل : كيف وصل الإسلام أسبانيا؟ كيف وصل الإسلام أبواب باريس؟ كيف وصل الأناضول؟ كيف دخل جزر البحر الأبيض المتوسط : مالطة وصقلية، وقبرص؟ كيف ابتلع فارس والروم؟ وقف العالم كله مشدوهًا أمام هذا العملاق الإسلامى شاخصا ببصره إلى هذه القوة الإيمانية التى فاقت الوصف والنهضة العلمية التى فاقت الحد، والعبقرية السياسية والعسكرية اللتان كانتا من عجائب الدهر نظام فريد، عجيب، غريب، لم يألفه العالم من قبل .

فهذا عقبة بن نافع يقف بالإسلام على شاطىء المحيط الأطلسى، وقد أنزل جواده فى الماء ثم يرمى بطرفه إلى الأفق البعيد فلا يرى شيئاً فيقول : (اللهم رب محمد لولا هذا البحر لفتحت الدنيا فى سبيل إعلاء كلمتك اللهم فأشهد) ثم يأتى من بعده أخوه فى الإسلام طارق بن زياد ويرى أسبانيا فيعبر البحر ويفتحها ويفتح ما حولها ويتجه بالإسلام فى آخر بلاد المشرق قتيبه البالهلى ويأبى إلا أن يتوغل فى بلاد الشرك فيقول له أحد أصحابه مشفقًا ومحذراً : يا قتيبة لقد أوغلت فى بلاد الشرك والحوادث بين أجنحة الدهر تقبل وتدبر ، فيقول له قتيبة : بثقتى بنصر الله أوغلت وإذا انقضت المدة لم تنفع العدة فيرد عليه المشفق الناصح، يقول : اسلك

سبيلك يا قتيبة فهذا عزم الرجال ، هذا عزم الأبطال ، هذا عزم أتباع محمد بن عبد الله .

من هنا قال الشرق والغرب :

لابد من إيقاف هذا المد . . وإذًا لابد من القضاء على هذا العملاق الإسلامى . . لذلك اتفق العالم كله شرقاً وغرباً على تحجيم الإسلام، ومحاصرته وضرب قوته أينما كانت، لابد أن تقطع يديه ورجليه من خلاف، ومن هنا جاء تحذير المؤرخ (چيبون) الشهير حينما قال : (ربما يفاجأ العالم اليوم بما فوجىء به من قيام الدولة الإسلامية الأولى فى بقعة مغمورة من العالم وكيف أفلح البدو فى ابتلاع أقوى إمبراطوريتين فى زمانهما وهما دولتا الفرس والروم) وبالرغم مما يحدث بين الغرب والشرق من خلاف أو بين الغرب والغرب فهناك اتفاق عالمى على بتر الإسلام، وتشويه صورته، ومحو آثاره ومعالمه، فما آن للأمة الإسلامية أن تعلم؟؟



معاول الهدم المختارة

بعد أن فشلت الحروب الصليبية التى استمرت سنين عدداً، وانتصر عليهم صلاح الدين الأيوبى نصراً مؤزراً فهزم ملك فرنسا وانتصر على ملك إنجلترا ريتشارد قلب الأسد، فلم تضعف شوكتهم، ولم تخمد نار الحقد والعداوة التى تشتعل فى قلوبهم ، فنجحوا فى إسقاط الخلافة الإسلامية عام1924 م على يد كمال أتاتورك وتقاسموا تركتها، وأحكموا القبضة على مقدرات الدول العربية كلها ومن يومها إلى الآن وهم يجندون جنودهم، ويسخرون عقولهم، وأقلامهم ونفوذهم لتغريب المسلمين فى أوطانهم وإزكاء روح الفتنة بين شعوبهم وقادتهم وصرف الشباب عن دينه وقوميته واستعملوا فى ذلك عدة معاول لتفتيت الكيان الإسلامى ومنها :

أولاً: تدمير الشباب:

كما هو معلوم أن الشباب فى أى أمة هم أملها ورجاؤها، هم حاضرها ومستقبلها، هم القوى التى تزاحم الأخطار فى سبيل عقيدتها، وتغالب الأحداث فى سبيل مبدئها ومنهجها، فإذا ما وجد الشباب المناخ الطيب، والتوجيه السليم سعدت به الأمة وعلت علوا كبيرا، وإذا أهمل الشباب وفقد مصداقيته، وتعطلت مواهبه، وانغمس فى الرذيلة، وداس الفضيلة، أصبح وبالاً على الأمة وشقاءاً لها .

وهذا هو ما يسعى إليه الاستعمار الحديث مع الصهيونية العالمية من تدمير الشباب المسلم والقضاء عليه عقلياً؛ وخلقياً ونفسياً وصحياً ، وذلك بالعمل على مروقة من الدين وإغراقه فى التبذل والإسفاف، وعدم الشعور واللامبالاة وانشغاله بقضايا ثانوية؛ وإيهامه بأن المجتمع المسلم مجتمع فاسد ميئوس من إصلاحه مادام الدين يقف أمام كل تقدم بالمرصاد وبذلك يصبح الشباب المسلم مسخاً فاقد الشخصية إذا خاطبته تجد إنساناً تائهاً فارغاً من كل المبادىء والقيم فلا تدرى أهو شرقى أم غربى؟ مسلم أم شيوعى؟ عربى أم هندى؟ فكلاهما سواء .

ثانياً: الغزو الثقافى:

أ- لقد ملأ الاستعمار الحديث أجواء العالم العربى والإسلامى بالكتب

والمقالات والمجلات والصحف التى تصور الإسلام على أنه دين البربرية، دين الهمجية، دين متعطش للدم وسفك الدم، دين قاصر عن مسايرة ركب الحضارة التقدمى اقتصاديًا، واجتماعيًا، وإنسانيًا، ويبرهنون على قولهم بالأسلوب الماكر المخادع بحقوق المرأة، بتعدد الزوجات، بمضاعفة حق الرجل عن المرأة فى الميراث، بإباحة الطلاق، بالعمل الوحشى كما يقولون فى ختان الإناث وهناك قضايا مطروحة يقف أمامها الإسلام كنقل الأعضاء وسفور المرأة، والحجاب . . . . الخ .

ب- قيام أجهزة الإعلام المقروءة والمسموعة المرئية وغير المرئية من الفوضى الأخلاقية، كالإباحية الجنسية، وتعاطى السموم والمخدرات، والاستخفاف بالدين وأهله، وعقوق الابن لأبيه وأمه ونجح الاستعمار فى سقوط بعض الشباب فى هذا المستنقع العفن، وانسلخ من دينه كما ينسلخ العريان من ثيابه .

جـ- قيام أجهزة الاستخبارات الأمريكية بعمل «غسيل مخ» إن صح هذا التعبير، وخاصة للشباب المسلم الذى يذهب إليهم لنيل الدرجات العلمية حتى يفقد الثقة فى دينه أولاً ثم فى سلفه الصالح ثانياً من أمثال أبى بكر، وعمر، وعثمان، وعلى، ثم إثارة الفتن والشكوك حول التراث الإسلامى وأن القرآن الكريم لم يعد مطابقاً للعصر، وأنه قاصر عن تحقيق وتحديد العلاقات الاجتماعية، والصراع الطبقى كما فعل (كارل ماركس) ثم يعودون إلينا بوجه غير الوجه، وبدين غير الدين، وبذلك يصبح نكالاً على دينه، ووبالاً على أمته وعروبته .

ثالثاً: الغزو العسكرى:

فإذا لم تنجح الأولى ولا الثانية لجأ إلى القوة العسكرية واختلق لها كل المبررات والحيل، وهاك الأمثلة :

1- **فى إيران:** لما قامت الثورة الإسلامية هناك أحدثت زلزالاً عنيفا فى المنطقة، وأشعلت ناراً حامية، وكانت الحرب الباردة بين القوتين العظميين (روسيا وأمريكا) على أشدها ولكن نظراً للوفاق العالمى ضد الإسلام وقفت الدول الكبرى كلها صفاً واحداً لأنها تواجه خطراً واحداً مشتركاً هو العملاق الإسلامى الذى ظهر فجأة فى إيران إذاً لابد من القضاء عليه عسكرياً فزج بالعراق لتلك المعركة وذلك لهدفين :

الأول: هو القضاء على الثورة الإسلامية أوتحجيمها، الثانى: حتى تأكل النار بعضها، وأسرعت الدول الكبرى بتقديم المساعدات للعراق (فرنسا - بريطانيا - روسيا - أمريكا) ولم تسقط الثورة الإسلامية فى إيران بعد ثمان سنوات عجاف ولكنهم أوقفوا مدها، وأغاروا صدور جيرانها عليها فلم تتخطى الثورة حدود الدولة الإيرانية وهذه الحرب هى ما سميت بحرب الخليج الأولى.

2- **حرب الخليج الثانية:** دارت الدائرة على العراق ومعها دول البترول فقد امتلأت خزائنهم بالأموال، وأصبحت العراق قوة لا يستهان بها فى الأسلحة والعتاد، والخبرة القتالية، وفى هذا خطر على ميزان القوى بين العرب وإسرائيل فلابد من إفراغ تلك الخزائن، وضياع الأرصدة، وتمزيق العراق.

3- **حرب أفغانستان:** بعد أن فشلت الشيوعية فى أفغانستان وهوت إلى غير رجعة اتنتهز الطاغوت الأمريكى أحداث 11 سبتمير وقام بخيله ورجله يجر خلفه أتباعه من خطامهم وصار يضرب الدولة المسلمة المسالمة بتهمة لم يقم عليها دليل فقتل من قتل وشرد من شرد وأقام بها حكاماً لا يعصون له أمراً.

4- **فى فلسطين:** مازالت الحرب بها مستعرة.

5- **فى البوسنة والهرسك:** نفاجأ بالمقابر الجماعية للمسلمين كل يوم.

6- **فى الشيشان:** مازالت الحرب قائمة.

7- **ثم الجماعات الإسلامية:** التى يبحث عنها فى كل مكان بحجة القضاء على الإرهاب.

فمتى تفيق الأمة الإسلامية؟ وما آن لها أن تعى وتعلم؟

العوامل التى ساعدتهم فى حملتهم:

وقد ساعدهم فيما يقومون به الأسباب الآتية:

أولاً:

ما قامت وتقوم به بعض العاصر الإسلامية المتشددة من أمور يأباها الإسلام بل يجرمها، ويحرمها، وينفر منها من قتل، وخسف، وفوضى أخلاقية، فقالوا هذا

هو الإسلام الحركى، هذا هو الإسلام الهمجى، وهؤلاء هم المتعطشون للدم بذنب وبلا ذنب ، ولما حدث الهجوم على مركز التجارة العالمى ومبنى وزارة الدفاع ومبنى البنتاجون فى الحادى عشر من سبتمبر قامت الدنيا ولم تقعد وقالوا : هذا نذير، هذا إعلان وبيان للناس، هذه بداية الدمار العالمى والقضاء على الحضارة الغربية والعالمية التى يخطط لها الإسلاميون ويصيح الرئيس الأمريكى فى كل دول العالم هيا بنا للقضاء على الإرهاب وأوكاره فى الدول الإسلامية وأولهم أفغانستان وأيدته كل دول العالم رغباً أو رهباً، طوعاً أو كرها، حتى الدول العربية والإسلامية حفاظا على حياتهم وحياة شعوبهم فالحرب لا تبقى ولا تذر وقام الرجل يضرب بيمناه ويسراه كل حركة إسلامية فى العالم ﴿ أَزِفَتِ الآزِفَةُ (٥٧) لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾[1] .

ثانيـا:

صورة الشتات والتفرق والتمزق التى تصيب المجتمع الإسلامى مما بين العرب والعرب من إحن ومحن وخلافات، وما بين المسلمين والمسلمين من عداوة وأحقاد، وما بين الفرق الدينية المعتدلة والمتطرفة كأهل السنة والشيعة، وسلف وخلف، وحركيين وأصوليين، وأعراب وأعاجم، ما بين هؤلاء وهؤلاء من خلاف، ومد وجزر، وإقبال وإعراض، قد يؤدى إلى الحرب وسفك الدماء كالحرب اللبنانية الماضية، والحرب الصومالية، وحرب الخليج الأولى والثانية، وحرب القبائل فى اليمن، والسودان، والصومال، والشيعة والأكراد، والمسلمون والمتمسلمون وهكذا ولو أنهم اتفقوا وما تفرقوا واتحدوا وما اختلفوا وأظهروا الصورة المثلى لدينهم وأعطوا الصورة الجمالية لفكرهم لسادوا الدنيا وعلوا فيها علوا كبيراً ودان لهم العالم وتمكنوا من زعامته من جديد .

ثالثا: ضعف العقيدة الإيمانية:

العقيدة الصحيحة : هى القوة الإيمانية النورانية المستكنة فى القلب التى تجعل ولاء الإنسان وخضوعه لا يكون إلا الله عز وجل فهو يؤمن بالله خالق كل شيء،

---

(1) الآيتان 58,57 النجم .

وهو الذى يملك كل شىء، نواصى العباد بيده ، وأقدارهم فى قبضته ، ومردهم إليه وإليه يرجعون، ومن هذه العقيدة ينال حريته وكرامته، ومنها يُعطى عزته وقوته، كما قال رب العزة ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (1) ولذلك يقول أمير المؤمنين عمر : (كنا أذلاء فأعزنا الله بهذا الدين) .

والإيمان الصحيح هو الذى لا يخالطه شك ولا يعتريه ريب هو الإيمان الثابت كالجبال الراسيات، تزول الجبال ولا يزول، لا تعصف به الريح، ولا تغيره مجريات الأحداث، المؤمن هو التقى النقى الذى لا غش فيه ولا تدليس. . المؤمن من أمنه الناس على دمائهم ، وأموالهم، وأعراضهم ، إنه يعطى الصورة المثالية التى تظهر جمال المكون فى كونه والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده وهذه هى الصورة الكمالية ولذلك كان الإيمان هو الذى يربى الشخصية، وينمى الإحساس بالمسئولية وكمال عزة المسلم فى رد أمره إلى خالقه «**واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لن ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك وإن اجتمعت على أن يضروك بشىء لن يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك**» (2) وبذلك يكون الإيمان متغلغلاً فى النفس والقلب، تجرى حرارته فى العروق والدم فتحمله على العمل المتواصل فى الحق والخير وجعل كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى فإذا التقت هذه الطائفة بالمشركين كان النصر حليفها قال تعالى: ﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (3) .

أما إذا ضعفت العقيدة ودب فيها الوهن فهى تتأرجح بين أطباق ثلاث :

الأول: الإفراط فى العبادة عن جهل، والغلو فيها عن قصد وذلك لدنيا ومغانم يزخذونها، وما كان لغير الله فهو أبتر، والله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا لوجهه قال تعالى: ﴿ أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ (4) وقال : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾ (5) وهو سبحانه أغنى الأغنياء عن الشرك والشركاء.

---

(1) المنافقون: 8.

(2) جزء من الحديث الشريف الذى رواه عبد الله بن عباس ـ رضى الله عنهما ـ والحديث رواه الترمذى.

(3) الأنفال: 10.

(4) الزمر: 3.

(5) البينة: 5.

الثانى:

التفريط فى العبادة والتسيب فيا فلا يأخذ من الدين إلا نتفا صغيره، ولا يؤدى منه إلا أفعالاً قليلة، ولا يفعل إلا ما كان فيه رجاء وأمل، فهو يرتفع كلما تحققت بجواره المغانم العاجلة، وينخفض عندما تتحول الريح إلى غيره، فهو كمن يعبد الله على حرف، قال تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ**﴾(1).

أما الصنف الثالث:

فهو لا مع هؤلاء ولا هؤلاء، إنه فى تعداد المسلمين فقط، تجرى عليه أحكامهم له ما لهم وعليه ما عليهم من القوانين والأحكام واتخذ الدين لهواً ولعباً يسعى إلى المنكر ويؤيده ويمشى فى الفساد ويباركه يحل ما حرم الله ويحرم ما أحله ويعتبر التمسك بالدين رجعية وأن الخروج عليه هو التقدمية والعصرية، قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ** ﴾(2) فإذا التقت هذه الفئة مع المشركين كانت الغلبة فيها للأقوى عدداً وعدة وأزكى عقلاً ومكراً وخدعة.

يقول أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه لسعد بن أبى وقاص – رضى الله عنهم أجمعين – «أما بعد . . . فإنى آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو، وأقوى المكيدة فى الحرب، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصى منكم من عدوكم فإن ذنوب الجيوش أخوف عليهم من عدوهم وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة لأن عددنا ليس كعددهم، ولا عدتنا كعدتهم، فإن استوينا فى المعصية كان لهم الفضل علينا فى القوة . . إلى آخر هذه الرسالة القيمة.

ولقد أكد رضي الله عنه على أسباب النصر الحقيقية كما جاءت فى النص القرآنى قال تعالى: ﴿ **وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ** ﴾(3).

---

(1) الآية 11 الحج.
(2) البقرة: 206.
(3) آل عمران: 126.

حاضر الأمة الإسلامية

الأمة الإسلامية الآن يقدر عددها بأكثر من مليار وربع المليار مسلم يعيشون فى ست وأربعين دولة أحوالهم مفرقة، جموعهم مبعثرة، يتقلبون فى الإحن والمحن، والفقر ينشر جناحية بينهم، المسلمون اليوم فى فتن، المسلمون فى شتات، المسلمون فى خصام مع الإسلام، والإسلام ينادى ويقول:

ما للمنازل أصبحت لا أهلـــها أهلى ولا جيـــرانها جيرانى

المسلمون كلهم ينتمون للعالم الثالث، عالم التخلف، عالم الجهل، والفقر، والمرض، بعض هذه الدول يعيش تحت خط الفقر، وبعضهم فى خط الحصار والموت، والبعض الآخر يعيش مغلوبًا على أمره لا يستطيع أن يتخذ لنفسه أمراً ينتظر ما يتلى عليه اللهم إلا بعضهم وقليل ما هم، وهاك الصورة الواقعية:

1- **فى فلسطين:**

نرى أطفال الحجارة تحرقهم القنابل وهم أحياء، البيوت تهدم على من فيها، المزارع تحرق بما فيها، نهبت أموالهم، وسرقت أرضهم، ورملت نساؤهم، وشردت أطفالهم يعيشون فى فزع ورعب بين الموت، والحياة بين اليأس والرجاء على أمل أن تعود إليهم أرضهم ويعيشون آمنين فى بيوتهم كما يعيش كل الناس.

2- **فى أفغانستان:**

(تعجب كل العجب لما وصل إليه حال الحضارة العالمية دولة آمنة مسالمة طردت الحكم الاستبدادى من أرضها وتحاول أن تنهج النهج الإسلامى فجاءها من يخيفها من الشرق يحاول أن يثنيها عن عزمها فدخلتها روسيا واستمرت الحرب سنين عدداً وكان النصر فيها للإسلام ولكن القادة الذين قاتلوا الشيوعية وطردوها من ديارهم عاشوا يقتتلون على السلطة حتى فاجأهم الطاغوت الأمريكى فمحاهم كلهم، وأبادهم عن آخرهم، وألقى الرعب فى قلوبهم، ففر من فر وهرب من هرب وقتل من قتل وبعد أن فعل ما فعل أتى برجال لا يعصون له أمراً أقعدهم على إدارتها يفعلون له ما يشاء، وهم أطوع إليه من نفسه، وأخوف عليه من أهله وعشيرته) [1].

(1) من مقال للدكتور مصطفى محمود فى جريدة البرلمان بتصرف يسير.

3- **ولما لم يفرغ من أفغانستان استدار نحو الدولة العربية المسلمة الأخرى العراق:**

واختلق لحربة حجة وهى تخليص الشعب من الحكم الاستبدادى الظالم والعجب العجاب أنه يضربهم بكل أنواع الأسلحة ليلاً ونهاراً وبين الفينة والفينة يأتى لهم بالغذاء ما هذا؟ ياليت قومى يعلمون بشاعة ما يفعله المجرمون؟

4- **فى ليبيا:**

ضرب عليها الحصار سنين عدداً، فى الشيشان، فى شمال وجنوب السودان، فى الصومال، فى أريتريا.

5- **فى الحرب الكلامية والإعلامية:**

بين الدول العربية والإسلامية، وبين الدول العربية والعربية صورة رديئة ومنظر مهين لأمة قال فيها ربها ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**﴾(1) ولكنهم لما تركوا كتاب ربهم وسنة نبيهم وتهاونوا فى عقيدتهم، وانسلخوا من دينهم وانشغلوا بدنياهم أصيبوا بالشلل العلمى، والعقم الفكرى، والهوس الدينى فتفككت وحدتهم، وضعفت قوتهم، وضاعت مكانتهم الدينية، والعلمية والحضارية.

وبذلك انعدمت الخيرية لأن الله تعالى لا يحابى أحداً ولا يجامل أحداً وسننه فى الكون لا تتخلف أمام مسلم أو كافر وهذه سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا ورضيت الأمة الرائدة بمكانتها ومنزلتها بين الأمم النامية رضيت أن تكون ساقة المعسكر الجاهلى وصدق فيها قول العربى الساخر «استأسد الحمل لما استنوق الجمل».

وبذلك أصبحت عالة على أعدائها شرقاً وغرباً فتوددت إليهم وارتمت فى أحضانهم مخالفة بذلك أمر ربها حيث يقول: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ**﴾(2) ويقول: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم**

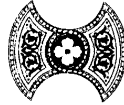
---

(1) آل عمران: 110.

(2) الممتحنة: 1.

مَنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾(1) نفث فيهم العدو من روعه فهابوه وخافوه كخوفهم من الله وأشد، ونظروا إليه نظر المغشى عليه من الموت فلم يحركوا ساكناً ولم يفعلوا شيئاً لإثبات وجودهم وتحقيق ذاتهم والله تعالى لا يعطى الفضل جزافاً، ولا يحابى أحداً ولا يجامل أحداً، ولا يمنح الكرم إلا لمن يستحق. . قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾(2) .

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾(3) ويوم يعودون لديهم ويصطلحون مع ربهم ويطبقون أحكامه الشرعية وينسلخون من الاستعمار الفكرى والتشريعى ويبحثون فى مخازن الهيئة التشريعية الإسلامية عما يَعنُّ لهم فى أمور حياتهم، هنا تكون الغلبة لهم، والنصر حليفهم، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾(4) .



(1) المائدة: 51.
(2) فصلت: 46.
(3) الرعد: 11.
(4) الروم: 5,4.

قلب الموازين

من العجب أن الإسلام انتشر فى المعمورة فى نحو قرن من الزمان بلا إكراه ثم فاجأ الناس بما لم يكونوا يحلمون به ولم يتوقعوا أن يسمعوه فى عهدهم وهو (أن الدين هو العقل ولا دين لمن لا عقل له) ثم عزز هذا المبدأ بآخر وهو النهى عن التقاليد والموروثات والنهى على المقلدين للآباء والأجداد فشرع المسلمون يطلبون العلم وجدوا فى طلبه ولم يدعوا فرعا من فروعه إلا صاروا فيه أئمة وفتح الإسلام أمامهم باب اللانهائية فاندفعوا وراء العلم اندفاعهم وراء الحياة فتعلموا الفارسية، والهندية، والسريانية.

ومن أغرب ما ذكره التاريخ أن العرب استعملوا كيمياء الذهب وجعلوا الزئبق أساساً لمحاولاتهم كما بحثوا فى التطور واكتشفوا أمريكا قبل (كريستوفر كولومبس) بقرون جاء فى كتاب (القرآن والمنهج العلمى المعاصر) للأستاذ عبد الحليم الجندى قال: حسب القارىء بيانا لمدى الانتفاع بعلوم الاندلس فى عالم الظلمات الأوروبى خطاب صادر إلى الخليفة هشام الثالث 418 هـ 422 هـ فى نصه غنى عن أى تفصيل جاء إلى الخليفة هشام:

(من جورج الثانى ملك إنجلترا وفرنسا والنرويج إلى الخليفة هشام الثالث بعد التعظيم والتوقير سمعنا عن الرقى العظيم الذى تتمتع بفيضه الصافى معاهد العلم فى بلادكم العامرة فأردنا لبلادنا اقتباس هذه الفضائل لنشر العلم فى بلادنا التى يحيطها الجهل من أركانها الأربعة وقد وضعنا ابنة شقيقتنا الأميرة «دوبانت» على رأس بعثة من بنات الأشراف الإنجليز).

من خادمكم المطيع «چورچ»

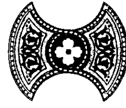
هكذا وصلت الأمة الإسلامية فى قوتها العلمية، والدينية، والعسكرية، والسياسية، وفى كل مجالات الحياة أسمى مكان وفى قمة الكمال البشرى الإنسانى والآن انقلبت الموازين، واختلت المعايير، واستطاع أحفاد چورچ، وماركس، ولينين، أن يمتلكوا أسرار الحياة، وأسرار الكون، وأن يسخروا المادة لأغراضهم والقوى الطبيعية لسعادتهم فألغوا قانون الجاذبية الأرضية، وصنعوا ما يشبه

المعجزات الكونية، ويهروا العالم بالخوارق الصناعية، ووقفوا على سطح القمر للوثوب منه إلى المريخ وبذلك دان لهم العالم طوعًا أو كرهًا، رغبًا أورهباً.

بينما نرى المسلمين فى خلاف وجدل بغيض حول هوامش جانبية لا تمت لجوهر الدين بصلة ولقد عجبت لسائل يسألنى عن حمل المسبحة أحلال أم حرام؟ ولقد ذكرنى هذا بالرجل العراقى الذى جاء يسأل عبد الله بن عمر عن دم البعوض فيعجب ابن عمر من سؤال الرجل ويقول: يسألنى عن دم البعوض وهم سفكوا دم الحسين بن بنت رسول الله.

فقد روى الإمام أحمد بسنده عن أبى نعيم قال: جاء رجل إلى ابن عمر وأنا جالس فسأله عن دم البعوض وفى طريق أخرى للحديث أنه سأله عن الذى يقتل الذباب وهو محرم فقال له ابن عمر ممن أنت؟ قال: من العراق. قال: ها! (أنظروا إلى هذا يسألنى عن دم البعوض وقد قتلوا ابن بنت رسول الله ﷺ وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**هما ريحانتى من الدنيا**» يعنى الحسن والحسين [1].

وقد يحتدم الخصام حول حلق اللحية أو تطويل الثياب أو تحريك الأصبع فى التشهد وربما تلتهب المشاعر حول النقاب والخمار والحجاب للمرأة فى الوقت الذى تكال لنا الضربات من كل جانب ويذبح المسلمون كالبقر فى الفلبين وفى إريتريا وألبانيا والبوسنة والهرسك وتزحف العلمانية على بلادنا وتثبت الصهيونية أقدامها وسؤالى هل يستقيم هذا الفكر فى عصر استعمال الفكر؟ هل يستقيم هذا الجدل فى عصر الاستدلال والنظر والله تعالى يقول: ﴿ **وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ١٩ وَلا الظُّلُمَاتُ وَلا النُّورُ ٢٠ وَلا الظِّلُّ وَلا الْحَرُورُ ٢١ وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلا الأَمْوَاتُ** ﴾ [2].

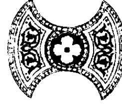


(1) أخرجه أحمد وقال الشيخ شاكر: إسناده صحيح.
(2) فاطر: 19 : 22.

الواقع المرّ

(المسلمون اليوم هم المستضعفون فى الأرض، هم المتهمون بما لم يفعلوه، هم المشبوهون بما لم يرتكبوه، هم المدفوعون بالأبواب، أكثر الدول الإسلامية فقراء يتسولون المعونات ويعيشون على القروض والهبات، وينتمون جميعاً للعالم الثالث مع أن الله تعالى زكاهم وأختارهم دون غيرهم ليكونوا شهداء على الناس فأرسل لهم رسولا من أنفسهم وأنزل عليهم كتابا بلغتهم محفوظا من التحريف والتبديل ولقد كانت أول كلمة فيه ﴿اقْرَأْ﴾[1] فكم منهم يقرأ وماذا يقرأ؟ وكيف يقرأ؟ وكان أول أمر لهم «توحيد الأولهية» قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[2] ولكنهم عبدوا الآلهة، عبدوا المناصب، والجاه، والمال، والهوى، وسبحوا للجالسين على الكراسى، وانشدوا المدائح للحاكمين والأمر الثالث قال تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾[3] وتكرر الأمر بالعلم، والعدل، والرحمة ومكارم الأخلاق فى مئات المواضع فى هذا الكتاب ولكنهم نسوا كل هذا ولم يذكروا منه إلا آية الحجاب التى جاءت فى موضع واحد وجعلوها قضية ونسوا قول الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[4] فلم ينشغلوا بالبحث والابتكار وعن تكوين القوة التى تنقلهم إلى عالم الكبار وإنما انشغلوا بتطويل الثياب والصلاة خلف الحليق)[5].

فمتى تفيق الأمة الإسلامية.. متى؟.. متى؟



(1) العلق: 1.
(2) الاخلاص: 1.
(3) التوبة: 105.
(4) الأنفال: 60.
(5) من مقال للدكتور مصطفى محمود فى جريدة البرلمان بتصرف يسير.

الباب الثالث

الظلـــــم

هذا المبحث يتضمن العناصر الآتية:

- لن يفلت الظالم من العقاب.
- دعوات أهل النار.
- متى نشأ الظلم ؟ وكيف نشأ ؟
- أسبابه ودوافعه.
- موقف الإسلام من الظلم.
- أنواع الظلم.
- رسول الله ﷺ يعطي الصورة المثلى للقصاص.

لن يفلت الظالم من العقاب

يقول الله تبارك وتعالى فى محكم الكتاب الكريم : ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾الآيات [1] وعيد بعده عيد ، وتهديد يعقبه تهديد وإنذار للطغاة والظلمة، الذين أذلوا الرقاب، وضيعوا حقوق العباد، وظنوا أن الحياة فوضى لا رقيب فيها ولا حسيب.

فما أفجر الإنسان بماله إذا طغى، وما أكفر الإنسان بدينه إذا لغى، إذا طغى بالمال فقد ضل، وإذا لغى بالدين فقد ذل، ومن طغى وبغى خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ .

هكذا . . هكذا يعلن القرآن الكريم على الملأ وعلى الدنيا بأسرها بأن الظلم حرام، وأن الظلم ظلمات يوم القيامة، وأن الظالم لن يفلت من عقاب الله عز وجل قال تعالى فى الحديث القدسى : «**وعزتى وجلالى لأنتقمن من الظالم فى عاجله وآجله، ولأنتقمن ممن رأى مظلوماً فقدر أن ينصره ثم لم يفعل**» [2] .

هذا الحكم المبرم الذى لا يتغير بتغير الزمن، ولا يتبدل بتبدل الأيام، هذا الحكم الشديد الصارم لمن هو؟؟ لمن قتل نفسا حرم الله قتلها، لمن زنى بامرأة وهتك سترها، لمن نقل الكلام من هنا إلى هنا، لمن أكل أموال الناس بالباطل، لمن سلب الأموال بغير وجه حق، لمن امتص دماء الفقراء وعرقهم، لمن اغتر بالوظيفة أو المنصب، لمن طغى ، وبغى ، وظلم ، لمن خلى قلبه من الإيمان، والرحمة بالعباد، حتى قسى قلبه واسود، وأصبح كالحجر لا يلين ولا يبالى بالضعفاء، والمساكين ، والأيتام، فلم يعد هذا القلب صالحًا إلا للنار، وبئس القرار.

جاء فى صحف إبراهيم قول الله لخليله إبراهيم : أيها النبى . . بلغة الشدة، والقوة، لإبراهيم الذى ألقى فى النار سبعة أيام فى سبيل الله، والذى أمر بذبح ولده فى المنام فامتثل للأمر وسارع بالتنفيذ ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ﴾[3] ولكن الله لطف

---

(1) إبراهيم : 42.

(2) رواه الطبرانى.

(3) الصافات : 106 .

به ورحم الذبيح فقال تعالى ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾[1] ، إبراهيم هذا يقول له ربه : **(أيها النبى إنى لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ، ولكنى بعثتك لترد عنى دعوة المظلوم فأنى لا أردها ولو كانت من كافر)** .

أقول هذا النص للمختلسين، والمرتشين، والسارقين، وللذين يأكلون أموال الناس بالباطل . . أقول هذا النص للذين يضيعون حقوق الناس فلا يعدلون فى قضية، ولا يقسمون بالسوية، ونتيجة لهذا الظلم نرى كم من نساء رملت، كم من أطفال شردت، كم من بيوت خربت، كم من أيتام بكت، كم من حقوق ضيعت قال تعالى : ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾[2] .

وفى ذلك يقول القائل :

لا تظلمن إذا ما كنـت متقـــدرا فالظلم آخره يفضى إلى الندم

تنــــام عينك والمظـــلوم منتبه يدعـو عليك وعين الله لم تنم

أفلا يسمع الله أنين المظلوم؟ ولا يرى عينه الباكية ؟ ولا يسمع خفقات قلبه الجريح؟ أفلا يرى المولى سبحانه حق المظلوم الضائع بين أمواج الظالمين ؟ لقد أعلمنا رسولنا الكريم أن الله مع المظلوم، وأنه يقف بجانبه فقال ﷺ : «**دعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام، ويفتح لها أبواب السماء، ويناديها وعزتى وجلالى لأنصرنك ولو بعد حين**»[3] .

وعن أبى موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، ثم قرأ :﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾**»[4] .

وعن خولة الأنصارية ـ رضى الله عنها ـ قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**إن رجالا يتخوضون فى مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة**»[5] قال تعالى :

---

(1) الصافات : 107 .
(2) إبراهيم : 42 .
(3) رواه مسلم والنسائى .
(4) هود : 102 ، الحديث متفق عليه .
(5) رواه مسلم .

﴿ولا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غافلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾(1) وهذه تسلية لرسول الله ﷺ أى ﴿ فاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ منَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾(2) ، وقال سبحانه : ﴿واصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً﴾(3) .

اصبر على أذاهم ولا تحزن عليهم، واعلم أن تأخير العذاب عنهم ليس لكرامتهم على الله، ولا للرضا بأفعالهم، بل هو إمهال، واستدراج لهم، وهذه سنة الله فى الخلق منذ الأزل ، قال تعالى : ﴿وأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾(4) ، قال تعالى : ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ (5) حتى إذا أخذهم . أخذهم أخذ عزيز مقتدر ثم يكون الجزاء يوم الجزاء . يوم تشخص أبصارهم فلا تغمض من هول ما يبصرون ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾(6) .

ينظرون إلى السماء وقد تغيرت، وإلى الأرض وقد تبدلت ، قال تعالى : ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾(7) يقلبون أبصارهم فيما حولهم، ولا يرتد إليهم البصر من شدة النظر والخطر، وأفئدتهم هواء، خرجت القلوب من الصدور ورفعت فى الحقوم . . وأنذر الناس يا محمد . . أنذرهم يوم يأتيهم العذاب من فوقهم، ومن أسفل منهم، وعن إيمانهم، وعن شمائلهم، فهذا يوم القيامة ، يوم يقال للظالم تقدم، وللمظلوم قم فتحكم ، قال تعالى : ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ﴿٢٧﴾ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً﴾(8) .

فيستغيث الظالمون ويستجيرون بمالك خازن النار يقولون : يا مالك . . يا مالك . . سل الله أن يخفف عنا العذاب ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم

---

(1) إبراهيم : 42 .
(2) الأحقاف : 35 .
(3) المزمل : 10 .
(4) القلم : 45 .
(5) الطارق : 17 .
(6) المعارج : 43 .
(7) إبراهيم : 48 .
(8) الفرقان : 29,28,27 .

مَّاكِثُونَ﴾[1] فيجارون إلى الله بالدعاء يقولون كما حكى المولى سبحانه ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (١٠٦) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ (١٠٧) قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ ﴾[2] فلا يتكملون بعدها أبداً.

دعوات أهل النار

لقد خَرَّج ابن المبارك حديثاً طويلاً فى دقائقه، وذكره الإمام القرطبى فى تفسيره جـ5ص3716 كما ذكره فى كتاب التذكرة، وذكره البيهقى فى سننه قال: عن محمد ابن كعب القرظى قال: لأهل النار خمس دعوات يجيبهم الله فى أربعة فإذا كانت الخامسة لا يتكلمون بعدها أبداً.

الأولى: يقولون ﴿ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾[3] فيجيبهم ربهم: ﴿ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴾[4].

الثانية: يقولون: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾[5] فيجيببهم ربهم ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[6].

الثالثة: يقولون ﴿ رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ﴾[7] فيجيبهم ربهم ﴿ أَوَ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾[8].

الرابعة: يقولون ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴾[9] فيجيبهم ربهم

---

(1) الزخرف: 77.
(2) المؤمنون108,107,106 .
(3) غافر: 11.
(4) غافر: 12.
(5) السجدة: 12.
(6) السجدة: 14.
(7) إبراهيم: 44.
(8) إبراهيم: 44.
(9) فاطر: 37.

﴿ أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾(1).

الخامسة : ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ (2) فيجيبهم ربهم : ﴿ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ﴾ (3) فلا يتكلمون بعدها أبدا وعندما ينقطع الدعاء والرجاء وربما يكون هذا معنى قوله تعالى : ﴿ هَذَا يَوْمُ لا يَنطِقُونَ (٣٥) وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾(4) .

متى نشأ الظلم ؟ ومتى وجد؟

الظلم قديم قدم الدنيا ، قديم قدم الإنسانية ، وجد يوم أن كان أبونا آدم فى الجنة يوم أن قال له رب العالمين : ﴿ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (5) ولما خالفا وأكلا من الشجرة ﴿ قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾(6) وكان هذا سببًا فى خروجها من الجنة ولكن الله تعالى أوحى إلى آدم بكلمات فتاب عليه .

قال تعالى : ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (7) قالت أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ : «**لما أراد الله أن يتوب على آدم طاف بالبيت سبعًا والبيت يومئذ ربوة حمراء فلما صلى ركعتين استقبل البيت وقال : «اللهم إنك تعلم سرى وعلانيتى فاقبل معذرتى ، وتعلم حاجتى فأعطنى سؤلى ، وتعلم ما فى نفسى فاغفر لى ذنبى ، اللهم انى أسألك إيمانًا يباشر قلبى ، ويقينًا صادقًا حتى أعلم أنه لن يصيبنى إلا ما كتبت لها وأرض بما قسمت لى ، فأوحى الله إليه : يا آدم قد غفرت ذنبك ولن يأتينى أحد من ذريتك فيدعونى بهذا الدعاء ا لذى دعوتنى به إلا غفر ت ذنبه وكشفت همومه ، ونزعت الفقر من**

(1) فاطر : 37 .
(2) المؤمنون : 106 .
(3) المؤمنون : 108 .
(4) المرسلات : 36,35 .
(5) الأعراف : 19 .
(6) الأعراف : 23 .
(7) البقرة : 37 .

بين عينيه . . . . أ.هـ) [1] .

لذلك حرم الله الظلم ، حرمه على نفسه وحرمه على عباده، قال تعالى في الحديث القدسي : «**يا عبادى إن حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا**»[2] وذلك لأنه عمل بغيض، وفعل قبيح، عمل تمجه الطباع الشريفة، وترفضه النفوس العفيفة، والظلم الذى صدر من أبينا آدم اختلف فيه العلماء على ثلاثة أقوال كما قال الإمام القرطبى :

الأول: أنه أقدم على كبيرة فكان ظلما صريحًا كما قال تعالى : ﴿ **وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ** ﴾ [3] .

الثانـي: أنه ظلم نفسه بأن ألزمها ما يشق عليها من التوبة .

الثالـث: أنه فعل خلاف الأولى ولما هبط آدم إلى الأرض كانت حواء تلد كل عام توأما ذكراً وأنثى، وكان الزواج بينهما بالتبادل، وكثر أولاد آدم، فذهب فريق منهم إلى ما يعرف الآن بالبصره، وذهب آخرون إلى ما يعرف الآن بالهند، وكان من الذى سافروا إلى الهند قابيل وأخته، وهابيل وأخته، وأراد قابيل أن يتزوج بأخته التى هى من حق هابيل، وحدث الخلاف، وأدى ذلك إلى أن قتل قابيل أخاه هابيل ، قال تعالى : ﴿**فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾[3] .

وكان هذا أول دم يراق على الأرض وكان آدم بمكة يعيش مع زوجه، وأولاده، ومع الحيوانات، والطيور، والسباع، والوحوش ولا يخاف هذا من هذا ولا هذا من ذاك ولما حدث القتل، نفرت الوحوش، وخافت السباع، وطارت الطيور، ولم يبق مع آدم إلا الحيوانات، ثم تغيرت الأطعمة وأغبرت الأرض وقال آدم حدث حدث فى الأرض، ثم جاء قابيل فدخل على أبيه، قال آدم. أين أخوك؟ قال: لا أدرى، قال: . . أفعلتها؟ والله إن دمه لينادى ويقول: اللهم ألعن أرضا شربت الدم، ومن يومها والأرض لا تشرب الدم، فجاءت حواء وقالت: ما الخبر؟ قال: مات هابيل

---

(1) أخرجه الطبرانى والبيقهى فى الدعوات ، كتاب الإتحافات السنية : فى الأحاديث القدسية ص255 .

(2) رواه مسلم : فى باب تحريم الظلم جـ10 ص8 .

(3) طه : 121 .

فرنت. أى أحدثت صوتًا طويلاً غريباً، فقال آدم: الرنة عليك وعلى بناتك إلى يوم القيامة، وأنا وبنى منها براء ثم قال:

تغيرت البـــلاد ومن عليـــها فوجـــه الأرض مغبر قبيح

تغير كل ذى طـــعم ولـــون وقل بشاشة الوجـــه المليح

وقالوا: إن القائل غير آدم المهم أن الظلم قديم قدم الإنسانية، قديم وآدم فى الجنة.

أسبابه ودوافعه

أولاً: طبيعة الإنسان حب الاستعلاء، حب التكبر والتملك، حب الذات وهو ما يعرف بالأنانية فمن وفقه الله سبحانه وقف بهذا الحب مواقف الشرع، ولم يتعد حدوده، أما الهلكى فهم الذين يميلون حيث مال الهوى، ودوافعه كثيرة.. منها مثلاً:

1- الإحساس بالقوة مادية كانت أم معنوية.

2- الشعور بالاستعلاء، والتطاول بها على الغير، فاستغلها فى غير ما خلقت له، وانحرف بها عن مسارها الصحيح فأصبحت أداة قهر، وظلم، هذه هى القوة الغاشمة التى تستعمل فى قهر الناس وإذلالهم وسلب حقوقم وهتك أعراضهم.

هذه القوة إذا لم يكن لها رادع من خلق أو دين فإنها تصبح كالإعصار المدمر الذى لا يبقى ولا يذر، كما حدث فى قوم عاد، وثمود، قال تعالى: ﴿**فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ**﴾[1].

ثانيــاً: الإحساس بكبرياء الثروة، وطغيان المال فإذا جمع المال وعدده استغنى به عن الآخرين واستعلى به عليهم، فمنع الحق، وجاوز الحد، وجار فى الإنفاق،

---

(1) فصلت: 16,15.

وحاد عن الصراط، قال تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ⦗٦⦘ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ⦗٧⦘ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾[1] وكما حكى القرآن في موضع آخر، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ⦗٣٥⦘ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾[2].

ثالثاً: الشعور بعزة الجاه، وعظمة السلطان، فإن تمكنت هذه الصفة في النفس، واطمأن لها القلب، طغى، وبغى، وتجبر، واستكبر، وداخله شعور بأنه ليس من نوعية هؤلاء الناس فيفرض عليهم إرادته، ويجبرهم على الرضا بهم، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ⦗١٣⦘ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾[3] فنشوة السلطان ميكروب سريع الانتشار يفتك بكل قيم ومبادىء الأخلاق.

يقول القائل:

ترى الناس إن سرنا يسيرون حولنا ... وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا

ولذلك كان الفاروق عمر رضي الله عنه إذا أحس بعظمة الملك، وجاه السلطان، وأرادت نفسه الاستعلاء ذكرها بما كانت.. وكيف كانت!!!

صعد المنبر ذات مرة بعد أن دعا الناس إلى اجتماع هام فقال: «أيها الناس لقد رأيتني وأنا أرعى الغنم لخالات لي من بني مخزوم نظير قبضة من تمر أو من زبيب» ثم نزل من على المنبر بين دهشة المجتمعين وتساؤلهم، ويتقدم منه من لم يطق صبراً على ما رأى وهو عبد الرحمن بن عوف ويقول له: ما أردت بهذا يا أمير المؤمنين؟ فيقول: ويحك يا ابن عوف خلوت بنفسي فقالت لي: أنت أمير المؤمنين!! وليس بينك وبين الله أحد فمن ذا أفضل منك؟ فأردت أن أعرفها قدرها»[4].

---

(1) العلق: 6، 8.
(2) سبأ: 35، 36.
(3) إبراهيم: 14،13.
(4) بين يدي عمر، لخالد محمد خالد ص34.

رابعاً: حب الذات، وما يتصل بها من رغبات، هذه النقيصة تجعل الإنسان يسلك كل مسلك، وينهج كل منهجح مستقيما كان أم معوجاً، فى سبيل تحقيق ما يراوده من أمانى وأحلام، كما أن مضارها أكثر من نفعها فهى تدفع الإنسان إلى التسلط على الغير، والتطلع إلى ما فى يد الغير، وتجعل ما فى يد الغير أجمل وأفضل مما بيده، كما تدفعه إلى التفاخر والتكاثر من أجل رفعة شأنه وعلو منزلته، وتقوية مركزه.

لذلك أوجب الإسلام على الجماعة المسلمة فى كل مكان من أرض الله محاربتها بكل عزم وقوة، هذا هو الطريق للتخلص من براثن هؤلاء الذين رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها كما نعى على المتهاونين، والمتكاسلين فى التصدى لهؤلاء.

عن أبى بكر الصديق رضي الله عنه قال: أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ**﴾(1) وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه**»(2) كما نهى عن موالاتهم، ومما لأتهم، والجرى فى ركابهم، أو الركون إليهم، قال تعالى: ﴿ **وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ**﴾(3).

وذلك لأن من طبيعة البشر الميل إلى جانب القوى، إما اتقاء لشره، أو خوفًا من بطشه أو رغبة فيما عنده، فإذا فعلوا ذلك استشرى الظلم، وعم الفساد، وعمَّهم الله بعقاب من عنده.

عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم**»(4).

---

(1) المائدة: 105.
(2) رواه أبو داود والترمذى والنسائى بأسانيد صحيحة.
(3) هود: 113.
(4) رواه الترمذى وقال: حديث حسن.

وفى ذلك يقول القائل :

لا تخضعن لمخلوق على طمع ... فإن ذلك نقص منك فى الدين
لن يقدر العبد أن يعطيك خردلة ... إلا بأذن الذى سواك من طين
فلا تصاحب غنيا تستعز به ... وكن عفيفاً وعظم حرمة الدين
واسترزق الله مما فى خزائنه ... فإن رزقك بين الكاف والنون
واستغن بالله عن دنيا الملوك ... كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

موقف الإسلام من الظلم

لم يقف الإسلام فى وجه التقدم العلمى، ولا التقدم الحضارى بل أمرنا بالعلم ورغبنا فيه، وحثنا عليه، بل وأمرنا بالاستزادة منه فى قوله ﴿**وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾[1] كما أنه دين التقدم والمدنية، والحضارة ولكنه وقف خصما لدوداً فى وجه الظلم، والظالمين قال تعالى : ﴿**أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ**﴾ [2].

وقال تعالى : ﴿**وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ**﴾ [3] وما ذلك إلا لأن الظلم فيه امتهان لكرامة الإنسان، فيه هدر لإنسانيته، وبتر لرجولته، وضياع لعزته ومكانته، فيه اعتداء على حق الغير، وامتهان لحرمات البيوت، وهو يشتت الأسر، ويرمِّل النساء، ويخرِّب البيوت، ويُيَتِّمْ البنين والبنات، لهذا أقسم المولى بهذا القسم الغليظ فقال تعالى فى الحديث القدسى : «**وعزتى وجلالى لأنتقمن من الظالم فى عاجله وآجله ولأنتقمن ممن رأى مظلوماً فقدر أن ينصره ثم لم يفعل**» .

يقسم المولى بعزته التى لا تغلب، وقوته التى لا تقهر وبسلطانه الذى لا يقاوم، أنه لا بد من القصاص من الظالم، لابد من الانتقام من الذى اعتدى، سواء كان ذلك بسلب المال، أو بأخذ الأرض والعقار، أو بالقذف وهتك الأعراض، فلا بد من الانتقام من هؤلاء الناس، الذين ماتت ضمائرهم، وانعدمت إنسانيتهم

(1) طه : 114 .
(2) هود : 18 .
(3) هود : 102 .

وانحطت كرامتهم، وأصبحوا كالوباء الذى يقضُّ مضاجع الناس، قال تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[1] .

ويوم القيامة ينالون الجزاء الأدنى، قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾[2] .

لذلك يعلن الإسلام بكل وضوح أنه لن يدخل أحد الجنة، وعنده حق لأخيه حتى يقضيه الله منه، قال تعالى: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾[3] ولذلك يجب رد الحقوق لأهلها، ومن كانت لديه مظلمة لأخيه فليبادر بردها، أو يطلب منه العفو والسماح عنها.

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو من شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه**»[4] .

روى الإمام أحمد فى مسنده والطبرانى فى معجمه والحاكم فى مستدركه عن عبد الله بن أنيس الأنصارى رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا [5] بُهْماً [6] ثم يناديهم ربهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب يقول: أنا الملك، أنا الديان، لا ينبغى لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة، أو أحد من أهل النار، وعنده حق حتى أقضيه منه، حتى اللطمة فما فوقها، ولا يظلم ربك أحداً**، قلنا: يا رسول الله: وإنما نأتى حفاة عراة، فقال: ﷺ **بالحسنات والسيئات**».

يقول هذا الصحابى الجليل أنه سمع بنفسه رسول الله ﷺ، وهو يتكلم، وشاهده وهو يصور مشهداً من مشاهد القيامة، وصورة من صورها، وموقفاً من

(1) الأعراف: 179.
(2) الأنبياء: 47.
(3) فصلت: 46.
(4) رواه البخارى ومسلم.
(5) الغرل: تام الغرلة وهى الجلدة التى تغطى رأس الذكر.
(6) بهم فسره النبى بقوله: «**ليس معهم شيء**»

المواقف التى تنخلع لها القلوب، وهى مظالم العباد التى كانت بينهم كيف يتم إستردادها ؟ وكيف تعطى لصاحبها كاملة بالميزان والقسط، قال تعالى: ﴿**وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ**﴾(1) فى يوم شديد حره يوم تلفح النار وجوه الخاسرين كما قال رب العزة: ﴿ **تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ**﴾(2) فى يوم القصاص والعدل فى يوم لا تظلم فيه نفسا شيئاً ولا تجزى إلا بما عملت.

قال: يحشر الناس يوم القيامة حفاة أى لا نعال فى أقدامهم عراة لا شىء على أجسادهم ولا حتى ما يوارى سوءاتهم عرايا كما ولدتهم أمهاتهم غرلاً رد اليهم ما قطع منهم عند الختان وهم أطفال، عادوا كما جاءوا، قال تعالى: ﴿**كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ**﴾(3) بهمًا ليس معهم شىء تجردوا من المال وانفض عنهم الولد، تجردوا من الحسب والنسب، تجردوا من المنصب واللقب، تجردوا من كل شىء ووقفوا أمام الله خالق كل شىء، قال تعالى: ﴿ **لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (١٦) الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾(4) فليس هناك وزير ولا أمير وليس هناك سوقة ولا عبيد، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ**﴾(5) ثم يناديهم ربهم بصوت يسمعه البعيد والقريب يسمعه القاصى والدانى. يقول تعالى بلغة القهر والقوة: «**أنا الملك الحى، أنا الديان الذى لا يموت، وعزتى وجلالى لأنتقمن من الظالم**» فالجنة محرمة على من ارتكب جرماً فى حق أخيه مادياً كان أو أدبياً حتى الغمز واللمز فهو كما قال تعالى: ﴿**يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ (١٩) وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾(6).

---

(1) الأنبياء: 47.
(2) المؤمنون: 104.
(3) الأنبياء: 104.
(4) غافر: 17,16.
(5) الأنعام: 94.
(6) غافر: 20,19.

يقول عمر أبو زازان : دخلت على ابن مسعود فوجدت أصحاب الخير واليمنة قد سبقونى إليه فناديت بأعلى صوتى : يا عبد الله بن مسعود من أجل أنى رجل أعجمى أدنيت هؤلاء وأقصيتنى ! ! فقال : ادنه فدنوت حتى ما كان بينى وبينه جليس فسمعته يقول : يؤخذ بيد العبد أو الأمة يوم القيامة فينصب على رؤوس الأولين والآخرين ثم يناد مناد : هذا فلان ابن فلان من كان له حق فليأت إلى حقه فتفرح المرأة أن يدور لها الحق على أبيها أو على زوجها أو على أختها أو على ابنها ثم قرأ ابن مسعود ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى الصُّورِ فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ﴾[1] فيقول الرب سبحانه : «**آت هؤلاء حقوقهم**» فيقول : يارب قد فنيت الدنيا فمن أين أوتيهم فيقول سبحانه للملائكة : «**خذوا من حسناته فأعطوا كل إنسان بقدر طلبته فإن كان وليًا لله فضلت من حسناته مثقال حبة من خردل فيضاعفها الله حتى يدخله الجنة وإن كان شقياً قالت الملائكة : يارب فنيت حسناته وبقى طالبوه ، فيقول تعالى : خذوا من أعمالهم فأضيفوها إلى سيئاته وصكوا له صكًا إلى جهنم**» [2] .

هذا موقف الإسلام من الظلم فلا يترك صغيرة ولا كبيرة والله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون .

أنواع الظلم

الظلم على أنواع ثلاثة : ظلم بينك وبين ربك ، ظلم بينك وبين نفسك ، ظلم بينك وبين الناس .

الأول: أما الذى بينك وبين ربك فهو أن تجعل لله نداً ، وهو الإشراك بالله تعالى وهو أكبرها وأعظمها وأشدها بغياً ، قال تعالى فى وصية لقمان لابنه : ﴿يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[3] ، ولعظم هذا الذنب وتجاوزه الحد فإنه لا يغفر لأنه خلل فى الكون حيث يعبد غير مكونه ، قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا﴾[4] . وعن ابن

(1) المؤمنون : 101 .
(2) تفسير القرطبى جـ6 ص4685 ط دار الغد العربى 42 إبراهيم .
(3) لقمان : 13 .
(4) النساء : 116 .

مسعود - رضى الله عنهما - أنه قال قلت : يا رسول الله أى الذنب أعظم؟ قال : **«أن تجعل لله نداً وهو خلقك»** (1).

الثانى: ظلم الإنسان لنفسه وهو أن يسلك بها طريق الهوى ، طريق اللذات والملذات، طريق الفجور والعصيان، والنفس دائمًا أمارة بالسوء فعليه أن يكبح جماحها، وأن يردها عن غيها، وأن يحملها على طاعة الله والخير كل الخير أن يبحث لها عن الخير ومن لا خير فيه لنفسه فلا خير فيه للناس، قال تعالى : **﴿وما أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾**(2) وقال ﷺ : **«الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني»**(3).

يقول الإمام البوصيرى - رحمه الله - :

والنفس كالطفل إن تهمله شب على حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

فاصرف هواها وحاذر أن توليه إن الهوى ما تولى يصم أو يصم

ثم قال :

وخالف النفس والشيطان واعصمها وإن هما مَحَّضاك النصح فاتهم

قال تعالى : **﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾**(4).

الثالث: ظلم الغير . . ظلم الإنسان لأخيه الإنسان، وظلم الإنسان للطيور والحيوانات وهو الاعتداء والبغى، والاستعلاء ولا يكون فى الإنسان إلا فى ثلاث، فى الدماء، والأموال، والأعراض وهو ما حدده وبين معالمه رسول الله ﷺ فى حجة الوداع عندما وقف على جبل عرفات ثم أعلن هذه الأحكام قال : **«أيها الناس إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا ، ألا هل بلغت ؟! اللهم فاشهد»** إذا الظلم لا يقع إلا فى ثلاث : فى النفس أو فى العرض أو فى المال .

---

(1) متفق عليه من حديث طويل .

(2) يوسف : 53 .

(3) رواه الترمذى وقال حسن وابن ماجة من حديث شداد بن أوس .

(4) يونس : 44 .

أولاً: الاعتداء على النفس:

في النفس بأن يعتدى عليه بالقتل أو بالضرب أو بالسب أو بالشتم، أو يؤذى بأي نوع من أنواع الإيذاء وفي حديث جامع مانع لرسول الله ﷺ يرويه أبو هريرة رضي الله عنه فيقول قال رسول الله ﷺ : «**لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخواناً ،المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يحقره، ولا يخذله ، التقوى ها هنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه**»[1] .

وعن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ قال : رأيت رسول الله ﷺ يطوف بالكعبة ويقول «**ما أطيبك وأطيب رائحتك ما أعظمك، وأعظم حرمتك، والذى نفسي بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك ، دمه، وماله، وعرضه**» [2] لأن الحياة منحة من الله سبحانه لايملك أحد انتزاعها، ولا يحق لأحد أن ينتزعها ، قال تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾[3] ولا تستباح إلا في حدود هذا النص ، قال تعالى : ﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾[4] فمن اعتدى عليها فقد خاب وخسر ومأواه جهنم وبئس المصير ، قال تعالى : ﴿**وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا**﴾[5] قال ﷺ : «**قتل المؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا**» [6] .

أ- كان الملك فاروق ملكًا طاغيًا باغياً وكان على خلاف دائم مع الشهيد «حسن البَنَّا» .

وسبب الخلاف أن الملك كان ظالماً والشهيد يكره الظلم كان الملك يحب الإنجليز ويحتمى بهم ، والبَنَّا يكرههم ويوصى أتباعه بوجوب قتالهم ضدان لا يتفقان . دبر الملك مؤامرة لاغتيال البنا والتخلص منه ومن المناوئين له وقتل الإمام في وضح

(1) رواه مسلم .
(2) رواه ابن ماجة .
(3) ق : 43 .
(4) البقرة : 179 .
(5) النساء : 93 .
(6) رواه النسائي وابن ماجة .

النهار ولخوف الناس من الملك وجنده تركوا البَنَّا ينزف دمه حتى مات وصدرت التعليمات من القصر الملكى بألا تشيع للشهيد جنازة وحمل البَنَّا فى عربة إلى المقابر ولم يشترك فى جنازته من المدنيين إلا واحداً فقط هو «مكرم عبيد».

ودارت الأيام دورتها والجراح لم تندمل ودم الشهيد لم يجف حتى قامت ثورة يوليو وطرد الملك فاروق من أرض مصر كلها منفياً إلى إيطاليا وجاء موعد الانتقام وما رَبُّك بغافل عما يعمل الظالمون. وكما تدين تدان، وبالكيل الذى تكيل به للناس يكتال لك، وإن ربك لشديد العقاب.

جاء موعد الانتقام.. فقتل الملك فاروق مات مقتولاً بالسم على يد غانية إيطالية ووصل الجثمان بعد منتصف الليل إلى مطار القاهرة الدولى ونزل الجثمان من الطائرة إلى العربة العسكرية التى كانت فى انتظاره ثم إلى المقابر بعد منتصف الليل ولم يشيع جثمانه مدنى واحد، قال تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[1].

ب- جمال الدين الأفغانى كان معارضاً شديداً لملك الأفغان ولما ضاق الملك به ذرعاً أراد أن يتخلص منه على لغة الملوك المستبدين فدس له السم فمات ولكن الملك لم يهنأ بالحياة بعده إلا قليلاً حيث لقى مصرعه على يد شاب مسلم طعنه فى صدره بخنجر مسموم وهو يصيح فى وجهه خذها يا ظالم من يد جمال الدين الأفغانى وصدق رسول الله: «**كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه**».

جـ- مر رجل من التابعين على رجل مقعد على الطريق مقطوع اليدين، مبتور الساقين، سلب المولى منه نور عينيه مكباً على وجهه وهو يبكى ويقول: النار النار يا ابن عفان، قال له التابعى: ما شأنك؟ قال: لما كانت الفتنة أيام الخليفة عثمان بن عفان كنت من الذين دخلوا عليه لقتله دخلت شاهراً سيفى وشرر النار يتطاير من عينى وهو جالس يتلو كتاب الله عز وجل دفعتنى زوجته (نائلة) بكل قوتها وهى تبكى وتقول: مالك؟ مالك وللرجل؟ فلطمتها على خدها ودفعتها بعيداً عنى فنظر إلىّ عثمان وقال: مالك:؟ قطع الله يديك، وبتر ساقيك، وأعمى عينيك، وأدخلك النار، وها أنا كما ترى استجاب الله دعاءه ولم يبق إلا النار.. فالنار النار يا بن عفان.

(1) فصلت: 46.

وما لنا نذهب بعيداً وها هو رسول الإنسانية يقول: «**دعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها أبواب السماء ويناديها: وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين**».

يقول القائل:

إذا مـا اتخـذ الظلم ابن آدم مـذهبـا	**ولج عـتـواً في قـبـيح اكـتـسـابه**
فكله إلى صـرف الليـالي فـإنهـا	**سـتبـدي له مـا لم يكن في حـسـابه**
فكم رأينا ظالماً مـتـجـبـراً	**يرى النجم تيـهـاً تحت ظل ركـابه**
طغى وبغى حـتى إذا غـره البـقـا	**أناخت جـمـيعـاً لنائبـات ببـابه**

ثانياً: الاعتداء على المال:

الإسلام هو دين العزة والقوة والمال هو أحد عناصر تلك القوة، لأن به يتحقق للناس ما يحتاجونه لبقائهم، وبدونه يشقى الناس ولا تستقيم حياتهم، لذلك اهتم به الإسلام اهتماماً بالغاً، وأفاض القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة في الحديث عن المال، وطرق جمعه، وكيف يجمع، وعن إنفاقه ومتى وكيف ينفق، وعن تملكه وحيازته، وتداوله ثم تكلم عن حمايته من مالكه، وحمايته من غيرمالكه، وجعل هذه الحماية تعدل حماية النفس، والأهل، والولد، وعَدَّ من قتل دون ماله فهو شهيد، ثم قرر العقوبات الكفيلة بردع المعتدين، حتى يأمن الناس على أموالهم.

وقد تحدث الفقهاء عن طرق أخذ المال بغير حق، فذكروا منها السلب والنهب، السرقة والغصب، الخديعة والنصب، الاختلاس والإكراه والجحد، وكل هذه الصور المتباينة متداخلة، وتعد كلها سرقة، وأكل لأموال الناس بالباطل وأوجب الشرع حد القطع على السارق، قال تعالى: ﴿**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ (1).

وهذه العقوبة ليست كما يزعم الجاهلون بالإسلام، والحاقدون عليه، ومن

---

(1) المائدة: 38.

يحاولون إثارة الشكوك والشبهات على أنها قسوة ظالمة، أو تشويه للإنسان ببتر عضو من أعضائه، ولو فهموا علة الحكم لخرُّوا له سجدًا فهذا المعتدى لا يردعه حبس ولا جلد، وإنما تردعه هذه العقوبة التى توفر الأمن لجميع الناس، حتى إن الرسول الكريم ﷺ لم يقبل أى شفاعة فى عدم تنفيذ هذا الحد.

كما حدث فى قصة «فاطمة بنت الأسود» المرأة المخزومية وتشفَّع فيها حبُّ رسول الله أسامة بن زيد، غضب رسول الله ﷺ من أسامة وأنكر عليه شفاعتَه، وقال له: «**أتشفع فى حد من حدود الله** ثم قام فخطب فى الناس وقال: **إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**» (1).

موقف الإسلام من المال الحرام:

وهكذا يقف الإسلام بمبادئه السمحة، وتعاليمه القوية الحاسمة، حارساً للمال، يدفع عنه خداع المستهزئين، ومكر الغاصبين وكل معتد أثيم، ويبين لعامة الناس وخاصتهم، أن هذا ظلم، وظلم صريح وعلى الإنسان أن يحافظ على ماله ومال الغير ليظل المال وسيلة للحياة، وسيلة للخير، وسيلة لتبادل المنافع بين الناس فى يسر، ومحبة، وأخوة، ولقد ضرب سلفنا الصالح أروع الأمثلة فى الحفاظ على مال الغير أياً كان نوعه، وإذا اعتدى أحدهم على مال الغير أصبح كالأجرب بين الأصحاء لا يطيب له مقام حتى يبرأ من علته بالقصاص ورد المظالم، وأضرب على ذلك بعض الأمثلة:

أ- أخبر الحافظ فى تاريخه بإسناده إلى العباس بن محمد الهامى قال: إنى لواقف بين يدى المأمون إذا دخلت امرأة متظلمة فى أخريات الناس وعليها أطمار بالية، وقد أذن المؤذن الأول وهَمَّ بالقيام فقالت:

يا خير منتصف يهدى له الرشد ... ويا إماماً به قد أشرق البلد

تشكو إليك سليل الملك أرملة ... عدا عليها فلن يقوى به أحد

فابتز منى ضياعاً بعد منعتها ... وقد تفرق عنى الأهل والولد

---

(1) رواه مسلم ومنه روايات أخرى للإمام أحمد والنسائى.

فأجابها المأمون مرتجلاً :

من دون ما قلت عيل الصبر والجلد منى ودام به فى قلبى الكمد

هذا أوان صلاة العصر فانصرفى وأحضرى الخصم فى اليوم الذى أعد

والمجلس السبت إن يقض الجلوس لنا ننصفك منه وإلا فالمجلس الأحد

قال : فجلس يوم الأحد ودخلت المرأة فقال لها : وأين الخصم ؟ فقالت : هو بين يديك وأشارت إلى ولده العباس فقال لأحمد بن أبى خالد : خذ بيده فأجلسه معها ففعل فادعت عليه بالضيعة وجعلت ترفع من صوتها عليه فقال لها أحمد : خفضى من صوتك فإنك بحضرة أمير المؤمنين ، فقال المأمون : اسكت فإن الحق أنطقها والباطل أسكته وظهر الحق معها فقضى لها عليه وأمر برد الضيعة وغرم ولده ما أخذ من ربيعها !! فانظر رعاك الله كيف أن المأمون لم يجامل ولده على حساب المرأة الفقيرة الضعيفة بل أنزله ليقف بجانبها وقضى لها عليه ولم تأخذه فى الله لومة لائم .[1] .

ب- فى عهد هارون الرشيد كانت هناك أسرة تقلدت المناصب فى الدولة ، كان منهم الوزراء ، والأمراء ، والحجاب ، هى أسرة البرامكة كان الرشيد لا يقطع أمراً دونهم ، ولا يأخذ حكمًا يناقض رأيهم ، وكان يستشيرهم فى عظائم الأمور وصغائرها وبسطت الدنيا لهم ذراعيها ، حتى لقبهم التاريخ بأنهم دولة داخل دولة وما بين يوم وليلة تغير الحال وأصبحوا جميعاً فى غياهب السجون والمعتقلات ودوام الحال من المحال ، قال تعالى : ﴿**وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ**﴾[2] .

والدهر قلبٌ ، يوم لك ويوم عليك ، ولذلك كان النبى ﷺ يقول : «**اللهم إنى أعوذ بك من زوال نعمتك ، وفجأة نقمتك وتحول عافيتك ، وجمع سخطك**» [3] .

كان الفضل بن يحى مع والده يحيى فى زنزانة واحدة ، كان والفضل وزيراً ووالده أميراً ، فقال الفضل لوالده : يا أبت ألا تذكر ما كنا فيه من النعيم ، والملك العريض ، كانت الكلمة كلمتنا ، والأمر أمرنا ، ننام على الحرير ونتقلب فى الديباج ،

(1) عن كتاب «أمجاد الرسالة المحمدية» للدكتور مصطفى الطير ص23 .
(2) آل عمران : 140 .
(3) رواه مسلم والنسائى .

والقصور تتلألأ فيها الأنوار، مزهوة بالأهل والأحباب، والداخلين والخارجين من الوجهاء وأصحاب الحاجات والحراس لنا على الأبواب!!!.

ثم ألا ترى ما نحن فيه ننام على التراب! ونتبول ونتغوط فى المكان والقيد فى أرجلنا والغل فى أيدينا والسجّان لنا على الباب، ماذا جرى؟ ما الذى غير الدنيا؟ فقال والده وكان حكيماً قال: يا بنى والله ما أرى سبباً لذلك إلا أنها دعوة مظلوم سرت بليل غفلنا عنها ولم يغفل عنها رب العالمين.

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً	**فالظلم آخره يفضى إلى الندم**
تنام عينيك والمظلوم منتبه	**يدعو عليك وعين الله لم تنم**

جـ- المثل الثالث فى اتهام البرىء:

سعد بن أبى وقاص صاحب الدعوة المجابة كان واليا على الكوفة من قبل أمير المؤمنين عمر ـ رضى الله عنهم أجمعين ـ جاء رجل من الكوفة إلى أمير المؤمنين عمر ليقدم شكوى فى واليه سعد قال: يا أمير المؤمنين إن هذا الوالى لا يصلح للولاية، قال: ولمَ؟ قال: لأنه لا يعدل فى قضية، ولا يقسم بالسوية، ويأكل أموال الناس بالباطل قال عمر: ويحك، أيفعل هذا سعد؟.

كان النبى ﷺ يحبه لإيمانه، وجهاده، وتضحيته، حتى بشره النبى ﷺ بالجنة وكان من السابقين الأولين وكان النبى يفخر بخئولته لأنه كان خال النبى من الرضاع حتى أنه ﷺ كان يقول فى سعد: «**هذا خالى فليرنى امرؤ خاله**» فلما قال الرجل ما قال غضب عمر وكان لا يغضب إلا إذا انتهكت محارم الله.

ثم سافر إلى الكوفة وجلس للفصل فى القضية وجاء سعد وحضر أهل الكوفة وجاء صاحب الدعوى ويقال له (أسامة بن قتادة) ويكنى أبا سعدة وكان الرجل قد أصر على دعواه فاتجه سعد إلى الله عز وجل وقال: «اللهم إن هذا ظلمنى، وادعى علىّ بما ليس فىّ اللهم إن كان رياء وسمعه: فأطل عمره، وفَقّره، وعَرِّضه للفتن، قال راويها وهو جابر بن سمرة فوالله: لقد رأينا الرجل وقد سقط حاجباه على عينيه من الكبر وكان يتبول فى الطريق ويتعرض للحريم فإذا سئل عن ذلك قال:

إنى شيخ كبير مفتون أصابتنى دعوة مظلوم دعا علىّ سعد بن أبى وقاص» [1].

ثالثا: الاعتداء على العرض:

إن ديننا الحنيف كما يحرص على حماية الأخلاق والآداب يحرص على حرمة الأعراض والأنساب، ويحافظ عليها من التلوث والاختلاط ، فالزنا جريمة لا يقربها إلا ساقط الكرامة، عديم الشرف حيوان فى صورة إنسان حيث أحل لنفسه ما حرم الله عز وجل فهتك العرض. وكشف الستر، ودنس الشرف ولشناعة هذا الفعل وقبحه قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾[2] وانظر إلى هذا التعبير فى قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ﴾ ولله حكمة فى هذا التعبير لأنه تعالى لما نهانا عن القتل وهو من الكبائر قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾[3] ولما نهانا عن الزنا قال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ﴾ أى أن كل ما يؤدى إلى الزنا فهو حرام، فالخلوة بالمرأة الأجنبية قرب للزنى فهو حرام قال عمر بن عبد العزيز: (لا تخلون بامرأة ولو كنت تحفظها القرآن الكريم).

تقبيل المرأة الأجنبية قرب للزنى فهو حرام، والنظرة إلى المرأة الأجنبية بشهوة قرب للزنى، ولمس بدنك المرأة الأجنبية قرب للزنى، إذًا كل ما يؤدى إلى الزنا فهو قرب للزنى وهو حرام كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يقع، فيه وللدكتور مصطفى الحديدى الطير مقال عظيم فى هذا الموضوع أذكر بعضًا منه بتصرف يسير قال: لايوجد فى كبائر الذنوب بعد الشرك بالله وعقوق الوالدين أفحش من الزنا، فإنه فاضح للعرض مفسد للأخلاق، فالزانية إن كانت خالية من الزوج شاع فى الناس فحشها، وأبغضها أهلها ولفظها المجتمع، وربما تخلص منها أهلها بقتلها.

وإن وضعت ثمرة إثمها ضاقت به ذرعًا، وربما فكرت فى وأده أو ألقته فى صناديق القمامة، أو على أبواب المساجد ومن يدرى فربما مات بردًا، أو جوعاً، أو إلتهمته الحيوانات الجائعة، وإن كانت متزوجة لوثت فراش الزوجية برجس خيانتها وهى تخدع الزوج بمظهر الطهر والعفاف.

(1) عن كتاب «رجال حول الرسول» لخالد محمد خالد ص 37.
(2) الإسراء: 32.
(3) الإسراء: 33.

وربما تلحق ولدها من الزنا بزوجها وهو منه برىء، وما يترتب على ذلك من الميراث والحرمات، وأما الزانى فهو من أحقر الحيوانات، حيث يقضى نزوته ولا يفكر في آثارها ، لذلك أوجب له الشرع عقوبة رادعة، قال تعالى فى غير المحصن : ﴿**الزَّانِيَةُ وَالزَّانِى فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾(1) . أما المحصن فيرجم حتى الموت . . أليس من دمر البيوت يستحق أن يدمر؟ ومن حطم الفضيلة جدير به أن يحطم؟ قال ﷺ : «**لا يحل دم امرء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزانى ، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة**» (2) .

عبرة وعظة

ومروراً بالطغاة والظلمة على مدار التاريخ والذين لوثوا صفحات التاريخ دماً، وحقداً، ومرارةً، من غير المسلمين أمثال طاغية ألمانيا هتلر ، وطاغية فرنسا نابليون، وطاغية إيطاليا موسوليني، وجنكيز خان، وطغاة بنى إسرائيل، وغيرهم، وغيرهم، ومن المسلمين والمتمسلمين، من أمثال الحجاج بن يوسف الثقفى فى الدولة الأموية وما كان يفعله بمعارضيه ، والسفاح فى الدولة العباسية وكيف يأخذ بالظن ويقتل بالشبهة .

ومن أمثال كمال أتاتورك الرجل الذى أعلن الحرب على الإسلام والمسلمين وألغى الخلافة وغيَّر عقائد الناس، وغيرهم وغيرهم عقدت مقارنه بين حجاج الأمس وحجاج اليوم وسفاح الدولة العباسية وسفاحى اليوم وطاغية فرنسا الذى دخل الأزهر الشريف وجعله اسطبلاً للخيل وطاغية أمريكا الذى أعلن الحرب على الإسلام والمسلمين وغيرهم فوجدتهم شركاء فى ثلاث فى الورد المورود والرفد المرفود واللعنة التى تعمهم من كل الجوانب والوجوه ، قال تعالى : ﴿ **أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ**﴾(3) .

---

(1) النور : 2 .

(2) متفق عليه .

(3) سورة

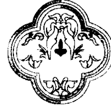
رسول الله يعطى الصورة المثلى للقصاص

واختم مقالى بذكر هذه القصة عن رسول الله ﷺ ليكون لنا فيه الأسوة والعبرة والعظة :

فى مرضه ﷺ الذى مات فيه عزم على الخروج إلى الناس كى يوصيهم ويخطبهم فخرج إلى الناس وهم يصلون الظهر فلما رآه أبو بكر تأخر فأومأ إليه النبى أن مكانك ولما تمت الصلاة صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر أصحاب أحد واستغفر لهم وتكلم عن المهاجرين ثم قال : «**أيها الناس إن عبداً خيره الله بين الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عند الله** » ففهمها أبو بكر من دون الناس فبكى وقال : بل نحن نفديك بأنفسنا وأبنائنا وأموالنا فعجب الناس لبكائه فكان المخير هو رسول الله وكان أبو بكر أعلمهم بذلك .

ثم قال ﷺ : «**ألا فمن كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهرى فليستقد ، ومن كنت أخذت له مالاً فهذا مالى فليأخذ منه ، ومن كنت شتمت له عرضاً فهذا عرضى فليستقد ولا يقولن قائل : أخاف الشحناء من قبل رسول الله ألا وإن الشحناء ليست من شأنى ولا من خلقى وإن أحبكم إلىّ من أخذ حقاً إن كان له علىّ أو حللنى فلقيت الله عز وجل وليس لأحد عندى مظلمة**» (1) .

ألا فلتشهد الدنيا هذا السمو الذى لا مثيل له ، وهذا العدل الذى لا نظير له وهذا الخلق الذى تناهت عنده محاسن الأخلاق من قائد يطلب من جنده أن يقتصوا منه إن كان لأحدهم عنده مظلمة ! ! ! ولكن ما علينا إلا أن نردد ونقول صدق من سماك الرءوف الرحيم يا محمد وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .



(1) البداية والنهاية جـ5 ص230 .

الباب الرابع

الحجاج بن يوسف الثقفى

هذا المبحث يتضمن العناصر الآتية:

- الرجل الذى دخل التاريخ من أخس أبوابه.
- التعريف بالحجاج.
- موقفه من عبد الله بن الزبير بن العوام.
- رأس عبد الله بن الزبير وجثته.
- الحجاج فى العراق - الكوفة.
- الحجاج وابن الأشعث.
- الحجاج وأنس بن مالك.
- الحجاج وسعيد بن جبير.
- مرض الحجاج ووفاته.
- بعض نوادر حدثت له.

من صور الظلم البغيضة

الحجاج بن يوسف الثقفى

هذا الرجل الذى دخل التاريخ من أخس أبوابه وحفر لنفسه قبراً فى جهنم وذلك لأنه لوث التاريخ بدماء الأبرياء، ودنسه بارتكاب المحرمات، سجل فيه ما يندى له الجبين، وفعل مالا يقره شرع ولا دين ، قتل الأبرياء، ورَمَّلَ النساء، ويَتَّمَ البنين والبنات، ولم يترك لله تعالى معصية إلا ارتكبها فى سبيل شهواته، وإرضاءاً لنزواته وبذلك استحق ركناً فى جهنم.

قال الحافظ البيهقى فى دلائل النبوة بسنده إلى حبيب بن أبى ثابت قال: قال على رضي الله عنه لرجل: لا مت حتى تدرك فتى ثقيف.. قال: وما فتى ثقيف؟ قال: ليقالن له يوم القيامة: اكفنا زاوية من جهنم، رجل يملك عشرين سنة أو بضعا وعشرين سنة لا يدع لله تعالى مصية إلا ارتكبها حتى ولو لم يبق إلا معصيةً واحدة وبينه وبينها باب مغلق لكسره حتى يرتكبها [1].

وعندام يحدثنا التاريخ عن أمثال هؤلاء ونقرأ بشاعة ما فعلوه، ونسمع هول ما ارتكبوه، نقول كما علمنا القرآن الكريم: ﴿**أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ**﴾ [2] وعندما نسمع أن الظلم اليوم أصبح هو اللغة السائدة بين الناس، وهو العملة الرائجة، نتذكر على الفور قوله تعالى: ﴿**وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ**﴾[3] فهى التى تفتح لنا باب الأمل فيما عنده وتعطينا الثقة فى جنابه فتنزل السكينة فى القلب، وتزداد الطمأنينة فى النفس ولابد يوماً أن تستقيم الحياة بالعدل فهو ميزان الحياة، ولو اختل هذا الميزان لاختل ميزان الكون، وفسدت الحياة، وأصبحت الحياة فوضى لا رقيب فيها ولا حسيب، لذلك حرم الله الظلم، فحرمه على نفسه ، فقال تعالى: ﴿ **وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ**﴾ [4] وحرمه على عباده

---

(1) البداية والنهاية لابن كثير جـ5 ص175 ط دار الغد العربى.

(2) هود: 18.

(3) إبراهيم: 43,42.

(4) فصلت: 46.

فقال: «**يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا**»[1].

وعندما نتكلم عن الحجاج الظالم فإننا نتكلم عن صورة الظلم التى قلما يخلو منها زمان فكم من حجاج على مدى التاريخ ملأ الدنيا ظلمًا لا يغفر، وقسوة لا ترحم، وامتهاناً لكرامة الإنسان الذى كرمه رب العالمين، نتكلم عن الحجاج لنأخذ من تاريخه الأسود العظة والعبرة.

أيا حجاج:

هب الدنيا تساق إليك عفوا	**أليس مصير ذاك إلى انتقال**
وما دنياك إلا مثل فىء	**أظلك ثم آذن بالزوال**

نتكلم عن هؤلاء الظلمة ونعجب، نعجب لحلم الله تعالى عليهم ونتساءل لمَ تركهم المولى سبحانه؟ وكيف تركهم؟ولم أمهلهم؟ سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتَنا هل تركهم ليكونوا نقمة على غيرهم من أمثالهم؟ كما يقال: «دعهم ينتقم الله من ظالم بظالم» التاريخ يقول نعم فلقد كان الحجاج نقمة على أهل العراق بما سلف لهم من الذنوب، والخروج على الأئمة، وخذلانهم وعصيانهم، لقد خذلوا الإمام على بن أبى طالب، وانفضوا من حوله، وقتلوا عقيلاً وانفضوا من حوله، وقتلوا الحسين بن على، وانفضوا من حوله..

فعن مالك بن دينار عن الحسن بن علىٌ قال: قال الإمام علىٌ فى دعائه على أهل العراق: اللهم كما ائتمنتهم فخانونى، ونصحت لهم فغشونى، فسلط عليهم فتى ثقيف الذيال الميال، يأكل خضرتها ويلبس فروتها، ويحكم فيها بحكم الجاهلية.. قال: يقول الحسن: وما خلق الحجاج يومئذ.. ورواه معتمر بن سليمان عن أبيه عن جده عن مالك ـ رضى الله عنهم أجمعين ـ

والقرآن الكريم يقرر أن الله تعالى قال: ﴿**فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ**﴾[2] فقد يعجل العقوبة للمذنبين كما فى قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ**﴾[3] وقوله: ﴿**فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ**

(1) رواه مسلم فى باب تحريم الظلم جـ10 ص8.
(2) البروج: 16.
(3) الشورى: 30.

النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴾[1] .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾[2] ومن السنة قوله ﷺ : «يا معشر المهاجرين خمس خصال إن ابتليتم بهن ونزلن بكم وأعوذ بالله أن تدركوهن ـ لم تظهر الفاحشة فى قوم حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدواً من غيرهم فأخذ بعض ما فى أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله إلا جعل الله بأسهم بينهم ـ » وقد يؤجل العقوبة لمن يشاء ، وبغفر لمن يشاء ، قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3] .

أو تركهم ليكونوا عبرة لغيرهم ممن ليسوا على شاكلتهم حتى يحمدوا الله على هذه النعمة، ويشكروه حيث لم يكونوا مثلهم. . أو تركهم حتى يفيقوا من غيهم، ويعودوا لرشدهم، ويتوبوا إلى بارئهم، كما قال تعالى لموسى وأخيه : ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (٤٣) فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[4] .

ونعود فنقول، : إنه لولا الظلم ما عرفنا حلاوة العدل، ولولا العدل ما ذقنا مرارة الظلم، قال تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[5] ألا ما أحلمك، وأعدلك، وأكرمك. وأرحمك رب العالمين فأنت القائل : ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[6] والقائل فى الحديث القدسى : «ورحمتى سبقت غضبى وعفوى سبق مؤاخذتى وأنا أرحم بعبدى من الوالدة بولدها» .

---

(1) المائدة : 49 .
(2) الفجر : 14 .
(3) آل عمران : 129 .
(4) طه : 44,43 .
(5) هود : 102 .
(6) الأعراف : 156 .

من هو الحجاج؟

هو الحجاج بن يوسف بن أبى عقيل أبو محمد الثقفى كان أبوه - يوسف - رجلاً شريفاً حسيباً نسيباً من الرجال المعدودين، ومن حفظة القرآن الكريم وكان يعلم الغلمان، ويحسب له حساب، تخرج على يديه الكثير ممن عرفوا بالفضل والسيرة الحسنة، ولد الحجاج سنة39 من الهجرة النبوية الشريفة وقيل سنة 40 فى نفس العام الذى قتل فيه الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه.

وأمه كانت تسمى «فارعة بنت همام بن عروة بن مسعود الثقفى» قال الشافعى - رحمه الله - سمعت من يذكر أن المغيرة بن شعبة دخل على امرأته وهى تخلل أسنانها لتخرج ما بينها من أذى وكان ذلك فى أول النهار فنظر إليها فقال: «والله لئن كنت باكرت الغذاء إنك لرعينة (دنيئة) وأن كان الذى تخللين منه شيء بقى فى فيك من البارحة إنك لقذرة فطلقها فقالت: والله ما كان شيء مما ذكرت ولكن باكرت ما تباكره الحرة من السواك فبقيت شظية منه فى فمى فحاولت إخراجها فقال المغيرة ليوسف والد الحجاج: هل لك فى أن تتزوجها؟ إنها لخليقة بأن تأتى برجل يسود فتزوجها يوسف وأنجب منها هذا.

ولما ولد الحجاج لم يرتضع، ولم يلتقم ثدى أمه، فغضب أبوه، وحزنت أمه، واحتار أبوه كيف يفعل فأخذ يسأل العرافين، والكهنة، والصالحين، وأهل الخبرة، فقالت له عجوز: إن ابنك لا يرتضع حتى يسقى دم حية سوداء ثم يدهن وجهه من هذا الدم، ثم يسقى دم جدى ماعز فما كان من والد يوسف الثقفى إلا أن ذهب إلى الصحراء يجوبها طولاً وعرضاً باحثاً عن العقارب، والثعابين، والحيات، وأتى بالحية السوداء، وذبحها، وسقاه منها ثم دهن وجهه من هذا الدم، ثم سقاه دم الماعز، وفعلاً التقم ثدى أمه، وأقبل على الرضاعه.

ولما انتهت مدة الرضاع شب الحجاج فتى قوياً، لبيباً، ذكياً، فصيحاً، عربياً، حفظ القرآن الكريم، وحفظ بعض الأحاديث، ورواها عن رسول الله ﷺ قال عمرو بن العلاء: ما رأيت فى العرب أفصح من الحجاج.

وقال عتبة بن عمرو: «ما رأيت عقول الناس إلا قريباً بعضها من بعض إلا الحجاج وإياس بن معاوية فإن عقليهما ترجح عقول الناس» وكان الحجاج فيما يزعم يتشبه بزياد بن أبيه، وكان زياد فيما يزعم يتشبه بعمر بن الخطاب.

وعلى كل فقد كان الحجاج فيه شهامة، وفيه زعامة، وفى سيفه رهق، «كما كان كثير قتل النفوس بأدنى شبهه» وكان يغضب غضب الملوك ولما بلغ مبلغ الرجال ظهرت شخصيته المتناقضة فكان يحب القرآن وأهله، ويكره العلم وأهله، يحب الخارجين على أمر الله، ويبغض الصالحين والمصلحين ويحب بنى أمية الذين حاربوا الإمام على وقتلوه وقتلوا ولديه الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ويميل إليهم ميلاً عظيماً ويرى أن خلافهم كفر، ويستحل بذلك الدماء حتى روى عنه أنه قال فى أحد مجالسه: بلغنى أن أمير المؤمنين عطس فشمته الحاضرون فيا ليتنى كنت معهم فأفوز بمنزلة كبيرة.

ويكره الإمام على كرهًا جماً ويحب الدم وسفك الدم، ورؤية الدم، ويذكر المحللون أنه ربما يكون الدم الذى شربه وهو رضيع قد أثر فى حياته.

ذات يوم وقد بلغ مبلغ الرجال كان مع والده فى المسجد فمر بهما القاضى سليم بن عنتر قاضى مصر وكان من كبار التابعين وكان على حاله كبيرة من الزهد، والعبادة، والورع وكان ممن شهد خطبة عمر بن الخطاب بالجابية فنهض إليه يوسف وسلم عليه وقال له: إنى ذاهب إلى أمير المؤمنين فهل لك من حاجة عنده فقال القاضى: نعم ت ـأله أن يعزلنى من القضاء!!! فقال: سبحان الله!! والله لا أعلم اليوم قاضياً خيراً منك، ثم رجع إلى ابنه فقال له الحجاج: يا أبت أتقوم إلى رجل من تجيب وأنت ثقفى فقال له: يا بنى والله إنى لأحسب أن الناس يرحمون بهذا وأمثاله فقال الحجاج: والله يا أبت ما على أمير المؤمنين أضر من هذا وأمثاله فقال: ولمَ؟ قال: لأن هذا وأمثاله يجتمع الناس إليهم يحدثونهم عن سيرة أبى بكر وعمر فيَحقر الناس سيرة أمير المؤمنين ولا يرونها شيئا عند سيرتهم فيخلعونه ويخرجون عليه ويبغضونه ولا يرون طاعته والله يا أبت لو خلص لى من الأمر شىء لأضربن عنق هذا وأمثاله فقال أبوه: يا بنى والله أنى لأظن أن الله تعالى خلقك شقياً.

وهذا يدل على أن أباه كان ذا وجاهة عند الخليفة وأنه كان ذا فراسة صحيحة فإنه تفرس فى ابنه ما آل إليه أمره بعد ذلك وهذا دليل أيضاً على بغضه للعلم والعلماء.

علم به الخليفة الأموى ففرح به وقربه إليه لأنه يحتاج لمثل هذه النوعية من الرجال لتثبيت أركان ملكه فولاه قيادة الجيش وإمرة الحرب.

مع عبد الله بن الزبير بن العوام

تعريف بعبد الله بن الزبير:

هو عبد الله بن الزبير بن العوام ويقال له : أبو حبيب أول مولود بعد الهجرة بالمدينة من المهاجرين وفرح به المسلمون وكبروا ولما قتل فرح الشاميون وكبروا فقال عبد الله بن عمر : أما والله للذين كبروا عند مولده خير من هؤلاء الذين كبروا عند مقتله .

وأمه أسماء بنت أبى بكر الصديق هاجرت وهى حامل به ثم ولدته بقباء ثم أتت به النبى ﷺ فوضعته فى حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل فى فيه فكان أول ما دخل جوفه ريق رسول الله ﷺ ، ثم حنكه ثم دعا له ، وتبرك عليه ، وهو صحابى جليل وابن حوارى رسول الله وروى الحديث عن أبيه ، وعمر ، وعثمان ، وغيرهم .

وروى من غير وجه أن النبى ﷺ إحتجم ذات يوم فى طست ثم أعطى هذا الدم لعبد الله بن الزبير ليهريقه على الأرض فى مكان بعيد فلما بعد ، شرب الدم ، فلما رجع قال له النبى : ما صنعت بالدم فقال : شربته لأزداد به علما وإيماناً وليكون شيء من جسد رسول الله فى جسدى وجسدى أولى به من الأرض ، فقال له النبى ﷺ «**أبشر لا تمسك النار أبداً وويل لك من الناس وويل للناس منك**» .

سئل عبد الله بن عباس عن ابن الزبير فقال : كان قارئًا لكتاب الله متبعاً لسنة رسول الله قانتاً لله صائما وأمه ابنة الصديق وخالته عائشة أم المؤمنين فلا يجهل صفته إلا من أعماه الله وكانت أم المؤمنين عائشة تحبه حباً عظيماً لأنه ابن أختها وبه كانت تكنى روى عن عروة أن أم المؤمنين عائشة لم تكن تحب أحداً بعد رسول الله وأبى بكر مثل حبها لعبد الله .

وروى نصير الأزدى قال : أذن معاوية للناس يوماً فدخلوا عليه فاحتفل المجلس وهو على سريره فأجال بصره فيهم ثم قال : أنشدونى بقدماء العرب ثلاثة أبيات جامعة مانعة من أجمل ما قالته العرب ثم نظر إلى عبد الله فقال له : قُمْ فقل ، فقال : عبد الله وأنشد للأفوه الأزدى :

بلوت الناس قـرناً بعـد قـرن فلم أر غـيـر خـتـال وقـال

ولم أر فى الخطوب أشـد وقـعـاً وكـيـدا من مـعـاداة الرجـال

وذقت مـرارة الأشـيـاء طراً فـمـا شيء أمـر من السـوآل

ولما أخذ معاوية البيعة لابنه يزيد غضب ابن الزبير وقصد مكة وأقام بها والتف الناس حوله ولما تولى يزيد كتب إليه : أنى قد بعثت إليك بسلسلة من فضه وقيد من ذهب وجامعة من فضة وحلفت لتأتينى فى ذلك فأبر قسمى ولا تشق عصا الطاعة فلما قرأ الكتاب ألقاه من يده ثم قال على الفور :

ولا ألين لغير الحق أسأله حتى تلين الضرس لماضغ الحجر

فلما مات معاوية بن يزيد استفحل أمر عبد الله بن الزبير فبويع بالخلافة فى جميع الأقطار الإسلامية ولكن عارضه مروان بن الحكم وأخذ منه الشام ومصر ولما تولى عبد الملك بن مروان بحث عن قائد يحب الدم وسفك الدم ليكبح جماح ابن الزبير فوجد الحجاج فقال الحجاج : أنا له يا أمير المؤمنين وقص على عبد الملك مناماً زعم أنه رآه .

قال : رأيت يا أمير المؤمنين كأنى أخذت عبد الله فسلخته فابعث بى إليه فإنى قاتله ، ولا نجوت إن نجا .

فبعثه فى جيش كثيف من أهل الشام وبعد قتال مرير دارت الدائرة على ابن الزبر فتحصن بالكعبة واحتمى بها ولكن الحجاج لم يثنه عن عزمه حرمة البيت الحرام فرمى الكعبة بالمنجنيق وقتل عدداً كبيراً وخلقاً كثيراً وحبس عنهم الميرة والماء وجعلت الحجارة تقع على الكعبة وذكر غير واحد أنهم لما رموا الكعبة بالمنجنيق حدثت الصواعق ، والبروق ، والرعود ، ونزلت صاعقة فأصابت من الشاميين إثنى عشر رجلاً فضعفت قلوبهم . ولم يزل الحجاج يشجعهم ويقول لهم : إنى خبير بهذه البلاد هذه بروق تهامة ورعودها وصواعقها ، ثم نزلت صاعقة على المنجنيق فأحرقته فتوقف أهل الشام عن الرمى ، فخطبهم الحجاج فقال : ويحكم ألم تعلموا أن النار كانت تنزل على من كان قبلنا فتأكل قربانهم إذا قبلت منهم فلولا أن عملكم مقبول ما نزلت النار فأكلته .

ولما علم ابن الزبير أنه مقتول لا محالة وقد انفض الناس من حوله ولم يبق إلا هو وعدد قليل أراد أن يأخذ رأى أمه فقالت له : يا بنى أنت أعلم بنفسك إن كنت تعلم أنك على الحق وتدعو إلى حق فاصبر عليه فقد قتل عليه أصحابك ولا تمكن رقبتك من غلمان بنى أمية يلعبون بها وإن كنت تعلم أنك ما أردت إلا الدنيا فبئس العبد أنت ، أهلكت نفسك وأهلكت من قتل معك .

فدنا منها وقبل رأسها وقال : هذا والله رأيى ثم قال : ولكنى أخاف أ ن يمثلوا بى فقالت : يا بنى إن الشاة لا يضرها سلخها بعد ذبحها ثم قال : انظرى يا أماه فإنى مقتول فى يومى هذا فلا يشتد حزنك ، وسلمى الأمر لله ، فإن ابنك لم يتعمد إتيان منكر ولم يغدر فى أمانة إلى آخر ما قال ، فقالت أمه : أنى رجو أن يكون عزائى فيك حسنا ثم قالت : اللهم أنى أسلمته لأمرك فيه ، ورضيت بما قضيت فقابلنى فى ولدى بثواب الصابرين الشاكرين ، ثم ضمته إلى صدرها ، وكانت قد كُفَّ بصرها فأحست بأنه يلبس درعاً من حديد فقالت : يا بنى ما هذا لباس من يريد الشهادة انزعه يا بنى وشمر ثيابك وجعلت تذكره بأبيه وجده ثم خرج فقتل فلما علم الحجاج بمقتله خر ساجداً لله عز وجل (قبحه الله) .

رأس عبد الله بن الزبير

ثم قطعوا رأسه ، ورأس عبد الله بن صفوان ، وعمارة بن حزم ، وأرسلت هذه الرؤوس الثلاثة إلى عبد الملك بن مروان ثم أمر الحجاج بأن تعلق الجثة بلا رأس منكسه فصلبت على ثنية كدا عند الحجون ثلاثة أيام وشاع الرعب فى مكة البلد الحرام ، وشاع الرعب فى مدينة رسول الله وعَمَّ الناس الفزع ، والقلق ، ما هذا الذى يحدث فى البلد الحرام؟ .

فخطب الحجاج الناس فقال : أيها الناس إن عبد الله بن الزبير كان من خيار هذه الأمة ، حتى رغب فى الخلافة ، ونازعها أهلها ، وألحد فى الحرم فأذاقه الله من عذابه الأليم وإن آدم كان أكرم على الله من ابن الزبير وكان فى الجنة ، والجنة أشرف من مكة فلما خالف أمر الله وأكل من الشجرة التى نهى عنها أخرجه الله من الجنة ، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله .

ثـم كـتـب الحـجـاج إلى عـبـد الملك بما وقع وبعث برأس ابن الزبير، مع رأس عبد الله بن صفوان، وعمارة بن حزم، إلى عبد الملك ثم أمرهم إذا مروا بالمدينة أن ينصبوا الرءوس بها ثم يسيرون بها إلى الشام ففعلوا ما أمرهم به وأرسل بالرؤوس مع رجل من الأزد فأعطاه عبد الملك خمسمائة دينار.

جاء فى صحيح مسلم: أن عبد الله لما صلب جعلت قريش تمر به ويمر عليه الناس ينظرون حتى مر عبد الله بن عمر فوقف عليه فقال: السلام عليك أبا خبيب؛ السلام عليك أبا خبيب؛ أما والله كنت أنهاك عن هذا، أما والله لقد كنت صواماً قواماً وصولاً للرحم، إلى آخر ما قال ثم وقفت عليه أمه وهى تتوكأ على عصا فقالت: أما آن لهذا الفارس أن يترجل؟ فلما علم الحجاج بما قاله ابن عمر أنزله عن جزعه ثم أرسل إلى أمه أسماء فأبت أن تأتيه فأعاد عليها الرسول: لتأتينى أو لأبعثن إليك من يسحبك من قرونك فأبت وقالت: والله لا آتيه حتى يبعث إلى من يسحبنى من قرونى.

فقال الحجاج: أرونى سبتيتى فأخذ نعليه ثم أنطلق يتوزف أى يتبختر ودخل عليها فقال: كيف رأيتنى صنعت بعبد الله قالت: رأيتك أفسدت عليه دنياه وأفسد عليك أخرتك أما والله إن رسول الله ﷺ حدثنا أن فى ثقيف كذاباً ومبيراً أما الكذاب فرأيناه وأما المبير فلا أخالك إلا إياه، قال فقام عنها ولم يراجعها أ. هـ.

الحجاج فى العراق والكوفة

بعد ما قتل ابن الزبير وبعد ما أشاع الرعب والفزع والهلع فى مكة والمدينة وسجن من سجن وقتل من قتل حتى كانت الدماء تسيل فى شوارع مكة جاء الفرج القريب من المولى سبحانه وصدق رسوله ﷺ القائل: «**إن لله تعالى فى كل نفس مائة ألف فرج قريب**» اللهم فرج عنا ما نحن فيه، وقال الشاعر:

أخلق بذى الصبر أن يرى فرجاً ومدمن القرع للأبواب أن يلجا

جاء الفرج بنقل الحجاج من مكة والمدينة إلى العراق والسبب فى ذلك أن أهل العراق والكوفة والبصرة سئموا من حكم بنى أمية ومن حكم الحجاج الثقفى هذا الحكم الغاشم والحاكم الظالم الذى لا يقره شرع ولا دين فقامت فى هذه البلاد عدة ثورات غاضبه ضد هذا الحكم.

فكر الخليفة من الذى يقدر على إخماد هذه الثورات وكبح جماح الثوار فمن الـذى يستطيع أن يسكت هؤلاء ويقطع ألسنتهم؟ إنه هو الحجاج نظراً لقسوته التى لا ترحم؟ وظلمه الذى لا يغفر فولاه الخليفة ولاية العراق فذهب إليها فى اثنى عشر راكبًا ونزل أولاً فى الكوفة ودخلها وقت الآذان الأول يوم الجمعة فذهب إلى المسجد وصعد المنبر ثم جلس على المنبر ولم يقم ولم يتكلم فأرهفت له الآذان؛ وشخصت له الأبصار، ثم قام فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: يا أهل العراق يا أهل الشقاق والنفاق، يا أهل الكفر والخذلان إنى كنت أدعو الله أن يبتليكم بى فاستجاب لى ولقد سقط سوطى منى البارحة الذى كنت أريد أن أؤدبكم به فاتخذت سيفى هذا مكانه والله لآخذن صغيركم بكبيركم، وحركم بعبدكم، ثم لأرصعنكم رصع الحداد الحديدة؛ والخباز العجينة، يا أهل العراق.. إن الله تعالى ضرب مثلا للقرية التى عتت عن أمر ربها فقال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾[1] وأنتم أولئك فاستووا واستقيموا أو لأتركن لكل واحد منكم شغلاً فى جسده فقام رجل فقال: أيها الأمير إننا نخاف الله ولا نخشى الحجاج فأمر به فقتل.

فلما كان اليوم الثالث سمع تكبيراً فى السوق فخرج حتى جلس على المنبر فقال: يا أهل العراق، يا أهل الشقاق والنفاق، ومساوىء الأخلاق، إنى سمعت تكبيراً فى الأسواق ليس بالتكبير الذى يراد به الترغيب ولكنه تكبير يراد به الترهيب، وقد عصفت عجاجة تحتها قصف [2]، يابنى اللكعية [3] وعبيد العصا وأبناء الأيامى والأماء، ألا يربع كل رجل منكم على ظلعة[4] ويحسن حقن دمه، ويبصر موضع قدمه، فأقسم بالله لأوشك أن أوقع بكم وقعه تكون نكالاً لما قبلها وأدباً لما بعدها.

---

(1) النحل: 112.

(2) القصف: شدة الريح.

(3) اللكعية: الحمقاء من الإماء.

(4) الظلعه: الوهن والضعف من شدة السير.

مكث فى الكوفة ثلاث أيام قتل فيها الكثير وسجن العدد الغفير ؛ وأشاع الخوف فى كل مكان ؛ ثم ذهب إلى البصرة فخطب فيهم وقال مثل ما قال فى الكوفة من الوعيد ؛ والتهديد ، فغضب الناس فى كل مكان ، وتجمعوا لقتال الحجاج بقيادة شبيب بن زيد وكان فارساً مقداماً شجاعاً وكانت زوجته (غزالة) تشاركه الفروسية ؛ والشجاعة ؛ وأخذ شبيب يطوف البلاد شرقاً وغرباً يدع الناس للجهاد وكانت غزالة تطوف البلاد هى الأخرى ودخلت مسجد الكوفة وجلست على منبره وهى أول امرأة ترتقى المنبر وتخطب عليه فى غير يوم جمعه وألتف الناس كلهم حول شبيب ، فخرج إليهم الحجاج فى أربعين ألف مقاتل فهزمهم وفرق جمعهم وقتل شبيب وانتصر الحجاج .

كان الحجاج لا يخاف إلاً ولا ذمة ولا يقف فى طريقة شىء فهو كالطوفان الجارف الذى لا يبقى ؛ ولا يذر .

الحجاج وابن الأشعث

بعد مقتل شبيب بحوالى خمس سنوات قام عبد الرحمن بن الأشعث لقتال الحجاج وانضم إليه مائه ألف فارس كلهم تجمعوا على كراهيتهم للحجاج وكراهيتهم لبنى أمية عامة ولعبد الملك بن مروان خاصة فخرج إليهم الحجاج فى 1500 ألف وخمسمائة مقاتل والتقى الفريقان واستعرت الحرب بنيهم سنة كاملة بين أخذ ورد ؛ ومد وجذر ؛ والحرب سجال .

وأخيراً طوقهم الحجاج الداهية وحاصرهم عند شاطىء النهر فهزمهم شر هزيمة فقتل من قتل ؛ وغرق من غرق ؛ وفر من فر ؛ حتى قتل منهم ثلاثون ألف مقاتل ؛ وهرب أبن الأشعث إلى تركيا ، ومعه ثلاثون من أصحابه وأقربائه ؛ فأمنهم روتبيل ملك تركيا فلما علم الحجاج أرسل رسولا معه رسالة شديدة إلى ملك تركيا يقول له بلغة القوة (والله الذى لا إله إلا هو لئن لم تبعث إلى بابن الأشعث ومن معه لأبعثن إليك ألف ألف مقاتل ولأهدمنها عليك) .

خاف ملك تركيا لأنه يعرف مصدر القوة والخطر فنقض عهده مع ابن الأشعث وبعث بهم إلى الحجاج .

علم إبن الأشعث المصير الذى ينتظره، أراد أن يهرب من الجحيم إلى النار ففكر فى طريقة للتخلص من الحياة ففى الطريق وعند قرية تسمى الرجح قال إبن الأشعث لحراسه أريد قضاء حاجتى فصعد على أعلى مكان ثم غافل حراسه ورمى بنفسه فمات منتحراً فقطع الحراس رأسه وأخذوها وتركوا الجثة وأخذوا الثلاثين الباقيين حتى وصلوا إلى الحجاج فأمر بقطع رؤوس الثلاثين الباقين ثم أرسلهم إلى الخليفة بدمشق ثم أرسل الخليفة رأس ابن الأشعث إلى أخيه عبد العزيز بن الأشعث فى مصر فدفنها بمصر والجثة بالرجح ولذلك قال القائل:

هيهات موضع جثة من رأسها رأس بمصـــر وجثه بالرجـــح

وقال الآخر:

أيا حجاج:

هب الدنيا تساق إليك عفوا أليس مصـــير ذاك إلى انتقال

وما دنيـــاك إلا مثـل فيـــء أظـــلك ثـــم آذن بالـــزوال

ولما لم يقف شيء فى طريق الحجاج وخضعت له الدنيا، وله إزينت، وكشفت عن محاسنها، وأغرته بجمالها، وفتنته بفتنتها، طغى وبغى ونسى الله والدار الآخرة، وقف يوما فقال: (والله لو أمرت الناس أن يخرجوا من هذا الباب فخرجوا من باب آخر لحلت لى دماؤهم وأموالهم) وهذا يدل على الكفر الصريح لأن رسول الله ﷺقال: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم، وأموالهم، إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله**» . (متفق عليه).

ومع ذلك كان الخليفة يسمع وكأن بأذنيه صمم، ويرى وكأن بعينيه رمد، يفسر لنا هذا قول الخليفة وهو يوصى ولده وولى العهد من بعده فيقول له عن الحجاج (وانظر إلى الحجاج بن يوسف فأكرمه فإنه هو الذى مهد لك البلاد وقهر الأعداء وخلص لكم الملك وشتت الخوارج).

الحجاج وأنس بن مالك

كان الحجاج مثالاً للظالم القبيح، وعنواناً للحاكم العنيد، وقد كانت جُلُّ مواقفه تتبارى فى النذالة والخسة وتحشره فى زمرة المتجبرين المتغطرسين قال عمر بن عبد العزيز: لو تخابثت الأمم فجاءت كل أمة بخبيثها وجئنا بالحجاج لغلبناهم..

وعن عاصم بن أبى النجود قال: ما بقيت لله عز وجل حرمةإلا وقد ارتكبها الحجاج وللحجاج مع الصحابى الجليل أنس بن مالك موقف ينم عن جهله بمكانة صحابة رسول الله ﷺ ومنزلتهم عند الله ورسوله والمؤمنين.

كلمة موجزة عن أنس بن مالك رضي الله عنه :

هو الصحابى الجليل المعروف والمشهور بين الصحابة والتابعين وتابعيهم إلى يومنا هذا إنه خادم الرسول ﷺ روت لنا كتب التاريخ أن أمه أخذته وهو صغير. سنه عشر سنوات وذهبت به إلى رسول الله ﷺ بالمدينة المنورة وقالت: يا رسول الله هذا ولدى أنس وهبته لخدمتك فاقبله منى عسى الله أن يهبنى الجنة فقبله رسول الله ﷺ.

قال أنس خدمت النبى ﷺ عشر سنين فما قال لى: أف، قط، ولا لشىء فعلته لم فعلته، ولا لشىء تركته لم تركته، عاش مع رسول الله ﷺ حتى كان البعض يظنه من أفراد الأسرة النبوية الشريفة ولذلك أخذ عن رسول الله الكثير وحفظ عنه الكثير حتى روى عنه رجال الحديث 1286 حديث ألف ومائتا حديث وستة وثمانون حديثاً اتفق البخارى ومسلم على مائة وثمانية وستين وانفرد البخارى بثلاثة وثمانين ومسلم بأحد وسبعين دعا له النبى ﷺ إستجابة لطلب أمه حين قالت: يارسول الله خادمك أنس أدع الله له فقال: «**اللهم أكثر ماله، وولده، وبارك له فيما أعطيته**»(1).

وفى روايه« **اللهم أكثر ماله وولده وأدخله الجنة**» حتى قال أنس فى آخر حياته فوالله لقد عشت حتى رأيت الأولى والثانية وأنا أطمع فى الثالثة ولما عاش مع رسول الله ﷺ كان يتقيد بضبط فعله وكيفيته فكان يحاكيه فى صلاته بحسب الطاقة.

---

(1) رواه الطبرانى ومنه رواية أخرى أخرجها الترمذى عن أنس بن مالك ـ رضى الله عنهم أجمعين ـ.

وذات مرة كان يصب الماء على رسول الله ليتوضأ فقال ﷺ : «**يا غلام ألا أعلمك ثلاث خصال تنتفع بها؟**» قال : بلى بأبى أنت وأمى يا رسول الله قال : «**إذا لقيت أحداً من أمتى فسلم عليه يطل عمرك ، وإذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خيرك ، وصلى صلاة الضحى فإنها صلاة الأوابين**» (1) .

طلب من رسول الله أن يشفع له فقال ﷺ : «**أنا فاعل إن شاء الله**» قال : فأين أطلبك يوم القيامة يا نبى الله؟ ، قال : « **اطلبنى أول ما تطلبنى عند الصراط** » ، قال : فإن لم ألقك ؟ قال : « **فأنا عند الميزان** » ، قال : فإن لم ألقك ؟ قال : « **فأنا عند الحوض ، لا أخطىء هذه الثلاثة مواطن يوم القيامة** »(2) .

جلس أنس ذات مرة مع رجل اسمه ثابت قال ثابت لأنس : هل مست يدك كف رسول الله ﷺ يا أنس قال : نعم . قال : فأعطينيها فأعطاها له فجعل ثابت يقبلها ويمسح بها وجهه وهو يقول : هذه يد مست يد رسول الله ﷺ (3) .

الحجاج وأنس:

عاش أنس حتى أدرك زمن الحجاج بن يوسف الثقفى وصار شيخاً كبيراً تخطى المائة فلما كثر ظلم الحجاج وعاث فى الأرض فسادا لجأ الناس إلى أنس رضي الله عنه بما له مكانه ومنزله فى قلوب العامة والخاصة ذهبوا إليه يستجيرون به من ظلم هذا الطاغية وطلبوا منه أن يكلم الحجاج لرفع الظلم عنهم فقام أنس وهو يتوكأ على عصى ودخل على الحجاج اسمعوا هذا الحوار واسمعوا ما دار وانظروا إلى ما فعله الحجاج .

قال أنس : السلام عليك أيها الأمير فنظر إليه الحجاج وهو جالس ، وأنس واقف قال له : إيه إيه يا أنيس (4) ما وراءك يا خبيث الأمة يا جوال الفتن مرة مع على ومرةمع ابن الزبير ، ومرة مع ابن الأشعث ، أما والذى نفس الحجاج بيده

---

(1) رواه مسلم .

(2) رواه الإمام أحمد عن النضر بن أنس عن أنس بن مالك ـ رضى الله عنهم ـ ورواه الترمذى من حديث حرب بن ميمون .

(3) البداية والنهاية لابن كثير جـ5 ص121 ط دار الغد العربى .

(4) يا أنيس تصغير أنس .

لأستأصلنك كما تستأصل الشاة، ولأدمغنك كما تدمغ الصمغة، فبهت أنس ومادت الأرض من تحت قدميه وقال: إياى يعنى الأمير!! . قال الحجاج: إياك أعنى أصم الله سمعك. . قال أنس: لا حول ولا قوة إلا بالله، إنا لله وإنا إليه راجعون، ثم قام الحجاج فوجأه فى عنقه ثم قال: لمَ جئت أيها الخبيث فلم ينطق أنس بل نزلت دموعه على لحيته ثم قال الحجاج: ياَ أهل الشام أتعرفون هذا؟ هذا خادم رسول الله ﷺ ثم قال: أتدرون لم وجأت عنقه؟ قالوا: الأمير أعلم، قال: إنه كان بين البلاء فى الفتنة الأولى وغاش الصدر فى الفتنة الثانية وأراد أن يقتله فأسترحمه الجالسون، واستعطفوه، فدعى بصاحب الخاتم فختم عنق أنس بعبارة (هذه عنق الحجاج) يعنى هذه العنق أعتقها الحجاج من القتل وعافاها من الذبح.

أخرج الحاكم عن إسحاق بن يزيد قال: رأيت (أنس بن مالك) مختوما فى عنقه ختمة الحجاج أراد أن يذله بذلك.

هل بلغت الجرأة اللادينية إلى هذا الحد؟ هل وصل الإسفاف إلى هذا المستوى؟ هل هذا ما يستحقه أهل بدر الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: «**لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**» وهل هذا يليق بخادم رسول الله ﷺ.

خرج أنس فكتب إلى أمير المؤمنين قال له بعد المقدمة: فإن الحجاج قال لى هجراً، وأسمعنى نكراً، ولم أكن بذلك أهلاً والله لو أن اليهود والنصارى شاهدوا من كان يخدم نبيهم لأكرموه وعظموه ولقد خدمت رسول الله عشر سنين فخذ لى على يديه والسلام!!!

فأرسل له الخليفة يستسمحه ويترضاه ثم كتب إلى الحجاج يقول له: أما بعد، فإنك عدوت طورك، وجاوزت حدك، وركبت داهية إدا فلعنك الله من عبد أخفش العينين منقوص الجاعرتين [1] أنسيت مكاسب آبائك بالطائف وحفرهم الآبار ونقلهم الصخور على ظهورهم فى المناهل يابن المستقرمه بعجم الزبيت والله لأغمرنك غمر الليث الثعلب، والصقر الأرنب، إلى أن قال: والله لو أن اليهود والنصارى رأت رجلاً خادم العزيز بن عذرى، وعيسى بن مريم، لعظمته وشرفته،

---

(1) الجاعرة الإست أو حلقة الدبر.

وأكرمته ، وأحبته ، بل لو رأوا من خدم حمار العزيز ، أو خدم حوارى المسيح لعظموه وأكرموه فكيف وأنس خادم رسول الله يطلعه على سره ، ويشاوره فى أمره ، فإذا قرأت كتابى هذا فكن أطوع له من خفه ونعله ، وإلا أتاك منى سهم بكل حتف قاض ، ولكل نبأ مستقر ، وسوف تعلمون .

ثم بعث بهذه الرسالة مع عبد الملك بن إسماعيل وقال له : قم فخذ هذا الكتاب واذهب إلى العراق لعاملنا هناك ، فلما التقى عبد الملك بن إسماعيل بالحجاج قال له : لقد فارقت أمير المؤمنين وهو أشد الناس غضباً عليك فاستوى الحجاج واقفاً مرعوبا فرمى إليه إسماعيل بالطومار فجعل الحجاج ينظر فيه مره ويعرق وإلى إسماعيل مرة أخرى فلما فرغ قال : قم بنا إلى أبى حمزة فأعتذر إليه وأترضاه[1] .

الحجاج وسعيد بن جبير

كان الحجاج نقمة على أهل العراق سلطه الله عليهم لما ارتكبوه من الذنوب والآثام وقد ينتقم الله من ظالم بظالم ثم ينتقم منهما ، قال تعالى : ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[2] وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[3] [illegible]د خانوا الإمام على وخذلوه وتركوه لعلمان بنى أمية وانفضوا من حوله فدعا عليهم الإمام على فقال : اللهم كما ائتمنتهم فخانونى ونصحت لهم فغشونى فسلط عليهم فتى ثقيف الزيال الميال .

قال الحس : وما خلق الحجاج يومئذ وكان الحجاج من أخبث أهل الأرض كما قال أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ولقد فعل بأهل الصلاح والتقوى مالا يفعله الشيطان الرجيم ولقد تكلمنا عما فعله بخادم رسول الله (أنس بن مالك) رضي الله عنه واليوم ننظر ما فعله مع الفقيه الزاهد والعالم الورع والتابعى الجليل (سعيد بن جبير) رضي الله عنه وأرضاه .

كان سعيد بن جبير ـ رحمه الله ـ يكره الحجاج ويكره حكم بنى أمية كلهم ويرى

(1) البداية والنهاية لابن كثير جـ5 ص122 وما بعدها بتصرف يسير .
(2) فصلت : 46 .
(3) يونس : 44 .

أنهم سلبوا الحكم من الإمام الشرعى وهو الإمام على بن أبى طالب ومما زاد فى بغضه لهم أن محمد بن يوسف الثقفى شقيق الحجاج وكان أميراً على اليمن وكان لشدة بغضه ونفاقه يأمر خطباء المسجد أن يلعنوا الإمام على على المنبر ومن أبى فإما إلى السجن وإما القتل فغضب سعيد مع الغاضبين وهاجم الحجاج وانضم لإبن الأشعث وخلع بيعة الحجاج .

ولما قتل ابن الأشعث هرب سعيد إلى أصبهان فكتب الحجاج إلى نائب أصبهان أن يبعث إليه بسعيد بن جبير مقيداً فلما علم سعيد هرب من أصبهان وذهب إلى مكة واختبأ بها خوفاً من عيون الحجاج ولكن المقربين إلى سعيد أشاروا عليه بمغادرة مكة لأن أمره سينكشف يوماً ما .

فقال لهم : والله لقد استحييت من ربى مما أفر ولا مفر من قدر الله وسأخبركم أنه لا مفر مما منه أفر (القتل) إننى كنت وصاحبان لى دعونا نحن الثلاثة حين وجدنا حلاوة الدعاء وسألنا الله الشهادة فكلا صاحبى رزقاها وأنا أنتظرها وها قد حان وقتها فمرحباً بها وبلقاء ربى .

فلما تولى خالد بن الوليد القسرى مكة جعل يبعث إلى الحجاج كل من كان من أصحاب إبن الأشعث فبعث سعيد بن جبير ، وعطاء بن أبى رباح ، ومجاهد بن جبير ، وعمرو بن دينار ، وطلق بن حبيب ، ولكنه عفا عن عطاء وعمرو لأنهما من أهل مكة وبعث بأولئك الثلاثة فأما طلق بن حبيب فمات فى الطريق وأما مجاهد فحبس ومازال فى السجن حتى مات الحجاج .

وأما سعيد بن جبير فوقف أمام الحجاج فقال الحجاج : ويل لك منى يا شقى ، فقال سعيد : الويل ياحجاج لمن زحزح عن الجنة إلى النار ، فقال الحجاج : والذى نفسى بيده لأبدلنك بالدنيا ناراً تلظى ، فقال سعيد : لو علمت أن ذلك بيدك لاتخذتك إلهاً من دون الله ، فقال الحجاج : والله لأقتلنك شر قتله فقال سعيد : عجبت لك يا حجاج من جرأتك على الله وحلم الله عليك .

فقال : اضربوا عنقه ، ، فقال : دعنى أصلى ركعتين فلما فرغ قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، أستحفظك بها حتى ألقاك ثم نظر إلى

الحجاج وقال له: أنا خصمك يوم القيامة عند الله اللهم لا تسلطه على أحد بعدى، فقال الحجاج: اقطعوا رقبته فقطعوها وهو مقيد بالحديد.

روى ابن جرير بسنده إلى أن الحجاج لما قتل سعيد بن جبير فندر رأسه [1] هلل ثلاثاً مرة يفصح بها وفى الثنتين يقول مثل ذلك لا يفصح بهما وبعد الذبح أصابت الحجاج لوثة فصار يقول: قيودنا قيودنا فظنوا أنه يريد القيود التى فى رجلى سعيد فقطعوها من الساق.

مرض الحجاج ووفاته

ومرض الحجاج واستجاب الله دعاء سعيد فى قوله «اللهم لا تسلطه على أحد بعدى» فقد جاءه المرض ونام على فراش الموت فأرجعف الناس بموته فمن قائل: إنه مات، ومن قائل: إنه جُنَّ، ومن قائل: كذا وكذا، فلما سمع بذلك الحجاج ترك الفراش وخطب الناس فقال: أيها الناس إن طائفة من أهل النفاق والشقاق نزغ الشيطان بينهم فقالوا: مات الحجاج، مات الحجاج، وهل يرجو الحجاج الخير إلا بعد الموت، وإنى والله أكره البقاء فى الدنيا والخلد فيها لأن الله عز وجل لم يجعل البقاء فيها لأحد إلا لأشر خلقه وهو إبليس حينما قال: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِى إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٧٩) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (٨٠) إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾[2] ولما طلب نبى الله سليان الملك لم يطلب البقاء فى الدنيا حيث قال: ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِى إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ....﴾ الآيات[3] ولقد سمعت عن المنافقين والكذابين أنهم قالوا إن الله لن يغفر للحجاج وهل هم على علم بما عند الله من الخير العظيم ثم قال:

يارب قد حلف الأعداء واجتهدوا ... بأننى رجل من ســاكنى النار

أيحـلفون علــى عمياء ويحهموا ... ما علمهم بعظيم العفــو غفــار

ثم زاد بعضهم:

---

(1) ندر يعنى سقط وانفصل عن جسده.

(2) ص: 79:81.

(3) ص: 35.

إن الموالى إذا شـــابت عبيـــدهم ... فى رقهم عتقـــوهـــم عتق أبـــرار
وأنت يا خالقـــى أولى بذا كرما ... قد شبت فى الرق فاعتقنى من النار

ولما زاد به المرض جعل يقول (مالى ولسعيد بن جبير) مرات ومرات ثم قال: لعن الله ابن النصرانية - يعنى خالد القسرى والى مكة الذى بعث بسعيد إليه - والله إنى كنت اعرف مكانه وأعرف البيت الذى كان فيه ابن جبير وما كنت أحب أن أراه ثم يصيح ويقول: مالى ولسعيد بن جبير وإذا نام يقوم من نومه فزعا ويقول: مالى ولسعيد بن جبير، وكان يراه فى المنام يأخذ بمجامع ثوبه، ويقول له يا عدو الله فيم قتلتنى، ثم يقول: ابعدوا عنى سعيد إنه آخذ بعنقى.

ثم أصيب بمرض لا يعرف، فكان ينزل الدود من فمه ودبره، ولا يأكل، ولا يشرب، حتى أنتن فعزلوه فى غرفه وحده ثم مات ولم يعلم بموته إلا جارية أشرفت عليه ثم بكت ثم قالت: مات ميتم الأيتام، ومرمل النساء، ثم أنشدت تقول:

اليوم يرحمنا من كان يغضنا ... اليوم يأتينا من كان يخشـانا

ولما علم الحسن بمقتل سعيد بن جبير قال: اللهم يا قاصم الجبابره أقسم الحجاج فما بقى إلا ثلاثة أيام بعد سعيد حتى وقع من جوفه دود فأنتن منه فمات ثم دفنوه ليلاً فى مكان لا يعرف إلى اليوم وأطلقوا عليه الماء كى لا ينبش ويحرق وهذه نهاية كل ظالم وإلى الله المصير قال تعالى: ﴿**تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾(1).

بعض نوادر [illegible] للحجاج

1- قال الأصعمى: بلغنى أن الحجاج لما فرغ من ابن الزبير وقدم المدينة لقى شيخًا خارجاً من المدينة فسأله عن حال أهل المدينة؟ فقال: بشر حال قتل ابن حوارى رسول الله ﷺ قال الحجاج: ومن قتله؟ فقال: الفاجر بن الفاجر، اللعين الحجاج عليه لعائن الله وتهلكته فغضب الحجاج غضبًا شديداً ثم قال: أيها الشيخ أتعرف الحجاج إذا رأيته؟ قال: نعم فلا عرفه الله خيراً ولا وفاه ضراً فكشف الحجاج

(1) القصص: 83.

عن لثامه وقال: ستعلم أيها الشيخ الآن إذا سال دمك الساعة فلما تحقق منه الشيخ انه الحجاج قال: والله إن هذا لهو العجب يا حجاج لو كنت تعرفنى ما قلت هذه المقالة أنا العباس بن أبى داود أصرع كل يوم خمس مرات فقال الحجاج: انطلق فلا شفى الله الأبعد من جنونه ولا عافاه.

2- قال الهيثم بن عدى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهم أجمعين ـ كتب عبد الملك إلى الحجاج أن إبعث إلى برأس اسلم بن عبد البكرى لما بلغنى عنه فأحضره الحجاج فوقف الرجل أمام الحجاج ثم قال: أيها الأمير أنت الشاهد وأمير المؤمنين الغائب والله تعالى يقول: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ** ﴾[1].

وما بلغه باطل وإنى أعول أربعة وعشرين إمرأه مالهن كاسب غيرى وهن بالباب فأمر الحجاج بإحضارهن فلما حضرن جعلت هذه تقول أنا خالته، وهذه أنا عمته، وهذه أنا أخته، وهذه أنا زوجته، وهذه أنا ابنته، وتقدمت إليه جارية فوق الثمان ودون العشرة فقال لها الحجاج: ومن أنت فقالت: أنا ابنته ثم قالت: أصلح الله الأمير وجثت على ركبتيها وقالت:

أحجاج لم تشهد مقام بناته ... وعماته يندبنه الليل أجمعا
أحجاج كم تقتل به إن قتلته ... ثماناً وعشراً واثنتين وأربعا
أحجاج من هذا يقوم مقامه ... علينا فمهلاً إن تزدنا تضعضعا
أحجاج إما أن تجود بنعمة ... علينا وإما أن تقتلنا معا

قال: فبكى الحجاج وقال: والله لا أعنت عليكن ولا أزدكن تضعضعاً ثم كتب إلى عبد الملك بما قال وقالوا، وبما قالت البنت، فأمر بإطلاقه والإحسان إلى هذه الجارية وأمره بتفقدها فى كل وقت[2].

---

(1) الحجرات: 6.
(2) البداية والنهاية لابن كثير جـ 5 ص166 ط دار الغد العربى.

3- قال قال المدائنى أتى الحجاج بأسيرين من أصحاب ابن الأشعث فأمر بقتلهما فقال أحدهما : إن لى عندك يداً قال : وما هى؟ قال : ذكر ابن الأشعث يوماً أمك فرددت عليه قال : ومن يشهد لك قال : صاحبى هذا فسأله قال : نعم، فقال : ما منعك أن تفعل كما فعل، قال : لأنى أبغضك وأكرهك قال الحجاج : أطلقوا هذا لصدقه وهذا لفعله فأطلقوهما [1].

4- قال أبو داود : حدثنا أبو بكر عن عاصم قال سمعت الحجاج على المنبر يقول : اتقوا الله ما استطعتم ليس فيها مثنوية، واسمعوا وأطيعوا لأمير المؤمنين عبد الملك ليس فيها مثنويه والله لو أمرت الناس أن يخرجوا من باب المسجد فخرجوا من باب آخر لحلّت لى دماؤهم، وأموالهم، والله لو أخذت ربيعة بمضر لكان ذلك لى من الله حلالاً، ولا أجد أحداً يقرأ على قراءة ابن أم عبد إلا ضربت عنقه ولأحكنها من المصحف ولو بضلع خنزير رواه غير واحد عن أبى بكر بن عباس وعن مسلم بن إبراهيم قال : حدثنا ابن دينار قال : سمعت الحجاج يقول وهو على المنبر عبد الله بن مسعود رأس المنافقين ولو أدركته لأسقيت الأرض من دمه وهذه جرأة من الحجاج قبحه الله.

5- ومن جرأته على الله أن ابن دينار قال : سمعته على منبر واسط يقرأ هذه الآية : ﴿ وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾[2] قال : والله إن سليمان كان نبيًا حسودًا حيث ضَنَّ بالخير لنفسه دون الناس وهذه جرأة تؤدى إلى الكفر والعياذ بالله.

6- ومن الطامات للحجاج ما رواه أبو داود بسنده أن الحجاج كان يخطب ذات يوم فقال فى خطبته : رسول أحدكم فى حاجته أكرم عليه أم خليفته فى أهله؟ فقال المغيرة : فقلت فى نفسى : لله على أن لا أصلى خلفك صلاة أبداً وإن وجدت قوماً يجاهدونك لأجاهدنك معهم ، وزاد إسحاق : فقاتل فى الجماجم حتى قتل، قال القرطبى : فإن صح هذا عنه فظاهره كفر إن أراد تفضيل منصب الخلافة على الرسالة أو أراد أن الخليفة من بنى أمية أفضل من الرسول ﷺ.

---

(1) نفس المصدر السابق.
(2) ص : 35.

7- قال الأصمعى : أتى الحجاج بإمرأة من الخوارج فجعل يكلمها وهى لا تنظر إليه ولا ترد عليه كلاماً فقال بعض الشرطة : يكلمك الأمير وأنت عنه معرضة فقالت : إنى لأستحى من الله أن أنظر إلى من لا ينظر الله إليه فأمر بها فقتلت .

8- كتب عمر بن عبد العزيز الخليفة الراشد رضي الله عنه إلى عدى بن أرطاة : بلغنى أنك تستن بسنن الحجاج فلا تستن بسننه فإنه كان يصلى الصلاة لغير وقتها ويأخذ الزكاة من غير حقها .

9- ولما ولى عمر بن عبد العزيز بعث بأهل بيت الحجاج إلى صاحب اليمن وكتب إليه : أما بعد فإنى بعثت إليك بآل أبى عقيل وهم أهل الحجاج وهم شر بيت فى العمل ففرقهم فى العمل على قدر هوانهم على الله وعلينا وعليك السلام وإنما نفاهم .

10- قال الثورى : سمعت أبا وائل يسأل عن الحجاج أتشهد أنه من أهل النار؟ قال : أتأمرونى أن أشهد على الله العظيم .

11- ذكر الحجاج عند محمد بن سيرين فقال : مسكين أبو محمد إن يعذبه الله عز وجل فبذنبه وإن يغفر له فهنيئا له وإن يلق الله بقلب سليم فهو خير منا وقد أصاب الذنوب من هو خير منه فقيل له ما القلب السليم قال : إن يعلم الله تعالى منه الحياء والإيمان وأن الله تعالى حق .

12- قال ابن يحيى : مر الحجاج فى يوم جمعة فسمع استغاثة ، فقال : ما هذا؟ فقيل : أهل السجون يقولون : قتلنا الحر ، فقال : قولوا لهم : ﴿ **اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ** ﴾[1] قال : فما عاش بعدها إلا أقل من جمعة حتى قصمه الله قاصم كل جبار عنيد .

13- مر رجل على نهر الفرات فرأى رجلاً يستحم وقد أشرف على الغرق فنزل الرجل وأخرج الغريق ولما جلس على الشط نظر فوجده الحجاج فقال الحجاج : أنقذتنى يا أخا العرب فاطلب منى ما تشاء فقال الرجل : طلبى ألا تخبر أحداً من المسلمين أنى أنقذتك وتركه وانصرف .

---

(1) المؤمنون : 108 .

14- كتب عبد الملك إلى الحجاج يسأله عن أمس واليوم وغد، فكتب الحجاج: أما أمس فأجل وأما اليوم فعمل وأما غداً فأمل.

15- لما قتل ابن الأشعث: وصفت العراق للحجاج وسع على الناس فى العطاء فكتب إليه الخليفة عبد الملك بن مروان: أما بعد فقد بلغ أمير المؤمنين أنك تنفق فى اليوم مالا ينفقه أمير المؤمنين فى أسبوع وتنفق فى الأسبوع مالا ينفقه أمير المؤمنين فى الشهر ثم قال منشداً:

عليك بتقوى الله فى الأمر كله ... وكن يا عبيد الله تخشى وتضرع

ووفر خراج المسلمين وفيأهم ... وكن لهم حصناً تجير وتمنع

فكتب إليه الحجاج على الفور بنفس القافية:

لعمرى لقد جاء الرسول بكتبكم ... قراطيس تملأ ثم تطوى فتطبع

كتاباً أتانى فيه لين وغلظة وذكرت ... والذكرى لذى اللب تنفع

وكانت أمور تعترينى كثيرة ... فأرضخ أو أعتل حينًا فأمنع

إذا كنت سوطًا من عذاب عليهم ... ولم يك عندى بالمنافع مطمع

أيرضى بذاك الناس أو يسخطونه ... أم أحمد فيهم أم ألامُ فأقذع

16- قال الحجاج لامرأة من الخوارج: اقرنى على شيئا من القرآن الكريم فقرأت المرأة: بسم الله الرحمن الرحيم (إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يخرجون من دين الله أفواجًا) فقال: ويحك يا امرأة يدخلون وليس يخرجون قالت: كان ذلك فى عهد أسلافك السابقين أما فى عهدك فإن الناس يخرجون من دين الله ولا يدخلون.

17- حج الحجاج فمر بين مكة والمدينة فأتى بغذائه فقال لحاجبه: انظر من يأكل معى فذهب فإذا أعرابى نائم فضربه برجله وقال له: أجب أمير المؤمنين فقام فلما دخل على الحجاج قال: إغسل يديك ثم تغذى معى، فقال: إنه دعانى من هو خير

منك قال: ومن؟ قال: الله... الله دعانى إلى الصوم فأجبته قال: فى هذا الحر الشديد؟ قال: نعم ليوم هو أشد منه حراً، قال: فأفطر وصم غداً، قال: إن ضمنت لى البقاء لغد، قال: ليس ذلك لى، قال: فكيف تسألنى عاجلاً بآجل لا تقدر عليه؟. قال: إن طعامنا طيب، قال: لم تطيبه أنت ولا الطباخ، إنما طيبته العافية.

18- قال الهيثم بن عدى: جاء رجل إلى الحجاج فقال: إن أخى خرج مع ابن الأشعث فضرب على أسمى فى الديوان ومنعت العطاء وقد هدمت دارى فقال الحجاج: أما سمعت قول الشاعر:

حنانيك من تجنى عليك وقد تعدى الصحاح مبارك الجرب

ولرب مأخوذ بذنب قريبه ونجا المقارن صاحب الذنب

فقال الرجل: أيها الأمير إنى سمعت الله تعالى يقول غير هذا وقول الله أصدق من هذا، قال: وما قال؟ قال: ﴿**قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلاَّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ**﴾[1] قال: يا غلام أعد اسمه فى الديوان، وابن داره، وأعطه عطاءه، ومر منادياً، ينادى صدق الله وكذب الشاعر.

19- خطب الحجاج يوماً فقال: أيها الناس الصبر عن محارم الله؟ أيسر من الصبر على عذاب الله فقام إليه رجل فقال له: ويحك يا حجاج ما أصفق وجهك وأقل حياءك تفعل ما تفعل وتقول مثل هذا الكلام والله تعالى يقول: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ** ﴾[2] خبثت وضل سعيك فقال للحرس: خذوه فلما فرغ من خطبته قال له: ما الذى جرأك على؟ قال: ويحك يا حجاج أنت تجرىء على الله ولا أجترىء أنا عليك؟ ومن أنت حتى لا أجترىء عليك وأنت تجترىء على رب العالمين فقال: خلُّوا سبيله فأطلقه.

---

(1) يوسف: 79,78.
(2) الصف: 3,2.

20- هل ابن البنت يسمى (ذرية) للجد لأم : قضيه فجرها الحجاج لأنه معلوم مشهور أن ذرية الرجل تكن من جهة الصلب الآباء والأعمام . . إلخ لذلك أنكر الحجاج يوماً أن يكون الحسين بن على من ذرية رسول الله ﷺ لأنه ابن بنته فقال له : يحيى بن يعمر كذبت فقال الحجاج : لتأتينى على ما قلت ببينة أو لأضربن عنقك فقال : قال الله تعالى : ﴿ **وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٤) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ** ﴾[1] ، فعيسى من ذرية إبراهيم وهو إنما ينسب لأمه مريم والحسين ابن بنت رسول الله ﷺ قال : صدقت ، ولكن نفاه إلى خراسان .

21- وبالرغم من سرور الخليفة بفعل الحجاج من ضربه بشدة على أيدى المخالفين ، وأخذه بالشبهة وقتله بالظنة ، إلا أن الخليفة كتب إليه يعاتبه فى إسرافه فى سفك الدماء فرد عليه الحجاج بهذه الأبيات :

إذا أنا لم أطلب رضاك وأتقى ... أذاك فيومى لا توارت كواكبه

إذا قارف الحجاج فيك خطيئة ... فقامت عليه فى الصباح نوادبه

أسالم من سالمت من ذى هوادة ... ومن لا تسالمه فإنى محاربه

فمن يتقى يومى ويرجو إذا غدى ... على ما أرى والدهر جم عجائبه

وبعد فإن الحجاج كان عثمانياً أموياً يميل إليهم ميلاً عظيماً ، ويرى أن خلافهم كفر ، ويستحل بذلك الدماء ولا تأخذه فى الله لومة لائم ، ومع ذلك كان يتدين يترك المسكر ، فلا يعرف أنه أهرف وكان يكثر من تلاوة القرآن الكريم ، ويتجنب المحارم ، ولم يشتهر عنه شيء من التلطخ بالفروج وكان حريصاً على الجهاد ، وفتح البلاد ، ولما مات لم يترك فيما قيل إلا ثلاثمائة درهم فعفا الله عنا وعنه وغفر لنا وله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

---

(1) الأنعام 85,84 .

الباب الخامس
الأمـــانـــة

هذا المبحث يتضمن العناصر الآتية:

- سؤال وجواب .
- لماذا سأل الأعرابى عن الساعة ؟
- ما هى الأمانة ؟
- الرجل المناسب فى المكان المناسب .
- استغلال النفوذ .
- أنواع من الأمانات .
- أمثلة للأمانة .
- رفع الأمانة .

الأمانة

أبدأ بهذا النص النبوى الشريف روى الإمام البخارى رضي الله عنه فى صحيحه بسنده إلى النبى ﷺ قال : بينما النبى ﷺ يحدث القوم جاءه اعرابى فقال يا رسول الله متى الساعة ؟ فمضى رسول الله يحدث فقال بعض القوم : سمع ما قال فكره ما قال . وقال بعضهم : بل لم يسمع ، حتى إذا قضى النبى حديثه قال : « **أين السائل عن الساعة** »؟ قال الأعرابى : ها أنا يا رسول الله ، قال : « **إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة**» قال الأعرابى : وكيف إضاعتها ؟ قال : « **إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة** » .

سؤال وجواب

السؤال من الأعرابى والجواب عليه من النبى ﷺ ، السؤال : متى ينتهى العالم وتقوم القيامة ؟

مضمون الجواب : إذا تعامل الناس بالغش والخيانة ، وانعدمت الثقة بين الفرد والجماعة وأصبح أراذل القوم هم السادة ، ووسد الأمر للضعفاء والمهازيل ، والجبابرة والمتكبرين عندئذ يفسد نظام الكون ، ويختل ميزان العدالة ، وهنا تكون القيامة ، لذلك استعاذ النبى ﷺ من الفقر والخيانة فقال : « **اللهم إنى أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع ، وأعوذ بك من الخيانة ، فإنها بئست البطانة** » (1) فالجوع ضياع الدنيا والخيانة ضياع الدين .

لماذا سأل الأعرابى هذا السؤال ؟

وقبل السؤال والجواب لنا سؤال : لماذا سأل الأعرابى هذا السؤال بعد إجابة القرآن الكريم القاطعة بأن علم الساعة عند الله ؟ فلقد جاء السؤال عن الساعة فى القرآن الكريم ثلاث مرات :

الأولى :

جاء فى سورة الأعراف وهى مكية ، قال تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ

(1) رواه أبو داود .

مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ . . . ﴾ الآية [1] .

الثانية :

جاء في سورة الأحزاب وهي مدنية ، قال تعالى : ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾[2] .

الثالثة :

جاء في سورة النازعات وهي مكية، قال تعالى : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا﴾ الآيات [3] .

ومنطوق هذه الآيات يؤكد أن علم الساعة عند الله ، والمضمون والمفهوم من هذه الآيات يبين أنها مما استأثر الله بعلمه ، لم ولن يطلع عليه ملك ولا بشر لأنها من الأمور الخمس الغيبية الخاصة بالجناب الأعلى فلا يجوز لأحد أن يحوم حول هذا الحمى ، قال تعالى في سورة لقمان : ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [4] .

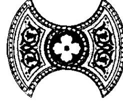
إذاً فلا مجال للبحث فيها أو السؤال عنها ، وتفويض أمرها لله سبحانه ، ولكن الإنسان دائمًا مولع بالغيب ، دائماً يسأل عن المجهول ، يدفعه فضول للبحث فيما وراء المادة ، وتتنازعه عدة تساؤلات !! .

متى بدأ العالم ؟ وكيف بدأ ؟ ومن أي شيء بدأ ؟ ولماذا بدأ ؟ ومقابله . . متى ينتهي العالم ؟ وكيف ينتهي ؟ ولماذا ينتهي ؟ .

من هنا جاء هذا الأعراب ليشبع جوعته ، ويحقق رغبته عند صاحب المقام الرفيع محمد فجاء يسأل عن نهاية العالم فقال : يا رسول الله متى الساعة ؟ فلم

(1) الأعراف : 187 .
(2) الأحزاب : 63 .
(3) النازعات : 42 .
(4) لقمان : 34 .

يلتفت إليه النبى ﷺ ، وكأنه كره السؤال بعد إجابة القرآن القاطعة ، حتى قال بعض الصحابة : (سمع ما قال فكره ما قال) أى سمع النبى ما قاله الأعرابى لكنه كره الإجابة على سؤال الأعرابى ، وقال : بعضهم بل لم يسمع ، لأن رسول الله ﷺ جمع محاسن الآداب ومكارم الأخلاق ، فلا يتجاهل سائلاً مهما كان السؤال ، حتى إذا قضى النبى حديثه وفرغ من كلامه ، قال : «**أين السائل عن الساعة**» ؟ فقال الأعرابى : ها أنا يا رسول الله فقال ﷺ : « **إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة** » إجابة بعلامة من علامات الساعة أما أمر الساعة نفسه فهو غيب ولا يعلم الغيب إلا الله ولكن الأعرابى يسأل فى دهشة كيف تضيع الأمانة ؟ وهى التى عليها يبنى الدين كله ولا دين لمن لا أمانة له ، فقال : وما علامة اضاعتها ؟ فقال ﷺ : « **إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة** » .



ما هى الأمــانــة ؟

الحـديث عن الأمـانة هو حديث عن الدنيـا بأسرهـا ، فمـا بينك وبـين ربك من عقـائد ، وعبـادات ، ومطالب ، يعتبر أمـانة ، ومـا بينك وبين أخيك الإنسان من عادات ومعـاملات ، ومصـالح والتزامات ، وواجبـات ، يعتبر أمانة ، ومـا بينك وبين نفسك ، وولدك ، وزوجك ، يعتبر أمانة ، فالأمانة واسعة الدلالة تشمل كل تبعـات الحيـاة ، و التصـدى لأى عـمل يعتبر أمانة ، والناس كلـهم شـركـاء فى هذه التبعة ، من الحـاكم إلى الخادم ، قال ﷺ : « **كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، فالإمام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته والمرأة فى بيت زوجها راعية وهى مسئولة عن رعيتها والخادم فى مال سيده راع وهو مسئول عن رعيته** »[1] .

والتقـصير فى أى حق من هذه الحقوق يعتبر غش وخيانة وإذا تمكن الغش من القلوب أفسـدها وطمس نورها وجلالها وجمالها وحولها من سكن للرحمن إلى وكر للشيطان يبيض فيه الدسائس والمؤامرات ، ويفرخ فيه الأحقاد والأضغان ، من هنا استعاذ النبى ﷺ من الخيانة فقال : « **اللهم إنى أعوذ بك من الجوع فأنه بئس الضجيع وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة** »[2] .

وقـال ﷺ لأنس بن مالك « **يا بنى إن قـدرت أن تصبح وتمسى وليس فى قلبك غش لأحد فافعل** ، ثم قال : **يا بنى وذلك من سنتى ومن أحيا سنتى فقد أحيانى ومن أحيانى كان معى فى الجنة** » ولقـد نفى النبى ﷺ الإيمـان عن الخـائن الذى لا يؤتمن على أسـرار الناس وأموالهم وأعراضهم « فليس من الإيمان أن يؤتمن الإنسان على مال فيجحده أو على عرض فيهتكه ، أو على سر فيذيعه ، أو على عمل فيهمله ، أو على نصرة صديق فيخذله »[3] .

---

(1) رواه البخارى .

(2) رواه أبو داود .

(3) الفضيلة والفضائل فى الإسلام للشيخ أحمد عبد الرحيم السايح ص 59 .

كما نفاه عن الخائن الذى لا يؤتمن على أسرار الدولة فيبيع سرها بثمن بخس دراهم معدودة فهو أشد خطراً وأعظم جرماً ونكراً من الأول يجب أن يبتر من الجماعة الإسلامية كما يبتر العضو الفاسد من الجسد حرصا على بقاء الجسم معافاً كله قال أنس رضي الله عنه ما خطبنا رسول الله إلا قال : « **لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له** » (1) .

وإن من أمعن النظر فى الدول العظمى التى ضربت بسهم وافر فى العلم والحضارة والتقدم وبسطت نفوذها على كثير من دول العالم لوجد أن هذا كله بفضل تكتمهم وشدة احتفاظهم على مكنون أسرارهم فيبتكرون ما يبتكرون ، ويخترعون ما يخترعون ، ويعدون ما استطاعوا من قوة ، دون أن ينافسهم منافس أو يحاكيهم مقلد ، وبذلك تكون لهم الغلبة والسعادة على كثير من دول العالم .

قال أبو مسلم الخراسانى

أدركت بالحزم والكتمان ما عجزت ... عنه ملوك بنى مروان إذ جهدوا
ما زلت أسعى عليهم فى ديارهم ... والقوم فى غفلة بالشام قد رقدوا
حتى ضربتهموا بالسيف فانتبهوا ... من نومه لم ينمها قبلهم أحد
ومن رعى غنماً فى أرض مسبعة ... ونام عنها تولى رعيها الأسد

الرجل المناسب فى المكان المناسب

يوجب الإسلام على ولى الأمر أيا كانت صفته ، وأيا كان موقعه ، أن يضع الرجل المناسب فى المكان المناسب بلا محاباة ، ولا مجاملة ، فلا رشوة ولا محسوبية ولا قرابة ولا عصبية ، حتى لا يسند منصب إلا لمن كان أهلاً له وجديراً به وترجى الاستفادة منه ، ويتوقع الخير على يديه ، فإذا أخذ كل فرد حقه بلا خلل ولا تعب ، وهو مؤمن بأنه لم يعتد على أحد ولم يعتدى عليه فإذا أحس بهذا الإحساس فانه يقبل على عمله فيؤديه على الوجه الذى يرضى ربه وضميره وهذا ما أراده رسول الله ﷺ حينما قال : « **إن الله يحب من أحدكم إذا عمل عملا**

(1) رواه أحمد فى مسنده .

أن يتقنه »[1] .

ولما رأى رسول الله ﷺ الصحابى الذى تورمت يده من العمل سأله عن سبب ذلك ؟ فقال يا رسول الله من أثر المشحات التى يعمل بها ، وهذا دليل على جده وإخلاصه فى عمله ، فقال ﷺ : « **هذه يد لا تمسها النار** » وفى رواية « **هذه يد يحبها الله ورسوله** » وفى رواية ابن الأثير فى أسد الغابة أن الرسول ﷺ قبل يده وقال ﷺ : « **خير الكسب العامل إذا نصح** » [2] .

أما إذا فتحت الدولة الأبواب الخلفية للرشوة ، والمحسوبية ، وطغت الشفاعات على الكفاءات ، وتولى القيادة من هم ليسوا أهلاً لها ، فقد خانوا الله ورسوله ، واستحقوا اللعنة من الله ورسوله ، ولن تقوم لهذه الأمة قائمة ، قال ﷺ « **من ولى من أمر المسلمين شيئا فأمر عليهم أحداً محاباة فعليه لعنة الله لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً حتى يدخل جهنم** »[3] وقال ﷺ : « **من استعمل رجلاً على عصابة وفيهم من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين** »[4] .

وعن يزيد بن أبى سفيان قال . . قال لى أبوبكر رضي الله عنه حين بعثنى إلى الشام : يا يزيد إن لك قرابة عسيت أن تؤثرهم بالإمارة وذلك أكثر ما أخاف عليك بعد ما قال رسول الله ﷺ « **من ولى من أمر المسلمين شيئاً . .** » الحديث .

ولما جاء سيدنا أبو ذر الغفارى رضي الله عنه إلى رسول الله وهو من هو فى الصلاح والتقوى والورع وطلب منه أن يولّيه عملاً قال : يا رسول الله ألا تستعملنى ؟ قال فضرب بيده على منكبى ثم قال : « **يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة ، وأنها يوم القيامة خزى وندامة إلا من أخذها بحقها ، وأدى الذى عليه فيها** »[5] .

نعم يا أبا ذر أنت رجل تقى نقى ورع ولكنك لست مؤهلاً للقيام بهذا العمل ، لست مؤهلاً علمياً ، وعمليًا ، وبدنيًا للقيَام بهذا العمَل من تدبير أمور الولاية

---

(1) رواه البيهقى .
(2) رواه أحمد .
(3) رواه الحاكم .
(4) رواه مسلم .
(5) رواه أبو داود .

ومطالب الناس وتحمل التبعات وفض المنازعات .

أما سيدنا يوسف الصديق عليه وعلى نبينا السلام لما طلب إدارة شئون المال فى الدولة كما قال تعالى : ﴿ **قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ** ﴾ (1) أجيب على الفور ليس لمكانته الدينية ولكن لأن لديه كل مقومات الإدارة من العلم والحفظ والحكمة ، ولذلك كان الرسول الكريم لا يولى أحداً من أصحابه إلا إذا علم أنه أهل لها جدير بها لديه القدرة على تحمل أعبائها ، أما إذا تقدم الخامل وتأخر العامل كسدت الدولة وشاخت فى موقعها وعلا صوت الجهل والفقر فيها .

استغلال النفوذ

إن استغلال النفوذ خلق كريه ، وهو من الأمور التى حقرها الإسلام ، ولفظ أصحابه وأعلن أنهم جراثيم تنخر فى عظام الأمة وأن الشخص الذى يستغل منصبه أو يستغل نفوذه لجر منفعة لشخصه أو لذوى قرابته ، أو لأحد أصدقائه ، على حساب الغير ، فهو إنسان مريض ، مختل الضمير خان الله ورسوله والمؤمنين . . عن عدى بن عمير رضى الله عنهم أجمعين قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**من استعملناه منكم على عمل فكتمنا مخيطًا فما فوق كان غلولاً يأتى به يوم القيامة** » فقام إليه رجل أسود سن الأنصار كأنى أنظر إليه ، فقال : يا رسول الله أقبل عنى عملك قال : «**ومالك**» ؟ قال : سمعتك تقول كذا وكذا ، قال : «**وأنا أقوله الآن من استعملناه منكم على عمل فليجىء بقليله وكثيره فما أوتى منه أخذ وما نهى عنه انتهى** » (2) .

وروى أن رسول الله ﷺ استعمل رجلاً على الصدقة فلما قدم بها قال : هذا لكم وهذا أهدى إلى ! ! ! فقام رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « **أما بعد فإنى أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولانى الله فيأتى فيقول : هذا لكم وهذا هدية أهديت إلى . . أفلا جلس فى بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقا ؟؟ والله لا يأخذ أحد منكم شيئاً بغير حق إلا لقى الله يحمله يوم القيامة فلا اعرفن أحداً منكم لقى الله يحمل بعيرا له رغاء ، أو بقرة لها خوار ، أو شاة ثم رفع يديه حتى رؤى بياض إبطه يقول الله :**

(1) يوسف : 55 .
(2) رواه مسلم .

هل بلغت !!![1] .

وروى أن أبا موسى الأشعرى رضي الله عنه ، أمين بيت المال فى عهد سيدنا عمر بن الخطاب ، أعطى قطعة نقود لعبد الله بن عمر ، فلما رآها عمر فى يد ابنه ، سأله عن مصدرها قائلا من أين لك هذا ؟ وليس فى جيب أبيك ولا فى بيته مثلها ؟ فقال عبد الله هى من أبى موسى فأمسك عمر بيد ابنه وذهب إلى أبى موسى وسأله عن سر إعطاء ابنه هذه القطعة . . فقال يا أمير المؤمنين ! لقد وجدتها فى الفىء ولم أجد لها مثيلاً فحررت للذهب قائمة ، وللفضة قائمة ، ولم أجد من البرونز غيرها فرأيت ألا أفرد لها سجلاً خاصاً ، فأعطيتها عبد الله ، فغضب عمر غضباً شديداً وقال : ألم تجد فى أطفال المسلمين أشد حاجة من ابن عمر حتى تعطية هذه القطعة !!! ثم أمر ابنه فردها لبيت مال المسلمين .

أنواع من الأمانات وليس على سبيل الحصر

قلنا فيما سبق أن الأمانة واسعة الدلالة ، مترامية الأفق ، وهى بالإضافة إلى ما ذكرناه تشمل أنواعاً أخرى أهمها ما يأتى :

(1) ـ كل عضو من أعضائك ، وجوارحك ، وحواسك ، يعتبر أمانة ، فهو ملك لله عندك يجب أن تحافظ عليه ، وأن تشكر من تفضل به عليك ، وأن تسخره لطاعته ، قال ﷺ « **كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس . . تعدل بين الاثنين صدقة ، وتعين الرجل فى دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة ، والكلمة الطيبة صدقة ، وبكل خطوة تمشيها إلى الصواب صدقه ، وتميط الأذى عن الطريق صدقة** »[2] والسلامى : هى عظام الجسم ومفاصله ، وقال ﷺ « **ليس من نفس ابن آدم إلا عليها صدقة فى كل يوم طلعت فيه الشمس** »[3] والمعنى كلما تحرك مفصل فى بدنك ، وكلما جرت الدماء فى عروقك ، وجبت عليك صدقة تؤديها لله شكراً قال ﷺ : « **نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس . . الصحة والفراغ** » .

(2) عمرك على هذه الأرض محدود معدود ، وفى علم الله تعالى معلوم ،

(1) رواه مسلم .
(2) البخارى .
(3) ابن حبان .

لا يزيد ولا ينقص ، يعد أمانة تسأل عنه يوم القيامة . . قال ﷺ : « **لا تزول قدما عبد القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ، وعن علمه ماذا عمل فيه** »[1] .

فكـل يـوم ينـقضى من عـمرك ، بل وكل لحظة تنقضى من شبابك ، يجب أن لا تضيعها فيما لا يفيد ، لأنها أمانة يقول الحسن البصرى رحمه الله : ما من يوم ينشق فجره ، إلا نادى مناد من قبل الحق : يا ابن آدم، أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد فتزود منى بعمل صالح فإنى لا أعود إلى يوم القيامة .

إن الزمن يمضى ولا يعود ، والعاقل من تزود منه بعمل صالح ، ولقد أحسن من قال :

ثم قال الوقت للنـــاس جمـيعًا احذروا ما كان منـى من وعــود
ترجـع الأوراق والطـير سـريعًا وأنا من حيـث أمضـى لا أعـود

(3) سلطة الإمام أو الحاكم أمانـة ، فهو ظل الله فى الأرض ، إما أن يعدل أو يظلم ، أما أن يصلح أو يفسد ، يقول ﷺ « **ما من عبد يسترعيه الله عز وجل رعية يموت يوم يموت وهو غاش رعيته إلا حرم الله تعالى عليه الجنة** »[2] .

ويقول ﷺ « **ما من أمير يلى أمور المسلمين ثم لا يجتهد لهم وينصح لهم إلا لم يدخل معهم الجنة** »[3] وعن عائذ بن عمرو ـ رضى الله عنهم ـ أنه دخل على عبيد الله بن زياد فقال له : أى بنى إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن شـــر الرعـاء**[4] **الحطـمة**[5] »[6] .

وعـن أبـى مريم الأذدى رضي الله عنه أنه قـال لمعـاوية رضي الله عنه سـمعت رسـول الله ﷺ يقول : « **من ولاه الله شيئا من أمور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم ودخلتهم وفقرهم**

(1) الترمذى .
(2) متفق عليه .
(3) مسلم .
(4) الرعاء : جمع راع ويجمع على رعاة .
(5) القاضى : الذى يظلم الناس ولا يرق لهم ولا يرحمهم .
(6) متفق عليه .

احتجب الله دون حاجته وفقره يوم القيامة »[1] .

(4) أسرار الدولة أمانة تجب المحافظة عليها ، ومن أفشى سرها فقد خان الله ورسوله والمؤمنين ، ولنا فى رسولنا ﷺ الأسوة ، والقدوة الحسنة ، فكان ﷺ حريصاً أشد الحرص على تحركاته العسكرية ، وكان إذا أراد غزوة ورى بغيرها ، وكان يقول « **الحرب خدعة** » [2] وما تقدمت الدول العظمى إلا لحفظها لأسرارها ، ولأن الوطن ملك لأبنائه الوطنيين ، يجب عليهم أن يفتدوه بأرواحهم ، وأن يحافظوا على كل ذرة من ترابه أما من أفشى أسرارها ، وللعدو باعها وأذاعها ، فقد خان الأمانة ، لا يفعل ذلك إلا من كان عبداً للمال ، أو النساء ، فاقداً للرشد أسيراً للهوى ، عميلاً مهيناً فاقداً للشرف والوطنية ، باع الدين بالدنيا واشتراها بثمن بخس دارهم معدودة فيجب بتره ، وإبعاده عن جسد الأمة .

(5) كذلك أسرار المجالس يجب أن تصان ومن الخيانة أن تدع لسانك يذكر كل ما قيل ، قال ﷺ « **المجالس بالأمانة إلا ثلاثة سفك دم حرام أو فرج حرام أو إقتطاع مال بغير حق** »[3] .

(6) علم العالم أمانة ، فإما أن ينفقه بسخاء وإما أن يكتمه ويلجم يوم القيامة بلجام من نار إما أن يكون حجة له أو نقمة عليه فهو سلاح ذو حدين إما أن يوجهه للخير فى البناء ، والتعمير ، والإصلاح ، وإما أن يكون معول هدم ، وخراب ، ودمار ، يقول ﷺ « **علماء هذه الأمة رجلان رجل آتاه الله علما فيبذله للناس ولم يأخذ علمه طمعا ولا يشتر به ثمنا فذلك تستغفر له حيتان البحر ودواب البر والطير فى جوف السماء ورجل آتاه الله علما فيبخل به على عباد الله وأخذ عليه طمعا واشترى به ثمنا فذلك يلجم يوم القيامة بلجام من نار وينادى مناد :هذا الذى آتاه الله علماً فبخل به على عباد الله وأخذ عليه طمعاً واشترى به ثمنا وكذلك حتى يفرغ الحساب** »[4] .

ويتبع ذلك أمانة النقل والبحت والتأليف ، والنشر ، فى الرسائل العلمية ،

---

(1) رواه الترمذى وأبو داود .

(2) روه مسلم .

(3) رواه أبو داود .

(4) رواه الطبرانى فى الأوسط .

فلا ينسب لنفسه ما كان لغيره وإن فعل نسبه لقائله .

(7) أمانة الكلمة : الكلمة لها وزنها وثقلها وفى سورة إبراهيم ضرب الله مثلين الأول للكلمة الطيبة والثانى للكلمة الخبيثة قال تعالى : ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ** . . ﴾ الآيات [1] وكان الرسول الكريم ﷺ يقدس الكلمة التى يقولها ، وقد يقول الرجل الكلمة فتفتح له أبواب الجنة ، وربما يقول الكلمة فيهوى بها فى النار سبعين خريفًا وفى ليلة الإسراء والمعراج رأى رسول الله ﷺ ثقبًا صغيرًا يخرج منه ثور عظيم ويريد الثور أن يدخل من حيث خرج فلا يستطيع فقال الرسول ﷺ : « **مـا هـذا يـا أخى يا جبريل** »؟ قال : « **هذا مثل الرجل يتكلم بالكلمة ، ثم يندم عليها ، ولكنه لا يستطيع أن يردها** » .

واللسان السائب حبل مرخى فى يد الشيطان يصرف صاحبه كيف شاء وقد قيل : صدور الأحرار قبور الأسرار .

وقيل : قلب الأحمق فى لسانه ، ولسان العاقل فى قلبه .

وقيل : لبعضهم : كيف أنت فى كتم السر قال : استره واكتم انى استره .

(8) الشركة بين الشريكين أمانة ، فإن راقب الله كلا منهما ، وأخلصا لله فيما بينهما ، بارك لهما ورزقهما رزقاً حسنا ، وإن خانا أو خان أحدهما أو غشا محقت البركة من بينهما لقول الله عز وجل فى الحديث القدسى « **أنا ثالث الشريكين مالم يخن أحدهما صاحبه فإن خانه خرجت من بينهما** »[2] .

(9) حتى العلاقة الجنسية بين الرجل وامرأته أمانة ، قال ﷺ « **إن من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضى إلى امرأته وتفضى إليه ثم ينشر سرهما** » [3] وفى رواية أخرى « **إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضى إلى امرأته وتفضى إليه ثم ينشر أحدهما سر صاحبه** »[4] ولكن السفيه من الناس الصفيق الوجه ينام مع آمراته ثم

---

(1) إبراهيم : 24 .
(2) أبو داود والحاكم .
(3) مسلم .
(4) رواه مسلم .

يصبح فيقول : فعلت الليلة كذا ، وكذا ، ولعلها تقول ما قال ـ قال ﷺ : « **لا تفعلوا فإن مثل ذلك مثل شيطان لقى شيطانة فغشيها والناس ينظرون** »(1) .

(10) الموظف فى الدولة أمين على ما تحت يده والعامل من الحاكم إلى الخادم مسئول على ما كلف به ، إذا مد الموظف يده للناس ليأخذ أجراً على إنجاز العمل فهى خيانة قال ﷺ « **من استعملناه على عمل فرزقناه رزقا فما أخذ بعد ذلك فهو غلول** »(2) .

(11) التجارة فى يد التاجر أمانة والصناعة فى يد الصانع أمانة ، والزراعة فى يد الزارع أمانة ، ألم أقل لكم إن الأمانة تشمل الحياة كلها دينا ودنيا إنها خلق جميل لا يصبر عليها الصعاليك ، ولا يحملها المهازيل ، وإنما يحملها المؤمنون الصادقون وما يلقاها إلا الذين صبروا ، وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم .

وبعد فهذه أنواع الأمانات ، وهى ليست على سبيل الحصر ، وما كان منها لله يجب أن يؤدى لله ، وما كان منها للعباد يجب أن يؤدى للعباد ، ويستوى فى ذلك البر ، والفاجر ، والصالح ، والطالح ، والمؤمن ، والكافر ، والتفريط فى أى منها يعرض العبد يوم القيامة للمساءلة أمام الله ، روى ابن جرير الطبرانى فى تفسيره عن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنهم أجمعين ـ إن رسول الله ﷺ قال « **القتل فى سبيل الله يكفر الذنوب كلها إلا الأمانة يؤتى بصاحب الأمانة فيقال له : أد أمانتك فيقول : أنَّى يارب وقد ذهبت الدنيا ؟ فيقال له : أد أمانتك أنى يارب وقد ذهبت الدنيا ، فيقال له : أد أمانتك ، فيقول : أنَّى يارب وقد ذهبت الدنيا ؟ فيقول سبحانه : اذهبوا به إلى أمه الهاوية فيذهب إلى الهاوية فيهوى فيها حتى ينتهى إلى قعرها فيجدها هناك كهيئتها فيحملها فيضعها على عاتقه فيصعد بها إلى شفير جهنم حتى إذا رأى أنه خرج زلت قدمه تهوى فى أثرى أبد الآبدين قال : والأمانة فى الصلاة ، والأمانة فى الصوم ، والأمانة فى الوضوء ، والأمانة فى الحديث ، وأشد من ذلك الودائع** »(3) .

---

(1) رواه مسلم

(4) رواه أحمد .

(1) رواه أحمد والطبرانى .

أمثلة للأمانة

(١) فى معركة القادسية عثر أحد أفراد الجيش الإسلامى على علبه فيها مال وذهب ، وبدون رقيب عليه ، ولا رفيق معه ، أخذها وأعطاها لقائده فقال القائد أخبرنى عن اسمك حتى أكتب بذلك لأمير المؤمنين يكافئك يا رجل ؟؟ فقال الجندى يا سيدى القائد لو فكرت فيما فكرت فيه ما رأيت العلبة أنت ولا عمر أنى أريد بذلك وجه الله لا وجه عمر ، وصل الخبر إلى أمير المؤمنين عمر فبتسم قائلاً الحمد الله أن جعل فى جيشى أمثال هذا فقال على بن أبى طالب وكان أحد الحاضرين ياأمير المؤمنين عففت فعفوا ، ولو رتعت لرتعوا .

(2) روى أن عبد الله بن عمر كان فى سفر فمر على راع يرعى غنماً ، فأعجبه ما رأى من صدقه ، وإخلاصه ، وأمانته ، فأراد أن يختبره فقال له : أريد شاة من هذه الشياه !!! فقال الراعى : إنها ليست ملكى بل أنا راع أجير مؤتمن عليها ، فقال عبد الله إذا سألك عنها سيدك فقل إن الذئب أكلها ، وانتفعت أنت بثمنها فقال الراعى : إذا كان سيدى غائباً فأين الله ؟؟؟ فدخلت هذه الكلمة قلب ابن عمر واهتز لها بدنه وجوارحه ، وجعل يرددها : وأين الله ؟ وأين الله ؟ ووالله لو قال كل واحد منها وأين الله ، واستحضر عظمة الله ، ما رأيت فى المجتمع المسلم عرضا يهتك ، ولا مالاً يسلب ، ولا دماً يسفك ، ولا حقا يضيع أو ينكر ، لو قال كل منا وأين الله ما وجدت فى المجتمع الإسلامى ضعيفاً يهان ، ولا فقيراً يذل ، ولا غنياً يفجر بماله ولا حاكمًا يطغى ويستبد ، لو قال كل واحد منا : وأين الله ؟ ما وجدت نماماً يفرق بين الأحبة ، ولا مغتابا يطفح الحقد من قلبه ، ولا كذابا ، ولا غاشا ، ولكنها الأمانة ـ الأمانة التى ضاعت بين الأمة ، الأمة التى أفلست فى إيمانها ، وانكمشت فى جهلها وضلالها ، وأعطت صورة سيئة للإسلام ونبى الإسلام محمد ﷺ ، وصدق رسول الله ﷺ حيث قال : « **لا دين لمن لا أمانة له** » .

رفــع الأمـــانـــة

الأمانة هى أصل أصيل من أصول الأخلاق ، وكل فضيلة منها تصدر وإليها تعود وهى منحة من الله عز وجل يختص بها من يشاء من عباده لأنها تستهدف كمال النفس ، وجمال الذات ، وهى صفة غريزية أودعها الله فى جذر قلوب الرجال ، والجذر (بفتح الجيم وسكون الذال) هى الأصل بمعنى أن الله تعالى أودع الأمانة فى أصل قلوب الرجال ، فاستقرت فى وجدانهم لتحملهم على تأدية الحقوق لأصحابها ، سواء كانت مادية ، أم أدبية ، لله أم للناس ، حتى إذا تقارب الزمن وتبدلت القيم وتغيرت الأحوال وإنعدمت الأخلاق ومات الضمير وكثرت الفتن وأصبح الرجل يقاس بالدرهم والدينار ، والمكر والدهاء ، واللف والدوران ، عندئذ يرفع الله الفضيلتين العلم ، والأمانة ، وهما من أغنى وأقوى الدلائل على طاعة الله ـ والله عز وجل لا يرفع العلم انتزاعا ينتزعه من صدور الرجال ، ولكن يقبضه بقبض العلماء قال ﷺ : « **إن الله لا يقبض العلم إنتزاعا ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤسا جهالاً فسئلوا فأفتوا فضلوا واضلوا . . .** » .

أما الأمانة فإن الله ينتزعها نزعاً من صدور الرجال ، كما جاء فى الحديث الشريف الذى رواه الإمام مسلم فى صحيحه عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنهم أجمعين قال « . . **إن الأمانة نزلت فى جذر** [1] **قلوب الرجال فعلموا من القرآن وعلموا من السنة** » والعلم بالشريعة لا يغنى عن العمل بها والأمانة ضمير حى ، فإذا مات الضمير انتزعت الأمانة ثم يستطرد حذيفة فى وصفه لتسرب الأمانة فيقول ثم حدثنا رسول الله ﷺ عن رفع الأمانة فقال : « **ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه ، فيظل أثرها مثل الوكت** [2] **ثم ينام النومة فتقبض الأمانة من قلبه ، فيظل أثرها مثل المجل** [3] ثم

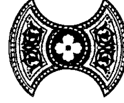
(1) جذر قلوب الرجل : أى أصل قلوب الرجال ، والجذر هو الأصل .

(2) الوكت : بفتح فسكون : هو السواد الخفيف فى اللون ، والوكتة : النقطة ، ويقال : فى قلبى وكتة مما قيل : أى أثر يسير .

(3) المجل : بفتح فسكون : هو غلظ يصيب جلد اليد من عمل بآلة صلبة ، ويقال : مجلت يده : تقرحت من العمل .

قال : « **فيصبح الناس يتبايعون لا يكاد أحد يؤدى الأمانة حتى يقال إن فى بنى فلان رجلاً أميناً وحتى يقال للرجل ما أجلده ، ما أظرفه ما أعقله وما فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان** » .

والحديث يصور لنا رفع الأمانة وانتزاعها من صدور الرجال وعلى هذا نعلم أن الإيمان ، والأمانة ، صنوان لا يفترفان يقول أنس رضي الله عنه ما خطبنا رسول الله ﷺ إلا قال « **لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له** » رواه أحمد . والله أعلم .



الباب السادس
الإســـــراء والمعـــــراج

هذا المبحث يتضمن العناصر الآتية:

- ابتهـــــال .
- معنى الإسراء والمعراج .
- المعراج فى القرآن والمراد به .
- الأدلة النقلية على حدوثهما .
- هل يخضعان للبحث العلمى ؟
- الأدلة العقلية لإثبات كونهما معجزة .
- وصول الإنسان إلى القمر أقوى دليل على أنهما معجزة .
- لماذا اختار الإنسان لأبحاثه القمر ؟ .
- ولا تزال الأبحاث تجرى .
- مخاطر السبح فى الفضاء .
- موقف الإنسان قديماً وحديثاً من الإسراء والمعراج .
- الرد عليهم بالأسلوب السهل الميسر .
- اختلاف العلماء .
- أمثلة لبعض المعجزات .

ابتهـــال

فى ذكرى الإسراء والمعراج أتوجه إلى صاحب الذكرى بهذا النداء فأقول :

يا صـاحب الذكرى ـ يا صاحب الشفاعة العظمى ـ إن فى القلب آمالاً يثير الشوق أشجانها ويأبى أدبى معك يا مصطفى إلا كتمانها فإذا قال لى الشوق : أطلق الشكوى ببيانك قال لى الأدب : بل انظر بعينيك إلى هذا النور واحفظ عليك لسانك .

يا صاحب الرسالة ـ يا ثروة وجودنا وكنز أمانينا نسأل الله رب العالمين أن ينقذ حياتنا من الحرص على الحياة فإن الخوف على ضياعها هو الموت قبل الممات .

يا صاحب الذكرى : إن العالم بأسره مدين لك سواء منهم من كان معك أو عليك فلقد سموت بإنسانية الإنسان ، ورفعت منارة الإيمان ، وحررت الوجوه من السجود إلا لله وجعلت القلوب المتحجرة القاسية الغليظة تهتز طربًا بذكر الله عز وجل .

سيدى أبا القاسم يا رسول الله فى ذكرى الإسراء والمعراج لا ادرى ماذا أهدى إليك فليس عندى ما أقدمه إليه غير أنى أقول كما قال القائل :

أنت الذى ناداك ربك مرحبا ... ولقد دعاك لقربه وحباكا

أنت الذى من نورك البدر اكتسى ... والشمس مشرقة بنور بهاكا

أنت الذى لما رفعت إلى السما ... بك قد سمت وتزينت لسراكا

أخى القارىء الكريم:

الإسراء والمعراج نفحة من نفحات ذى الجلال والإكرام ، ومنحة تفضل بها صاحب الفضل على رسول الله ، تجلى الله بها عليه ليرفعه إلى منتهى الكمال القدسى ، ويسمو بنفسه إلى منتهى الكمال النفسى ، ويجعله روحانيًا فى جسده وروحه ليتخطى حواجز المادة ، ويخترق السبع الطباق ويرى ما لم يره بشر فأطلعه على أسرار الكون وما فيه ، وكشف له عن مكنون الغيب وخافيه فأعطاه نوراً على نور حتى وصل إلى مقام الحضرة الإلهية ، وأعطاه سمعاً حتى سمع كلام الذات العلية وبصراً حتى شاهد الأفق الأعلى ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى

فأوحى إلى عبده ما أوحى فكان سراً من الأسرار لم يطلع عليه نبى مرسل ولا ملك مقرب .

يقول القائل

يا من سموت إلى الآفاق تقطعها — وخضت فى النور محفوفا بأمجاد
قد كان موسى كليم الله فى حجب — وأنت كلمته فى المشهد البادى
وأنت ناجيته والنفس ثابتة — أما الكليم فقد ولى بإرعاد
أكرم بها نعمة لم يعطها أحد — زفت إليك ولم تسبق بميعاد
فإن سموت بهذا لم يكن عجبا — فإن شمس الضحى من نورك الهادى

وهو ﷺ بمنحه ، هذا الفضل ليس بدعا من الرسل ، فلقد تجلى الله على آدم فعلمه الأسماء كلها ، وعلى إبراهيم فأراه ملكوت السموات والأرض ، قال تعالى : ﴿ **وَكَذَلِكَ نُرِى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ** ﴾ (1) وعلى عيسى فأبرأ الأكمة والأبرص وأحيا الموتى بإذن الله ، وعلى موسى بأن اصطفاه واجتباه فكلمه بدون حجاب ، قال تعالى : ﴿ **اللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً ومن الناسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ** ﴾(2) .

وبعد . . .

فلقد أكرم الله رسولنا بشرف الإسراء . ونعمة المعراج ، وكرامة القرب وحلاوة الوصل ، ولذة المناجاة وذلك بعد أن أراه كثيراً من آياته الكبرى ، وأوقفه على بعض أسراره العظمى ، وأثلج صدره بأنوار ذاته العليا ، وجمل له الملك والملكوت ، وأفاض عليه من أسرار علمه ، ونواميس غيبه ، ما يطمئن له القلب ويستريح له الفؤاد .

---

(1) الأنعام : 75 .
(2) الحج : 75 .

معنى الإسراء والمعراج

الإسراء هو السير ليلا والمراد به هنا السير من مكة إلى بيت المقدس ، والمسافة بينهما 2500 كم، والمعراج هو الصعود إلى أعلى ، والمقصود به الصعود من بيت المقدس إلى السموات العلى ، والمسافة بينهما لا يعلمها إلا الله ، وتسمى بالرحلة السماوية والرحلتان السماوية والأرضية قطعهما النبى ﷺ ذهاباً وإياباً فى لحظات معدودات وسبحان من يقول للشيء « كن فيكون » وهو الفعال لما يريد، قال تعالى : ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴾[1] .

المعراج فى القرآن الكريم والمراد به

لو تصفحنا القرآن الكريم لوجدنا كلمة المعراج وردت فى عدة آيات من الكتاب العزيز وهى :

(1) جاءت فى سورة الحجر ، قال تعالى : ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴾[2] .

(2) جاء فى سورة السجدة، قال تعالى : ﴿ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾[3] .

(3) جاءت فى سورة سبأ ، قال تعالى : ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴾[4] .

(4)جاءت فى سورة الزخرف ، قال تعالى : ﴿وَلَوْلا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴾[5] .

(5) جاءت فى سورة المعارج، قال تعالى : ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَافِرِينَ

---

(1) سبأ : 2 .
(2) الحجر : 14 .
(3) السجدة : 5 .
(4) سبأ : 2 .
(5) الزخرف : 33 .

لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ۝٢ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾[1] .

(6) جاءت فى سورة الحديد ، قال تعالى : ﴿ **يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾[2] .

لو نظرت إلى مادة « عرج » فى هذه الآيات الست لعلمت أن المراد بها هو الصعود وبذلك يكون المعراج هو المصعد أو السلم الذى يرتقى فيه أو عليه ، ومنه المعراج الذى عرج به أو عليه رسول الله ﷺ ليلة الإسراء والمعراج ، ومنه تعرج وانعرج أى مال وانعطف والعروج فى السماء يدل على السير فى مسارات منحنية أو السبح فى الفضاء فالسبح إذا لا يعرف الخط المستقيم ومثال ذلك أن تقول : « عرجت على فلان »[3] أى انعطفت عليه أو ملت نحوه وهكذا .

الأدلة النقلية على حدوثهما

أول ما يطالعنا من الأدلة على وقوع الإسراء نجد هذا النص ، قال تعالى : ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾[4] .

ومن الأدلة الضمنية على المعراج قوله تعالى فى سورة النجم : ﴿ **عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ۝٦ وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى** ﴾ الآيات[5] ومن السنة عن أنس رضي الله عنه : قال ﷺ : « **أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل حافره عند منتهى طرفه قال : فركبته حتى أتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التى يربط فيها الأنبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءنى جبريل : بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة ثم عرج بنا إلى السماء الدنيا** »[6]

---

(1) المعارج : 1، 2، 3، 4 .
(2) الحديد : 4 .
(3) بفتح العين وتشديد الراء، وسكون الجيم .
(4) الإسراء : 1 .
(5) النجم : 5، 6، 7 .
(6) رواه الإمام أحمد عن أنس بن مالك .

الحديث الذى يصف فيـه ما رآه فى كل سمـاء ومن قابله من الأنبيـاء عليهم السلام وكيف فـرضت الصلاة فى هذه الليلة مما يؤيد ويقـوى أن الإسراء والمعراج كـانا فى ليلة واحدة وأنهما كانا فى اليقظة جسداً وروحاً خلافاً لمن قال خلاف ذلك .

وبعد أن ثبت حدوثهما ، فهل يخضعان للبحث العلمى ؟

الإسراء والمعراج فوق الإدراك العقلى ، وبالتالى لا يخضعان للبحث العلمى ، لأنهما معجزتان خارقتان ، والمعجزة تجرى وفق الناموس الإلهى فلا تخضع للعقل ولا تجرى عليها قوانين العلم ، فالعلم يقف أمامهما عاجزاً ، والعقل يقف أمامهما حائراً ، ولو وضع الإسراء والمعراج أمام الحقائق العلمية ، والاستقراءات الكونية ، والثوابت الفضائية ، **لأصيب العقل بالشلل الفكرى** ، والعلم بالعجز الكلى ، وما عليهما إلا أن يقولا ﴿ **سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ** ﴾ (1) إذاً هذه الرحلة بعيدة **عن التصور العلمى وفوق الإدراك العقلى** .

الأدلة العقلية لإثبات كونهما معجزة

وإذا كان العقل **يؤمن ويعترف بأنهما فوق** طاقته ، وخارج دائرته فهو يؤمن ويعترف ويبرهن **على أنهما** من الأمور الخارقة للعادة (معجزة) وذلك للأسباب الآتية :ـ

(1) عالم الفضاء عالم فسيح مهول ، عالم كبير مجهول ، عالم لا يعلمه إلا من خلقه سبحانه ، وما عرف العلماء منه إلا الشىء التافه اليسير بالنسبة لما خفى عنهم فالأدلة التى أرتهم ما أرتهم إلا القليل ت عن الكثير العظيم .

ذكر الشيخ محمد الغزالى فى كتابه (قذائف الحق) أن العالمة الإنجليزية الدكتورة « مرجريت برنبويدج » اكتشفت أبعد نجم فى هذا الكون على قدر عدستها وقد سمى الفلكيون هذا النجم : كاذار وهو يبعد عنا بمقدار 15600 مليون سنة ضوئية والسنة الضوئية كما حددها العلماء تساوى 365 يوماً × 24 ساعة × 60 دقيقة × 60 ثانية × 186000 ميل وهى سرعة الضوء فى الثانية الواحدة ولما سئلت الدكتورة عن أتساع الكون الذى نعيش فى جانب محدود منه قالت لا أحد يعرف ، ولكن

(1) البقرة : 32 .

هذه حدود معرفتي بالقدر الذى تسمح به عدستها وقطرها 120 بوصه ولو كانت هناك عدسات أكبر ، أو أجهزة أدق ، أو إمكانيات أفضل لأتسع أمامنا الكون أكثر وأكثر »[1] .

والســؤال :

(1) كيف تخطى رسول الله ﷺ كل هذه النجوم ، والأفلاك ، والشموس ، والأقمار ، ثم السموات واحدة بعد الأخرى حتى سدرة المنتهى ، وهو بجلبابه العربى ، وزيه البدوى ، وهو الأمى الذى كان فى ذاك الوقت لا يستطيع أن يفرق بين السنة العادية والسنة الضوئية ، ولا يجيد السبح فى البحار ، فضلاً عن السبح فى الفضاء ، إذا هى أمر خارق للعادة (معجزة) والمعجزة لا يهبها الله إلا لرسول أو نبى .

(2) « الفضاء يعج بالأجرام ، والأفلاك ، والنيازك وغيرهم وكل هذه الأجرام تسبح فى الفضاء وتسبح فى مسارات منحنية ، والعروج فى السماء هو نفسه سبح فى الفضاء ، ولا يستطيع أحد أن يسبح فى الفضاء إلا إذا كان عالما بدقائق المسارات عالماً بهندسة السماء ، عالماً بأسرار السبح وقوانين السبح ، عالماً بمعرفة الأفلاك والمجرات وكل الأجرام ، عالما بأبعادها ، عالماً بالمنحنيات وكيف يعلو وكيف يهبط فهل كان رسول الله محمد على علم بهذه المسارات ؟ على علم بدراسة هندسة السماء ؟ هل كان على علم ودراية بتلك الأفلاك والنيازك والمجرات ؟ هل كان على دراية بعالم الفضاء ككل ؟ إن الرسول الكريم وقتها لم يكن لديه أى معلومة من هذه المعلومات)[2] .

وتخطى كل هذه المواقع والموانع فكيف عرج [3] إلى السماء ؟ ولكن لم يقل بذلك أحد على الإطلاق بل عرج به (بضم العين) إلى السماء إذا هى معجزة والمعجزة لا تخضع للقوانين والأسباب والمسببات .

---

(1) قذائف الحق للشيخ محمد الغزالى ص 146 .

(2) اسرار الفضاء للدكتور محمد جمال الدين الفندى بتصرف يسير .

(3) بفتح العين والراء .

(3) وصول الإنسان إلى القمر أقوى دليل على أن المعراج معجزة

إذا نظرنا إلى رحلة الإنسان إلى القمر ورأينا تكاليفها ، كم استغرقت من الوقت ؟ وكم استنفدت من الجهد ؟ كم تكلفت من أموال ؟ كم عدد العلماء الذين اشتركوا فيها ؟ كم عدد الفنيين والخبراء ؟ لو أمعنا النظر فى هذا لقويت العقيدة بالله وازداد الإيمان برسول الله وقلنا قال تعالى : ﴿**ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**﴾ (1) وكيف ذلك ؟ فى بداية القرن العشرين بدأ الإنسان يبحث بالطرق العلمية المعملية الجادة ، استكشاف العالم العلوى محاولاً كشف الغموض الذى يحيط به .

والإنسان دائما مولع بالغيب ، دائما يبحث عن المجهول ، دائما يتساءل لم ، ومتى ؟ وأين ؟ وكيف ؟ من هذا المنطلق بدأ يبحث ويتساءل عن الفضاء حتي نفذ من أقطار الأرض (وركب الجو وأطلق أول قمر صناعى عام 1958 وداس بقدمه على سطح القمر واتى بعينات من تربته ، واجزائه) (2) (ولم يصل إلى هذا الإعجاز العلمى إلا بعد ثمانى سنوات ، من أبحاث الفضاء المضنية وبعد جهد جهيد اشترك فيه أكثر من 400.000 أربعمائة ألف عالم ، وفنى ومهندس ، وخبير ، وعامل وبعد أن أنفقوا أكثر من 24 مليار دولار وكان أى خطأ طفيف أو انحراف خفيف ، أو لحظة من غفلة تكفى لفشل المشروع كله ، وإلقاء هذا الجهد والعرق ، والأنفس ، والأموال فى فضاء لا سلطان لأحد عليه إلا الله » (3) فكم تكلفت رحلة رسول الله ﷺ إلى ما فوق القمر ؟ وكم أنفق فيها من أموال ؟ ومن الذى أجرى معه أبحاث الفضاء ؟ إنها يد القدرة الإلهية ، قال تعالى : ﴿ **أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾ (4) .

---

(1) الجمعة : 4 .

(2) كتاب « أول رجل على سطح القمر » مكتبة الأسرة 2002 ـ تأليف هـ . ج ويلز ، ترجمة صبرى الفضل .

(3) الأهرام فى 16ـ7ـ1969 وبحث للشيخ زكريا الزوكة ، لمجلة نور الإسلام ـ العدد السابع للسنة 36 بتصرف يسير .

(4) الأعراف : 54 .

ولماذا اختار الإنسان لأبحاثه القمر ؟

لأن القمر هو أقرب الكواكب إلينا نحن سكان الأرض وهو أصغر من الأرض بكثير حيث يبعد عنها 240 ألف ميل أما الشمس مثلا فتبعد عنا 93 مليون ميل وأن من الكواكب ما يبعد عنا سنة ضوئية ومنها ما يبعد أربع سنوات ضوئية وبعضها يبعد ألف سنة ضوئية وبعضها يبعد عنا مليون سنة ضوئية »[1] هل تصورت هذا العالم المهول ؟ هل تخيلت هذا الفضاء اللانهائى وما فيه ؟ هل أحطت علما بملك المالك الأعظم سبحانه ؟ حقا لا تضره معصية الخلق ولا تنفعه طاعتهم وآن لنا بعد هذا أن نفهم معنى الحديث القدسى « **يا عبادى ،لو أن أولكم وآخركم وآنسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندى إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر** »[2] .

ولا تزال الأبحاث تجرى

وما تزال الأبحاث تجرى ، ولا يزال العلماء جادين فى عصر أفكارهم وشحذ أذهانهم وجمع معلوماتهم عن آيات الله فى الكون ، وعجائب الله فى الكون ، وكشف أسرار هذا الفضاء اللامعقول ، قال تعالى : ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِى الآفَاقِ وَفِى أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ**﴾[3] .

لقد أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية عن حرب جديدة أطلقت عليها (حرب الكواكب) وذلك للوصول إلى المريخ وما بعده وقالوا إن الرحلة إلى المريخ فقط تستغرق عشرات السنين ، فى البحث الجاد ، والعمل المتواصل من العلماء ، والفنيين ، والخبراء ، فى هذا المجال وتكلف مئات الملايين من الدولارات ، وليس هناك استعداد فى الوقت الحاضر للوصول إلى الكواكب الأخرى التى تبعد عنا آلاف السنين أو التى تبعد عنا أكثر من هذا بكثير ، هذا ما وصل إليه العلم ، وما لم يصل إليه أكبر وأعظم ، قال تعالى : ﴿ **فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ** ﴾[4] .

---

(1) عن كتاب « قصة الإيمان » للشيخ نديم الجسر ، بتصرف يسير .
(2) من حديث طويل رواه الإمام مسلم : باب تحريم الظلم جزء 10 ص 8 .
(3) فصلت : 53 .
(4) المؤمنون : 14 .

والسؤال كيف تخطى رسول الله القمر والمريخ وتخطى ما بعدهما من مجرات وأفلاك ، وشموس ، وأقمار ، ثم كيف اخترق السموات العلى فتخطاها سماء بعد سماء حتى وصل إلى مقام الحضرة الإلهية ، قال تعالى : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ⑧ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ⑨ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ⑩ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ الآيات [1].

ما بين المحبين سر ليس يفشيه قول ولا قلم فى الكون يحكيه

مخاطر السبح فى الفضاء

فى مقال نشر فى مجلة منبر الإسلام للدكتور / محمد جمال الدين الفندى فى العدد التاسع للسنة 25 قال : ـ

إن قصة المعراج تحدثنا كثيراً وكثيراً جداً عن معجزات قد لا يتصورها العقل البشرى لأن السبح فى الفضاء معناه التعرض لأهوال الفضاء ممثله على قدر علمنا فى الآتى : ـ

(1) الأشعة الكونية القاتلة التى تحرق الخلايا الحية فى أقل من لمح البصر ، ولها طاقات يكاد لا يصدقها العقل .

(2) الشهب والنيازك التى تهيم فى الفضاء على هيئة مجارى حول الشمس .

(3) انعدام الهواء على بعد عدة مئات من الأميال من سطح الأرض والتعرض للفضاء بشكل مباشر يصحبه فوراً انفجار أوعيه الدم فى الجسم ، وغليان الدم نفسه فى درجة حرارة الجسم العادية لسبب قلة الضغط الخارجى أو انعدامه بانعدام الهواء .

ثم يقول وهكذا نخرج من قصة المعراج بعدة حقائق علمية رائعة يسبق بها القرآن الكريم ركب العلم لتكون من آيات الإعجاز فى هذا العصر الذى لا يؤمن فيه الناس إلا بالعلم .

إذا ينتهى بنا المطاف إلى الإيمان الجازم بأن هذا من قبل الله عز وجل وإن

---

(1) النجم : 8 ـ 11 .

الإسراء والمعراج معجزة لا دخل للعلم فيها ولا حاجة للأسباب والمسببات ولا للعلل والمعلومات وهى فوق الظنون والأذهان والأوهام .

موقف الناس قديماً وحديثاً من الإسراء والمعراج

دون التاريخ فى ذاكرته أن الرسول الكريم ﷺ خرج فى صبيحة الإسراء والمعراج فجلس فى الحطيم بين الكعبة والحجر فمر به أبو جهل فقال له : هل من خبر ؟ قال رسول الله : « **نعم** » . . قال : ما هو ؟ قال : « **أسرى بى الليلة** » قال : إلى أين ؟ قال : « **إلى بيت المقدس** » . . . قال : ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟ قال : « **نعم** » . . فلم يرد أبو جهل مخافة أن يكذبه أو يجحده الحديث إن دعا قومه إليه قال . . أرأيت إن دعوت قومك أتحدثهم بما حدثتنى ؟ قال : « **نعم** » فصاح أبو جهل فى قريش فجاء الناس فقال أبو جهل : يا محمد حدث قومك بما حدثتنى قال ﷺ : « **أسرى بى الليلة** » قالوا : إلى أين ؟ قال : « **إلى بيت المقدس** » قالوا : ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟ قال : « **نعم** » .

ولم يكمل الرسول حديثه ليحدثهم عن المعراج فلقد رآهم ﷺ صحكوا وجوههم ، وفتحوا أفواهم ، وشخصوا بأبصارهم ، ثم تصايحوا ما بين مصفر ومصفق ، ومكذب ومصدق ، وساخر ومستهزئ حتى ارتد بعض المسلمين عن الإيمان .

أما الصديق فكان له موقف عظيم سجله له التاريخ حيث قال : « والله لئن كان قاله فقد صدق فو الله إنه ليخبرنى أن الخبر يأتيه من السماء إلى الأرض فى ساعة من ليل أو نهار فأصدقه . . فهذا أبعد مما تعجبون منه » هذا ما حدث يوم أن كانت الجاهلية تدافع عن نفسها ، وترمى الإسلام بما تنفيه عن نفسها ، ولكنها لملمت ثوبها وكفكفت دمعها ، وذهبت إلى غير رجعة ، ثم أشرق نور الإيمان ، وعلا صوت الحق وانتشر الإسلام فى كل مكان وازداد الايمان ، وقويت العقيدة بمعجزتى الإسراء والمعراج .

واليوم وبعد مضى أربعة عشر قرنا ، أرى الجاهلية تطل برأسها ، وتحاول أن تكشف الغطاء عن وجهها ، حيث نرى المسلمين اليوم كما رأينا العرب فيما مضى ـ رأينا تشابها وتطابقا بين الموقفين هنا وهناك ، نرى مسلمى اليوم بين مصدق

ومكذب وغافل ومتيقن ومعارض ومؤيد وخاصة الشباب ـ الشباب الذى تشبع بالثقافة الغربية وغذى بالثقافات الألحادية ، وورث نتفا إسلامية من هنا وهناك لاتسمن ولا تغنى من جوع ، فمال عن الطريق وانحرف عن الجادة ، واتهم الإسلام بما ليس فيه .

فمن قائل إنه كان مناماً ، ومن قائل إنه كان بالروح دون الجسد ومنهم من أنكره كلية واستبعدوا وقوعه جملة وتفصيلاً ، وبعضهم لا يعرف شيئاً عن الإسراء والمعراج ولا يفهم منه إلا اسمه الذى يدور على ألسنة الناس ولا يعنيه أمر الإسراء والمعراج بقدر ما يعنيه فريق الكرة وعد النقاط ، والبعض الآخر انغمس فى اللهو والجنون فداس الفضيلة ، وقدس الرزيلة ، ولا نعرف من المسئول عن هذا الضياع ، فكل فريق يلقى باللائمة على الآخر . . . !!!

الرد عليهم بالأسلوب السهل الميسر

قلنا إن المعجزة لا تناقش لأنها أمر خارق لكل الأعراف والمقاييس ، وبالرغم من هذا نقول :

أولاً :

إن الإسراء ذُكر بالدليل النقلي ، وجاء فى القرآن الكريم بالنص القطعى ، ولا جدال مع النص ، قال تعالى : ﴿ **سُبْحَانَ الَّذى أَسْرَىٰ بِعَبْدِه لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِد الْحَرَام إِلَى الْمَسْجِد الأَقْصَا الَّذى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ (1) وعلى هذا فمنكره كافر أما المعراج فقد ذكر ضمنا فى القرآن فى سورة النجم وعلى هذا فمن انكره لا يكفر .

ثانيــا :

إن كفار مكة عارضوا رسول الله ﷺ ولو كان هذا مناما ما عارضوه فلا أحد يعترض على المنام .

ثالثــاً :

من الثابت يقينا أن الصلاة فرضت ليلة الأسراء والمعراج وهى من أهم أركان

---

(1) الإسراء : 1 .

الإسلام وهى التى تميز المسلم عن غيره ولعظم مكانتها أوجب الإسلام أن لا تؤدى إلا بطهارة الثوب ، والبدن ، والمكان ، ثم ذكر الفقهاء أن لها أركاناً معلومة وشروطاً مخصوصة كما أن لها أوقاتاً محدده وسننا مؤكدة وغير مؤكدة ، فهل يعقل بعد هذا أن تكون مناماً إن العقل يرفض هذه السفه .

رابعـــا :

لقد تقدم العلم حتى سبح الإنسان فى الفضاء ، ووصل القمر ، ويحاول الوصـــول إلى غيره ، وأصبح يدور حول الأرض ، والقمر ، فما بالنا لا ننكر ولا نتعجب من فعل الإنسان وننكر ونتعجب من فعل الذى علم الإنسان إن هذا لشيء عجاب .

خامسـا :

إذا كان عفريت من الجن قال لنبى الله سليمان : ﴿**قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ**﴾ (1) عرش بلقيس و ﴿ **قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي** ﴾ (2) وفعلا جاء بعرشها فإذا كان المخلوق قادراً على فعل هذا أفلا يقدر الخالق سبحانه .

اختلاف العلماء

ولقوة الحدث وعدم استيعاب العقول لهذا النبأ مازال فى العلماء إلى اليوم من يقول إن الإسراء والمعراج كان بالروح دون الجسد بل وغالى بعضهم فقال إنها كانت رؤيا منامية واستدلوا على ذلك بقول الله تعالى : ﴿**وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ** ﴾ (3) وهو ضعيف .

وبما أن هذا الحدث أتى على غير المألوف فقد شغل أذهان الباحثين ، والمفكرين والأدباء ، والشعراء ، وكل أدلى فيه بدلوه على قدر طاقته ، وعلمه ، فمنهم من

---

(1) النمل : 39 .
(2) النمل : 40 .
(1) الإسراء : 50 .

تكلم فيه وغالى حتى أتى بالخرافات والأساطير ، ومنهم من تكلم فيه بالعقل والمنطق ، وهل هو ممكن أم لا ؟ وهل كان بالروح أم بالجسد ؟ والحق أن العلماء جزاهم الله خيراً لم يتركوا صغيرة ولا كبيرة إلا تناولوها بالشرح والتحليل ، وأنا أقول مع المنصفيين إن الموضوع جملة وتفضيلا لا يحتاج كل هذه الأبحاث وذلك لسببين الأول كونه معجزة والمعجزة لا تناقش ، والثانى فى قوة العقيدة والإيمان .

أمثلة لبعض المعجزات

أ ـ السيدة مريم العذراء حملت بنبى الله عيسى دون أب كيف هذا ؟ كيف حملت ؟ كيف تم الإخصاب دون الخلية المذكرة ؟ كيف لقحت البويضة أم لم تكن هناك بويضة أصلاً ؟ ولما وضعت جاء الأمر بقوله تعالى : ﴿ **وَهُزِّى إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا** ﴾ الآيات[1] فأثمرت النخلة وطاب ثمرها فتساقط عليها الرطب ولما دخلت على قومها رأت علامات التعجب والاستغراب ثم أمطروها بوابل من السب والقذف واللعن فما كان من الوليد إلا أن دافع عن أمه قائلاً : ﴿ **قَالَ إِنِّى عَبْدُ اللَّهِ آتَانِىَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا** ﴾ الآيات[2] فهل تخضع كل هذه الأحداث للبحث العلمى كلا إنها معجزة !! . . .

ب ـ قصة عصا موسى وهى من الخشب كيف تحولت إلى حية تسعى فاغرة فاها تلقف كل ما صنعوا حتى خاف منها موسى وفر هارباً فناداه رب العالمين قائلاً : ﴿ **يَا مُوسَىٰ لا تَخَفْ إِنِّى لا يَخَافُ لَدَىَّ الْمُرْسَلُونَ** ﴾[3] .

﴿ **يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الأمنين** ﴾ [4] فهل يخضع هذا للبحث العلمى ويناقش ؟

ج ـ هل فى الإمكان أن ينام الإنسان مدة عام كامل وبكامل صحته ، وقوته ، وينام نوما هادئاً لا يقوم ولا يجلس ، ولا يفكر ، ولا يأكل ، ولا يشرب ، ولا يتبول ، ولا يتغوط ، ثم يقوم بعد ذلك ليباشر حياته أظن هذا من المستحيلات فى

---

(1) مريم : 25 .
(2) مريم : 30 .
(3) النمل : 10 .
(4) القصص : 31 .

المنطق البشرى ولكن القرآن الكيم قص علينا قصة أصحاب الكهف وأخبرنا أن الله ضرب على آذانهم فى الكهف سنين عدداً قدرها ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً . . !!

ثم قاموا أحياء يبحثون عن الطعام والشراب فأرسلوا أحدهم إلى المدينة فلما دخلها كان غريباً فى كلامه ، وأسلوبه ، غريباً فى لغته ، ولهجته ، غريباً فى زيه ، وملبسه ، والسؤال كيف ناموا هذه المدة ؟ وهل كانوا أحياء أم أموات ؟ وأين كانت أرواحهم ؟ ولم لم تأكل الأرض أجسادهم ؟ فهل تخضع هذه الأبحاث للبحث العلمى ؟

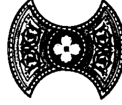
د ـ فى رحلة الإسراء والمعراج التى معنا ألغى الله فيها قانون الجاذبية الأرضية ـ ألغى قانون الزمن ـ طوى الأرض طياً ـ سخر الهواء والفضاء للرسول ﷺ حتى طرق أبواب السموات العلى ، إذا كل هذه المعجزات لا تناقش بل يجب الإيمان على أنها معجزة ، والأمر الخارق للعادة إما أن يكون معجزة لرسول أو نبى وإما أن يكون كرامة لولى مع الفوارق التى بينهما وقد يأتى الأمر الخارق للعادة لإثبات طلاقة القدرة الإلهية وأن الله يفعل ما يشاء حتى ولو كان خارقاً للناموس والقانون مثال ذلك : ـ

(1) جاء فى دائرة المعارف البريطانية أن طفلاً ولد فى مدينة (لوبره) بشمال ألمانيا الغربية وكان عجيباً غريباً حيث استطاع الكلام وعنده عشرة أشهر ، ولما بلغ من العمر سنة واحدة ، استطاع حفظ الأجزاء الخمسة من التوراة ، وبعد سنتين أتقن حفظ التاريخ المقدس ، وفى السنة الثالثة أتقن اللغتين الفرنسية واللاتينية ووفد إليه الناس من كل فج ليشاهدوا هذا الحديث العجيب ، ولكنه مات فى السنة الرابعة .

(2) فى تركيا ولد غلام وكان خارقاً للعادة لبيان طلاقة القدرة الإلهية حيث فحصه الأطباء فوجدوا قلبه فى الجهة اليمنى ، وكبده فى الجهة اليسرى ، وعاش الغلام حتى وصل سن الزواج ، ولما طلب الزواج فحصه الأطباء مرة أخرى فوجدوا أن حالته الصحية تسمع بالزواج ، ولا مانع منه ، وعاش لإثبات كمال القدرة الإلهية .

وبعد ....

فهذا ما أردت تبيانه فى هذه المعجزة بالإسلوب العلمى المعاصر وأرجو أن أكون قد أسهمت بشىء فى سبيل إحياء التراث الإسلامى ، وأن نذب عن الإسلام المفترى عليه بعض المفتريات ، والله نسأل أن يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال (أ . هـ) .



الباب السابع
عيـادة المـريـض

هذا المبحث يتضمن العناصر الآتية:

- من توجيهات الإسلام : عيادة المريض .
- ثواب الزيارة .
- آداب الزيارة
- حالة الاحتضار .
- عالم الروح .
- ما هى الروح ؟
- ورود كلمة الروح فى القرآن الكريم .
- مراحل الروح .
- حياة الروح ، وأين مستقرها بعد الموت ؟
- ماذا بعد خروج الروح ؟
- القبر ومواصفاته .
- حكم الكتابة على القبر .

من توجيهات الإسلام : عيادة المريض

من الآداب الإسلامية ، والتوجيهات ، النبوية ، (عيادة المريض) وهى لمسة إنسانية جميلة ، تشعر المريض بمعزته ، ومحبته ، ومكانته ، وكرامته ، بإكباره وتقديره ، كما أنها تواسيه وتسليه ، فهى تخفف عنه وطأة المرض ، وتنسيه مرارة الألم ، وتذهب عنه الإحساس بالعجز ، وترفع عنه الحرج ، ويعيش لحظات مع زائريه يسمع منهم ما كان يرجو سماعه ، ويتكلم بما كان يود كلامه ، من الأعمال الحسنة ، والأخبار السارة ، وفى طى الحديث يسمع أخبار المرضى السابقين مثله ، الذين منحوا الصحة بعد طول غياب ، وتمتعوا بالنعمة بعد طول معاناة ، وفرحوا بالحياة بعد طول حرمان ، وليس ذلك على الله بعزيز ، فهو الذى يُحْيى العظام وهى رميم .

ولذلك جعل الإسلام زيارة المريض يدور حكمها بين الوجوب ، أو السنة ، أو الندب على القرب ، أو البعد ، أو الحاجة للمريض وجعلها أيضاً حقًا من حقوق المسلم على المسلم فقال ﷺ : « **عودوا المريض وأطعموا الجائع ، وفكوا العانى** »[1] وعن أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه قال : أمرنا رسول الله ﷺ بعيادة المريض ، واتباع الجنائز ، وتشميت العاطس وإبرار المقسم ، ونصر المظلوم ، وإجابة الداعى ، وإفشاء السلام [2] .

ومنها أيضاً قوله ﷺ «**حق المسلم على المسلم خمس :رد السلام ، وعيادة المريض واتباع الجنائز ، وإجابة الدعوة ، وتشميت العاطس** »[3] وفى رواية مسلم «**حق المسلم على المسلم ست**» : وزاد «**وإذا استنصحك فانصح له** » .

ومنها الحديث الذى رواه الإمام مسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه قال ﷺ : «**إن الله عز**

---

(1) رواه البخارى .
(2) رواه البخارى ومسلم عن أبى موسى الأشعرى والبراء بن عازب .
(3) رواه البخارى .

وجل يقول يوم القيامة : يا ابن آدم مرضت فلم تعدني (تزرني) قال : يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟ قال : أما علمت أن عبدى فلاناً مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده « أى لوجدت رحمتي وكرمي ومثوبتي » يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني قال : يارب كيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال : أما علمت أنه استطعمك (أى طلب منك الطعام) عبدى فلان فلم تطعمه أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني ، قال : يارب كيف أسقيك وأنت رب العالمين ؟ قال : استسقاك عبدى فلان فلم تسقه أما علمت أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندى »(1) .

والأحاديث فى هذا الباب أكثر من أن تحصى وتعد ، وهذه الأحاديث كلها ظاهرها يفيد وجوب عيادة المريض وإلى هذا ذهب الإمام البخارى ولذلك قال فى صحيحه : باب وجوب عيادة المريض ، لكن جمهور العلماء قالوا : إن الزيارة فى الأصل مندوبة وقد تصل أيضاً إلى حد الوجوب فى حق البعض دون البعض .

ثواب الزيارة

الصحة من أكبر النعم التى تفضل بها المنعم علينا ، وهى الركن الأساسى في سعادة الإنسان وهى تاج فوق رءوس الأصحاء وفى الحديث الشريف « من أصبح آمناً في سربه معافى فى بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها »(2) .

والصحة والمرض ضدان لا يتفقان والمرض والألم قرينان متلازمان فإذا دخل المرض دخلت الآلام والأسقام وهبت الهموم والأحزان ، وأصبح الإنسان عاجزاً لا حول له ولا قوة ، فهو بحاجة إلى من يسليه وبحاجة إلى من يسرِّيه وبحاجة إلى من يخفف عنه الآلام والأحزان ، ويعطيه جرعة إيمانية تفتح له باب الأمل ، لذلك أمرنا الشرع بالزيارة وحثنا عليها ورغبنا فيها .

فلقد روى الإمام أحمد فى مسنده والطبرانى فى معجمه وابن حبان فى

---

(1) رواه مسلم .
(2) رواه الترمذى .

مستدركه وغيرهم من رجالات الحديث النبوى الشريف عن جابر رضي الله عنه قال ﷺ « **من عاد مريضاً ناداه مناد من السماء : أن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا** » .

آداب زيارة المريض

للزيارة آداب لابد منها حتى تكون مثمرة وتؤتى أكلها :

الأولى :

أن لا تشمت بالمريض ، ولا تتشفى فيه ، لأن الشماتة كوخز الإبر ، تصيب النفس بالغثيان والملل ، فلا ترمه بسهم فوق سهامه ، ولا تسقه سما بكلامك ، وتذكر قول الرسول الكريم ﷺ « **البر لا يبلى ، والذنب لا ينسى ، والديان لا يموت ، اعمل ما شئت كما تدين تدان** » وبالكيل الذى تكيل به يكتال لك ويوم لك ويوم عليك .

لما مرض سيدنا معاوية بن أبى سفيان ذهب إليه الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين فلما أخذ الحسين مجلسه نظر إليه معاوية وقال : ـ

وتجلدى للشامتين أريهم أنى لريب الدهر لا أتضعضع

فرد عليه الحسين مرتجلاً قائلاً :

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع

فاغرورقت عينا معاوية بالدموع وقال : هذا والله لسان النبوة

الثانية :

إذا دخلت على المريض فغض بصرك عما فى البيت ، ولا تترك لعينيك العنان لتتلصص هنا وهناك وتبحث عن المساوىء والزلات ، ولا تتدخل فيما لا يعنيك ، ولا تقحم نفسك فيما ليس لك فيه ، قال تعالى : ﴿**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا**﴾(1) وقال ﷺ « **يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه ، لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ، ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو فى جوف**

---

(1) الإسراء : 36.

رحله »[1] وإن من شر الناس من إذا رأى حسنة أخفاها وإذا رأى سيئة أذاعها وأفشاها .

الثالثة :

المريض يتمنى الشفاء ، ويتعلق بأبواب السماء ، ويفتح ذراعيه لباب الرجاء ، فافتح له باب الأمل ، وامدد له في الآجل ، ولا تقنطه من رحمة الله ، ولا تغلق في وجهه أبواب الرحمة ، ولك في الرسول الكريم الأسوة ، والقدوة ، فقد قال ﷺ : « **إذا دخلتم على المريض فنفسوا له الأجل فإن ذلك لا يرد قدرا** »[2] يعني زد له في العمر ما شاء وزد له في الأمل ما تشاء ، فإن ذلك لا يغير من قدر الله ، ولكنه يغير من نفسيته ، ويدخل السرور عليه . ولقد سئل رسول الله ﷺ « أي الأعمال أفضل ؟ قال : « **إدخال السرور على مؤمن** » .

الرابعة :

إذا جلست فلا تذكر فلانة وفلان ولا تبسط كل البسط في توافه الكلام ، والتقعر ، والتشدد ، في الألفاظ ، بل اذكر الله وصلى على رسول الله وقل خيراً فإن الملائكة بالمكان ، ولا تذكر العمل بما فيه ، والبيت بمن فيه ، اللهم إذا كان هناك خبر سار تريد أن تبشره به ، ثم ادع له بالشفاء ، وكان رسولنا ﷺ إذا عاد مريضاً مسه بيمينه وقال : « **اذهب البأس رب الناس واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاءاً لا يغادر سقماً** »[3] .

الخامسة :

يستحب لك أن تذكر المريض بصالح أعماله ، إذا كان المرض مرض موت ، ورأيت من المريض علامات النهاية وقرب المصير فعليك أن تذكره بحسن الظن بالله فعن أبي شماسة قال : حضرنا عمرو بن العاص رضي الله عنه وهو في سياقه الموت فجعل يبكي طويلاً ثم حول وجهه إلى الجدار فجعل ابنه عبد الله يقول : يا أبتاه أما بشرك رسوله الله ﷺ بكذا ؟ أما بشرك رسول الله بكذا ؟ فأقبل بوجهه وقال : إن أفضل ما

---

(1) أخرجه أبو داود وابن المنذر وابن بردويه عن أبي برزة الأسلمي .

(2) رواه الترمذي والطبراني .

(3) متفق عليه .

نعد . . شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإنى كنت على أطباق ثلاث لقد رأيتنى وما أحد أشد بغضاً لرسول الله منى ولا أحب أن أكون قد استمكنت منه فقتلته ولو مت على تلك الحال لكنت من أهل النار فلما جعل الله الإسلام فى قلبى لقيت رسول الله ﷺ فقلت : ابسط يدك فلأبايعك فبسط يمينه فقبضت يدى قال : « **مالك يا عمرو** »؟ قلت : يا رسول الله أردت أن أشترط قال : « **تشترط ماذا ؟** » قلت : أن يغفر لى ، قال رسول الله : « **أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله ، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها وأن الحج يهدم ما كان قبله** » ، وما كان أحد أحب إلى رسول الله منى ولا أجل فى عينى منه ، وما كنت أطيق أن أملأ عينى منه إجلالاً له ولو سئلت أن أصفه ما أطقت لأنى لم أكن أملأ عينى منه ولو مت على تلك الحال لرجوت أن أكون من أهل الجنة ، ثم ولينا أشياء ما أدرى ما حالى فيها فإذا مت فلا تصحبنى نائحة ، ولا نار فإذا دفنتمونى فشنوا التراب شنا ثم أقيموا حول قبرى قدر ما تنحر الجزور ، ويقسم لحمها ، حتى أستأنس بكم ، وأنظر ماذا أراجع رسل ربى » رواه مسلم .

وصدق عمرو فى قوله « وما كنت أطيق أن أملأ عينى » إلخ فقد سئل شاعر الرسول ﷺ حسان بن ثابت قيل له : لمَ لَمْ تطل النظر إلى رسول الله ﷺ ؟ فقال :

لما نظـرت إلى أنـواره سـطعت ... فوضعت من ضعفى كفى على بصرى

خوفـا علـى بصـرى من حسـن ... صـورته فلسـت أنظره إلا على قدرى

وفى مرض سلمان الفارسى دخل عليه أخوه فى الإسلام سعد بن أبى وقاص فوجده يبكى فقال له سعد : ما يبكيك يا أبا عبد الله ولقد توفى رسول الله ﷺ وهو عنك راض وقال ﷺ « **سلمان منا آل البيت** »[1] والله تعالى يقول : ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** ﴾ [2] فقال سلمان : والله ما أبكى جزعاً من الموت ولا حرصًا على الدنيا ، وإنما أبكى لأن رسول الله عهد إلينا عهداً ولقد نسينا كثيراً فقال له سعد : يا أبا عبد الله اعهد إلينا بعهد نأخذه عنك فقال : يا سعد اذكر الله عند همك إذا هممت ، وعندك حكمك إذا حكمت ،

(1) رواه البخارى .
(2) الأحزاب : 33 .

وعند يدك إذا قسمت وإن استطعت أن تأكل التراب ولا تكونن أميراً على اثنين فافعل ، وهكذا كان أصحاب رسول الله ﷺ .

السادسة :

يستحب لك أن تطلب منه الدعاء ، لأن الملائكة تحضره ، وجاء فى رواية أن « **دعاء المريض كدعاء الملائكة** » .

والمريض المؤمن الصابر يعتبر فى حالة صفاء روحى ، وقرب من الله تعالى بسبب ما هو فيه .

السابعة :

اجعل الزيارة خالصة لوجه الله لا تجعلها لأجل فلان ، أو قريب ونسيب وصهر فلان ، اجعلها خالصة حتى ينطبق عليك الحديث الشريف قال ﷺ « **من عاد مريضاً ناداه مناد من السماء :أن طبت وطاب ممشاك وتبوأت منزلاً من الجنة** » [1] وروى الإمام مسلم فى صحيحه أن رسول الله ﷺ قال فيما معناه أن رجلاً زار أخا له فى قرية ، فأرصد الله على مدرجته ملكًا ، فلما أتى عليه قال : أين تريد ؟ قال ك أريد أخا لى فى هذه القرية ، قال : هل كل عليه من نعمة تربُّها ؟ قال : لا ، غير أنى أحببته فى الله تعالى ، قال : فإنى رسول الله إليك يبشرك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه » فإذا كان هذا فى زيارة السليم فما بالك بزيارة المريض ؟ إن هذه لخطوات غالية كأنها خطوات المجاهدين فى سبيل الله تعالى ، تحظى بأجل الثواب ، وأعظم الأجر من ذى الجلال والإكرام .

الثامنة :

خفف الزيارة بقدر ما تستطيع حتى تترك للبيت حريته ، وأن تعطى للمريض راحته ، وقديمًا قالوا : « **زر غبًا تزدد حبًا** » .



(1) رواه الترمذى وحسنه وابن ماجه وابن حبان

المرحلة الثانية (حالة الاحتضار)

هى ساعة الرحيل ، هى ساعة خروج الروح ، هى انقطاع الإنسان عن الدنيا وترك كل ما فيها .

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها   إلا التى كان قبل الموت بانيها

فإن بناها بخير طاب مسكنه   وإن بناها بشر خاب بانيها

وفى هذه الساعة يفتح له ما كان مغلقاً ، فيرى مقعده من الجنة أو النار ، قال ﷺ : « **لن يخرج أحدكم من الدنيا حتى يعلم أين مصيره ، وحتى يرى مقعده من الجنة أو النار** » وفى الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت ما يشهد لذلك ، أن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته ، وأن الكافر إذا حضره الموت بشر بعذاب الله وعقوبته ، وأن المؤمن إذا حضره الموت أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء فيقولون : اخرجى أيتها الروح راضية مرضية ، إلى روح وريحان ورب غير غضبان ، قال تعالى : ﴿كَلاَّ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (٢٦) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ (٢٧) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (٢٨) وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (٢٩) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ [1] أى المرجع والمآب وذلك أن الروح إذا خرجت ترفع إلى السماء فيقول الله عز وجل ردوا عبدى إلى الأرض فإنى منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى كما جاء فى حديث البراء بن عازب ـ رضى الله عنهم أجمعين ـ .

يروى أن هارون الرشيد لما دنا أجله واشتد مرضه أحضر طبيباً طوسياً فارسياً وأمر أن يعرض عليه ماؤه « بوله » مع مياه كثيرة لمرضى كثريين ، وأصحاء فجعل الطبيب يستعرض القوارير حتى رأى قارورة الرشيد وهو لا يعرفها فقال قولوا لصاحب هذا الماء يوصى فإنه قد إنحلت قواده ، وتداعت بنيته ، ولا أمل له فى الشفاء ، فحزن الرشيد وأنشد يقول :

إن الطبيب بطبه ودوائه   لا يستطيع دفع نحب قد أتى

ما للطبيب يموت بالداء الذى   قد كان أبرا مثله فيما مضى

---

(1) القيامة : 26 ـ 30 .

مـات المـداوى والمـداوى والـذى جلب الدواء وباعـه ومـن اشـترى

ثم بلغنى أن الناس أرجفوا بموته فاستدعى جواداً ، وأمر أن يحمل عليه ، فاسترخت فخذاه ، فقال : أنزلونى صدق المرجفون فى المدينة ودعا بكفنه فجعل ينظر إليه ويقول : ﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴾[1] ثم مات من ليلته .

وعلى المريض وهذه حالته أن يحسن الظن بالله ، وليعلم أنه قادم على رب كريم ، وإذا نطق الشهادتين فهذا دليل الرضا ، وعلامة القبول ، وعلى الحاضرين أن يلقنوه إياها ، عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « **لقنوا موتاكم لا إله إلا الله** »[2] وفى رواية حذيفة : « فإنها تهدم ما قبلها » . . وعن عثمان رضي الله عنه قال : رسول الله ﷺ : « **من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة** »[3] .

وقال عبد الله (وهو يشهد) : وعليهم أن لا يلغوا وأن لا يتكلموا عنده إلا بخير وأن يذكروا الله ويصلوا على رسول الله ﷺ فإن نطق الشهادة مرة واحدة فلا تعاد ، عليه ثانيا وقد كره أهل العلم الإكثار من التلقين والألحاح عليه ، لأنه ربما يؤدى إلى الضد والعياذ بالله .

دخل النبى ﷺ على شاب وهو يجود بنفسه فقال له : كيف تجدك ؟ قال : أرجوا الله وأخاف ذنوبى ، فقال ﷺ « **ما اجتمعتا فى قلب عبد فى مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله الذى يرجو وأمنه من الذى يخاف** » .

وروى الإمام مسلم عن أم سلمة ـ رضى الله عنها ـ قالت : قال رسول الله ﷺ « **إذا حضرتم المريض ، أو الميت ، فقولوا خيرا فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون** » ، قالت فلما مات أبو سلمة أتيت النبى ﷺ ، فقلت : يا رسول الله إن أبا سلمة قد مات فقال : قولى : « **اللهم اغفر لى وله ، وأعقبنى منه عقبى حسنة** » ، قالت : فأعقبنى الله من هو خير منه رسول الله ﷺ .

وعنها أيضاً قالت : دخل رسول الله على أبى سلمة وقد شق بصره فأغمضه ،

---

(1) الحاقة : 28، 29.

(2) أخرجه أبو داود .

(3) رواه مسلم .

ثم قال : « **إن الروح إذا قبض تبعه البصر ، فضج ناس من أهله فقال لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير ، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون ، ثم قال : اللهم اغفر لأبى سلمة ، وأرفع درجته فى المهديين وأخلفه فى عقبه فى الغابرين واغفر لنا وله يارب العالمين** » .

عالم الروح

للروح سر عجيب ، فما هو هذا السر الذى به نحيا ؟ وبدونه نموت ؟ وما هو هذا السر الذى يفصل بين عالمى (الدنيا والآخرة) ؟ ما هو هذا السر الذى به نسعى ونعمل ، وبه نأكل ، ونتكلم ؟ الأعرابى الذى تربى فى الصحراء كان يركب البعير ثم نزل من عليه ليستريح ، ولما قام يركب وجده ميتاً فجعل يضربه ويقول له مالك ؟ مالك لا تقوم ؟ مالك لا تنبعث ؟ مالك لا تتحرك وأعضاؤك كاملة ؟ وجوارحك سالمة فما شأنك ؟ ما الذى صرعك وعن الحركة منعك ؟ ثم وقف متفكراً فى أمره متعجباً من شأنه فمر عليه آخر قال له أنه مات ثم أنشد .

جاءته من قبل المنون إشارة فهوى صريعا لليدين وللفم
لا يستجيب لصارخ إن يدعه أبدا ولا يرجى لخطب معظم
هى ويحكم أمر الإله وحكمه والله يقضى بالقضاء المحكم

وروى الحكيم أبو عبد الله الترمذى فى نوادر الأصول قال : مات ابن لآدم عليه السلام ، فقال : يا حواء قد مات ابنك ، قالت : وما الموت ؟ قال : خرج السر الآلهى فهو لا يأكل ولا يشرب ، ولا يقوم ولا يقعد ، فرنت (صوتت) ، فقال آدم عليه السلام : الرنة عليك وعلى بناتك وأنا وبنىّ منها براء .

ونحن فى أيامنا هذه نرى ونشاهد العجب نرى فلانا كان بمكتبه فمات وهو يمسك بالقلم ، وآخر مات وهو يعمل بلا مقدمات ولا ألم ، ونسمع عن إنسان لا تخرج منه الروح إلا إذا طال به المرض ، واشتد به الألم ، حتى فقد الحس والسمع والبصر وآخر يطول مرضه ، ويشتد ألمه ، وبعد رحلة من العذاب والألم يشفى وتعود إليه صحته ، ما هذا إن هذا لشىء عجاب ، وفى ذلك يقول القائل :

قل للمريض نجا وعوفى بعد ما عجزت فنون الطب من عافاكا ؟

قل للصحـــيح يمــوت لا من علة   من بالمنــايا يا صحيــح دهــاك ؟

وقال الآخر

كم من صحيح مات من غير علة   وكم من عليل عاش حيناً من الدهر
وكم من صغار يرتجى طول عمرهم   وقد دخلت أجسادهم ظلمة القبر
وكم من فتى يمسى ويصـبح لاهيا   وقد نسجت أكفانه وهو لا يدرى

فالروح إذا لا تخرج إلا عندما يأتيها الأمر الإلهى ، فإذا جاء الأمر الآلهى لخروجها من البدن انعدمت كل الأسباب ، وتوارت كل الحيل ، ووقف الطب عاجزاً متفرجاً .

إن الطـــبيـــب له عـــلم يدل به   مادام فـى أجـل الإنســان تأخـير
حتى إذا مـا انتهـت أيـام مهـلته   حـار الطبيـب وخانتـه العقاقير

قال تعالى : ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (1) .

وأجمع علماء الأمة من السلف والخلف على أن خروج الروح من البدن ليس له سن معين ، ولا زمن معين ، ولا مكان معين ولا مرض محدد فلكل أجل كتاب قال تعالى : ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ﴾ (2) .

والموت لا يعترف بالمفاوضات ، ولا يعرف المساومات ، الموت لا يعرف المجاملات ، ولا يعرف أنصاف الحلول ، ولذلك قالوا من أراد واعظاً فالموت يكفيه ومن أراد حجة فالقرآن يكفيه ومن أراد مؤنسا فالله يكفيه ، ومن لم يكفيه شيء من هذا ولا ذاك فإن النار تكفيه .

ما هى الروح

الصحيح فيها أنها سر أستأثر الله بعلمه ، لأنها ليست من جنس هذا العالم المنظور ، بل هى من عالم الأمر ، قال تعالى : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ

(1) الأعراف : 34 .
(2) الأنعام : 61 .

أمْر رَبّى وَمَا أُوتِيتُم مّنَ الْعِلْمِ إلاَّ قَلِيلاً ﴾[1] . وقال تعالى : ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾[2] . وقال تعالى : ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[3] .

ورود كلمة الروح فى القرآن الكريم

وردت كلمة الروح فى القرآن الكريم بعدة معان مختلفة ، منها :

أولاً :

جاءت للدلالة على الأمين جبريل عليه وعلى نبينا السلام ، وسماه القرآن مرة بروح القدس وأخرى بالروح الأمين ، وثالثة بالروح فقط ، قال تعالى : ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾[4] . فروح القدس هنا جبريل وقال تعالى : ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ ﴾[5] .

والروح الأمين هو جبريل عليه السلام ، وقال تعالى : ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا لاَّ يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾[6] والمراد بالروح هنا على أصح الأقوال هو جبريل عليه وعلى نبينا السلام .

ثانياً :

جاءت للدلالة على صنف آخر من الملائكة ، قال تعالى : ﴿تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾[7] فالملائكة هم الملائكة وأما الروح هنا فهو أعظم الملائكة قدراً كما جاء فى تفسير الرازى .

---

(1) الإسراء : 85 .
(2) يس : 82 .
(3) الأعراف : 54 .
(4) البقرة : 253 .
(5) الشعراء : 192، 193 .
(6) النبأ : 38 .
(7) المعارج : 4 .

ثالثا :

جاءت للدلالة على الوحى عامة ، قال تعالى : ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ (1) .

رابعاً :

جاءت للدلالة على القرآن الكريم ، قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا . . . ﴾ الآية (2) .

خامساً:

جاءت بمعنى القوة والتأييد من الله سبحانه ، قال تعالى : ﴿أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ . . . . ﴾ الآية (3) .

سادسًا :

وردت للدلالة على السر الإلهى الذى أودعه الله فى الجسد . ليدير حركته مدة معينة من الزمن ، فى الدنيا ثم تعاد إليه فى الآخرة ، قال تعالى : ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ . . . ﴾ الآية (4) وهذه الروح هى من جنس ما استأثر الله تعالى بعلمه قال تعالى : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (5) نعم وصدق الله العظيم .

فالعلم لا يقف عند حد معين ولقد تقدم العلم فى عصرنا تقدماً مذهلاً نجح فى التخلص من الجاذبية الأرضية ، وأتى بالخوارق الصناعية ، وصنع العجائب الكونية وازاح الستار عن العوالم غير المرئية ، وكشف أسرارها وخاض غمارها ، وفجر كل الطاقات ، وسخرها للإنسان ، وبلغ بذلك أسمى غايات الكمال وبالرغم من هذا

---

(1) غافر : 15 .
(2) الشورى : 52 .
(3) المجادلة : 22 .
(4) الأنبياء : 104 .
(5) الإسراء : 85 .

التقدم المذهل ، عجز الإنسان عن كشف سر الحياة فى نفسه ، وصدق الله العظيم إذ يقول ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾[1] ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ﴾[2] بلى وأنا على ذلك من الشاهدين .

مراحل الروح

هذه الروح التى بها نحيا ما كنهها ؟ مالونها ؟ ما حجمها ؟ ما طبيعتها ؟ لا ندرى شيئا عن ذلك . . متى دخلت الجسد ؟ وكيف دخلت ؟ ومتى ستخرج ؟ وكيف تخرج ؟ لا نعلم شيئا . . متى تنطلق إلى مستقرها الأمين ؟ وأين مستقرها ؟ لا ندرى شيئا . . وكما قلنا إنها من عالم الأمر فلا نحكم عليها إلا بما ندرك من آثارها فقط ولها مراحل أربع :

المرحلة الأولى :

بطن الأم حينما يؤمر الملك بنفخها فى البدن وهو فى الظلمات الثلاث ظلمة البطن ، وظلمة الرحم ، وظلمة المشيمة ، قال تعالى : ﴿يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنى تصرفون ﴾[3] وقال تعالى : ﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾ [4]

المرحلة الثانية :

دار الدنيا : وهى الدار التى فيها نحيا ، وفيها نعمل ، وقد أطلق الله لنا حرية العمل ، كما أطلق لنا حرية العقيدة ، قال تعالى : ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر . . . ﴾ الآية [5] فلا إكراه فى الدين لأنها دار الابتلاء والتكليف .

(1) الذاريات : 21.
(2) فصلت : 51.
(3) الزمر : 6.
(4) ص : 72.
(5) الكهف : 29.

المرحلة الثالثة :

دار البرزخ وهى تبدأ بالموت ، وتنتهى بالبعث ، قال تعالى : ﴿وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾(1) والقبر هو أول منازل الآخرة روى ابن ماجه قال : كان عثمان رضي الله عنه إذا وقف على قبر بكى فقيل له تذكر الجنة والنار ولا تبكى ، وتبكى من هذا ، قال إن رسول الله ﷺ قال إن القبر أول منازل الآخرة ، فإن نجا منه أحد فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه .

المرحلة الرابعة :

دار البقاء : الدار الآخرة ، وهى التى لا دار بعدها ، دار الخلود إما فى جنة عالية أو فى نار حامية .

حياة الروح بعد الموت

الروح باقية بعد الموت ، لأن الموت ليس بعدم محض ، ولا بقاء محض ، بل هو انتقال من حال إلى حال ، ومن دار إلى دار ، والإنسان بعد الموت هو الإنسان قبل الموت ، حتى لو تحلل الجسد إلى عناصره الأولى ، لأن العبرة بالروح لا بالجسد وقد اعترف بحياة الروح بعد الموت قبل الإسلام قدماء المصريين ، ويتمثل ذلك فى رسومهم ، وطقوسهم ، حول الدار الآخرة كما أقر ذلك فلاسفة اليونان ، حتى إن سقراط لم يجزع من الموت عندما شرب السم بل كان يلاطف أصحابه ويمازحهم وهو ينتظر الموت ، ويقول لهم إن فارقتكم فسأكون عند قوم صالحين ويعدد أساتذة من الذين ماتوا قبله ، ولما جاء الإسلام أعلن إن خروج الروح من الجسد هو قنطرة العبور إلى الدار الآخرة ، ويوم القيامة يعاد كما كان قال تعالى : ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾(2) .

ثبت فى الصحيح أنه لما انتهت معركة بدر وقف النبى ﷺ على قتلى المشركين وناداهم بأسمائهم **يا عمرو بن هشام ، يا فلان بن فلان ، قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ،**

---

(1) المؤمنون : 100 .
(2) الأنبياء : 104 .

فهل وجدتم ما عد ربكم حقا ؟ فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ما تخاطب من أموات قد جيفوا وفى رواية من أجساد لا أرواح فيها فقال ﷺ : « **والذى بعثنى بالحق ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يستطيعون جوابا** » لذلك اعتبر الإسلام قضية البعث بعد الموت ركنا من أركان الإيمان .

جاء عدى بن ربيعة إلى النبى ﷺوقال : حدثنى يا محمد عن يوم القيامة . . ومتى يكون ؟ وكيف يكون ؟ وكيف أمرها وحالها ؟ فأخبره النبى بذلك فقال : لو عانيت ذلك اليوم يا محمد لم أصدقك ولم أؤمن به ولا بك، أوَ يجمع الله العظام بعد الموت ؟ فنزل قوله تعالى : ﴿**أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَن لَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ۝ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ**﴾[1] .

أين مستقر الأرواح بعد الموت

الصحيح الذى أجمع عليه أهل السنة ، أن الروح إذا خرجت رفعتها الملائكة حتى توقفها بين يدى الله عز وجل فإن كانت صالحة قال سيروا بها وأروها مقعدها من الجنة ثم تأتى فى لحظات لتشاهد غسل البدن ، وتكفينه ، وحمله ، فإذا حمل على النعش فإنه يسمع كلام الناس ، فإذا دخل قبره دخلت الروح معه فإذا أحكم الغلق دخلت الروح الجسد وأقعد ذا روح وجسد ، فإذا انصرف الناس فإنه يسمع خصف نعالهم .

روى البخارى ومسلم أن الميت إذا دفن وتولى عنه أصحابه سمع قرع نعالهم ثم يدخل عليه الملكان ليسألانه عن ربه ، ودينه ، ونبيه ، ولو القى الميت فى قاع البحار أو أكلته السباع ، أو أحرق بالنيران ، أو حفر له جحر وأودع فيه وختم عليه بالرصاص لم يمنع ذلك من وصول الملائكة إليه للسؤال .

وبعد السؤال تنقسم الأرواح إلى : مرسلة ، ومحبوسة ، وعلوية ، وسفلية ، وليس لسعيدها وشقيها مستقر واحد ، فمنها أرواح فى أعلى عليين ، وهى أرواح الأنبياء ، وهم متفارقون فى منازلهم ، ومنها أرواح فى حواصل طير خضر تسرح فى الجنة ، وهم بعض الشهداء لأن من الشهداء من تحبس روحه عن دخول الجنة لـدين عليه كما روى أن رجلاً جاء إلى النبى ﷺ ،فقال : مالى إن قتلت فى سبيل الله ؟ ، قال : «**الجنة**» فلما ولى ،قال : « **إلا الذين سارنى به جبريل آنفا** » .

---

(1) القيامة :3، 4.

ومنهم من يكون على باب الجنة قال ﷺ : « **رأيت صاحبكم محبوسا على باب الجنة** » ومنهم من يكون محبوسا فى قبره كحديث صاحب الشملة ، ومنهم من يكون محبوسا في الأرض ، ومنها أرواح فى تنور الزناة وأرواح فى نهر الدم ، هذا بإيجاز شديد ونسأل الله السلامة من هول هذا المصير .

ما بعد خروج الروح

علينا أولاً :

إذا تحققنا من الوفاة بأن سكن القلب ، وكف عن النبض ، ومال الأنف ، وتغير اللون ، وبردت الأنامل ، وبالمعنى الطبى مات جذع المخ ، بالإضافة إلى هذه العلامات على الحاضرين أن يقوموا بتوجيهه سريعاً إلى القبلة ، وأن نضجعه على شقه الأيمن ، وأن يسجى ، وأن تخرج النساء من عنده ، فلا يكن بالمكان حائض ولا نفساء ، ولا جنب لأن الملائكة بالمكان ، ويجوز تقبيله لأن النبى ﷺ قبل عثمان بن مظعون وقبل أبوبكر رسول الله ﷺ .

ثانيـا :

علينا أن نقوم بتجهيزه من الغسل ، والكفن ، والصلاة عليه ثم قبره ، ولا يؤخر عن الدفن لأى سبب من الأسباب اللهم إلا إذا كان وليه غائبا ، والولى هو الابن ، أو الأب ، أو الأخ ، أو العم ، فلا يؤخر إطلاقاً إلا لهؤلاء وإذا كان الابن أو الأب موجوداً فلا داعى لحضور الباقين .

وأما ما يفعله الناس من بقاء الميت يوماً أو يومين فهذا عمل مخالف للشريعة ، لقول الرسول الكريم ﷺ : « **لا ينبغى لجثة مسلم أن تحبس بين ظهرى أهله** » ولا ينتظرون به قدوم أحد إلا الولى ، وروى الإمام الترمذى عن الإمام على كرم الله وجهه قال : قال لى رسول الله ﷺ : « **يا على ثلاث لا تؤخرها : الصلاة إذا أتت ، والجنازة إذا حضرت ، والأيِّم إذا وجدت كفئاً** » والأيم هى المرأة التى لا زوج لها .

وفى الغسل لا يدخل مع المغسل إلا من كان يعاونه ، ولا يدخل الأطفال ، ولا النساء ، ولا الجنب ، وعلى المغسل أن يكون به رحيما وعليه رفيقا ، وأن يعامله وكأنه حى فالميت يتأذى مما يتأذى منه الحى ، وأن يستر عورته وأن لا يفشى له سراً ،

قال ﷺ : « **ليغسل موتاكم المأمونون** » ولا يجوز أن تقلم أظافره أو أخذ شيء من شعره سواء كانت رأسه ، أو لحيته ، أو إبطه ، أو عانته ، أو شاربه ، فلقد فارق الدنيا بهذه الصفة فيجب أن يقابل ربه على هذه الصفة .

أخى المسلم. . . انظر الى ابن آدم وهو على خشبة الغسل لم يستطع أن يخلع ثيابه ، ولا أن يغطى عورته ، خلعوا ثيابه ، وكشفوا عورته ، وأجلسه المغسل ، وأقعده ، ونومه ، واستدار به يمينا وشمالاً ، وهو لا يستطيع أن يقول لا ، ثم ينادي عليه المنادى من قبل الله عز وجل : يا ابن آدم أين جسدك القوى ما أضعفك ؟ أين لسانك الفصيح ما أسكتك ؟ أين بصرك الحاد ما أعماك ؟ أين أذنك السماعة ما أصمك ؟ أين ريحك الطيب ما غيرك ؟ فإذا وضع فى القبر نادى المنادى يا ابن آدم أجمعت الدنيا أم الدنيا جمعتك ؟ أتركت الدنيا أم الدنيا تركتك ؟ يا بن آدم خرجت من التراب وإلى التراب عدت فإذا أحكم عليه الغلق وانصرف الناس ناداه الملك العلام : يا ابن آدم رجعوا وتركوك ، وفى التراب دفنوك ، ولو ظلوا معك ما نفعوك ، ولم يبق لك إلا أنا ، وأنا الحى الذى لا أموت .

أخى المسلم . . . تذكر فإن الذكرى تنفع المؤمن ، تذكر هذ الساعة ، تذكرها وأنت بكامل قوتك ، تذكرها وأنت بكامل صحتك . . تذكرها وأنت بجاهك وسلطانك تذكرها ليوم لا ينفع فيه مال ولا ولد . . كم تساوى الدنيا ؟؟؟

أين فاروق ؟ أين عبد الناصر ؟ أين طاغية الألمان هتلر ؟ أين طاغية فرنسا نابليون ؟ أين طاغية إيطاليا موسوليني ؟ الذى أعلن الإباحية وأظهر الفاشية .

أين الملوك التـى كانت مسـلطنة	**حتى سقاها بكأس الموت نبنيها**
لا تركـنن إلى الدنيـا وزينـتهـا	**فالموت لا شك يفنـينا ويفنـيها**
واعمل لدار غدا رضـوان خازنها	**والجار أحمد والرحمـن ناشـيها**
قصـورها ذهـب والمسك طينتها	**والزعفران حشيش نابـت فيـها**

المرحلة الأخيرة : القبــر

قديما قال العارفون : الموت كأس وكل الناس شاربه ، والقرب باب وكل الناس داخله ، والجاهلون قالوا : إن الدنيا ما هى إلا أرحام تدفع ، وقبور تبلع ، وبينهما لهو ولعب وزينة ، والقبر هو أول منازل الآخرة فإن نجا منه صاحبه فما بعده أيسر منه .

شروط ومواصفات القبر

والقبر له شروط معينة :

الأول :

إما أن تكون الأرض صلبة ، وجافة ، وإما أن تكون رطبة أو سبخة ومنسوب المياة الجوفية فيها مرتفع ، فإن كانت الأرض صلبة وجافة ، فالحفر عند الإمام أبى حنيفة قدر نصف قامة الرجل ، وعند الإمام الشافعى لابد أن يكون العمق قدر قامة الرجل ، قال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴾ [1] أى جعل له قبرًا فى الأرض إكراما له ولم يجعله على ظهرها وعلى هذا فالدور الثانى فى المقابر غير مقبول شرعًا ، اللهم إذا ضاقت الأرض ولن نجد غير هذا .

الثانى :

ألا يرتفع عن الأرض إلا مقدار شبر واحد حتى يعرف . . يقول الإمام على كرم الله وجهه لأحد أصحابه : ألا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله ﷺ . . ألا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً عالياً إلا سويته .

الثالث :

أن يكون بالطوب الأخضر ولا يجصص ولا يوضع فيه الأسمنت فعن جابر رضي الله عنه ، قال : نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر ، وأن يقعد عليه ، وأن يبنى عليه ولفظه عند الترمذى : نهى أن تجصص القبور ، وأن يبنى عليها ، وأن توطأ ، وحمل الجمهور النهى على الكراهة فقط ، وحمله ابن حزم على التحريم . .

---

(1) عبس : 21.

والحكمة فى ذلك أن القبر للفناء وليس للبقاء ويجب أن يكون عظة والتجصص للزينة ، ولا داعى لها ، وإن كانت الأرض ، رخوة ومنسوب المياة فيها عاليا جاز أن يجصص القبر ، وجاز دفن الميت فى تابوت بلا كراهة .

حكم الكتابة على القبر

ويجوز الكتابة على القبر وللعلماء فيها أقوال : مذهب الحنابلة كراهة الكتابة سواء كانت قرآنًا أو غير قرآن ووافقهم الشافعية إلا أنهم أجازوا إذا كان القبر لعالم صالح فيجوز كتابة اسمه عليه للعظة والعبرة أما المالكية فقالوا : هى حرام سواء كانت قرآنًا أو غيره وتكره كراهة تحريمية عند الإمام أبى حنيفة وقال ابن حزم : إذا نقش اسمه فى حجر لم تكره عندنا والله أعلم .



الباب الثامن
التـــركـــات

هذا المبحث يتضمن العناصر الآتية:

- معنى التركة .
- الحقوق المتعلقة بالتركة من المنظور الفقهي .
- الحقوق العينية - تجهيز الميت - قضاء الديون .
- تنفيذ الوصايا - حق الورثة .
- التركة من منظور الترغيب والترهيب .
- هل جمعت من حلال أم من حرام ؟ - موقف الورثة لو كانوا يعلمون أنها جمعت من حرام .
- من الذي يتولى تقسيم التركة ؟
- مؤتمر المرأة بالقاهرة عام (1999) م .
- تفضيل بعض الأولاد على بعض - جواز التفضيل .

التركـــــات

بعد أن تكلمنا عن زيارة المريض وآداب الزيارة ، وما يجب على الزائر فعله ثم تكلمنا عن الروح ، وعن معناها فى القرآن الكريم ، وعن حياتها بعد الموت ، ومستقرها بعد خروجها من الجسد ، ثم تكلمنا عن القبر وصفته الشرعية ، وكيف يبنى ، . . . نتكلم الآن عن التركة ، وعن الحقوق المتعلقة بها ، وكيف تقسم ؟ ومن الذى يتولى تقسيمها ؟

فما هى التركة ؟

التـــركـــة :

كل ما تركه الميت من مال ، أو عقار ، أو أطيان ، غير متعلق بهذه الأموال حق للغير ، ويقول الشيخ محمد أبو زهرة[1] التركة عند جمهور العلماء هى كل ما كان مملوكاً للشخص من أموال ، ومنافع ، وحقوق تتصل بإدارة هذه الأموال ، إلا ما كان ملاحظًا فيه الناحية الشخصية كالوظيفة ، والولاية ، أما المنافع فهى فى الحقيقة أموال مُقوَّمه .

فمن استأجر عينا فقد ملك منافعها ، وهى أموال فتنقل إلى الورثة وكذلك خيار الشرط وخيار الرؤية والشفعة كل ذلك يورث لقول الرسول الكريم ﷺ : « **من ترك مالاً أو حقًا فلورثته** » .

الحقوق المتعلقة بالتركة من المنظور الفقهى

الحقوق المتعلقة بالتركة خمسة وهى :

(1) الحقوق العينية .

(2) تجهيز الميت .

(3) قضاء ديونه

(4) تنفيذ وصاياه

---

(1) كتاب أحكام التركات والمواريث بتصرف يسير .

(5) حق الورثة

(1) **فالحقوق العينية :**

هى التى تتعلق بعين الأموال التى يتركها المتوفى فأول المستحقين فى التركة من له حق متعلق ببعض من أعيانها كما لو اشترى إنسان شيئا ثم مات قبل تسلمه ودفع ثمنه ففى هذه الحالة يكون للورثة الحق فى إبقاء تلك الديون من أموال التركة واستخلاص الأعيان المحبوسة وإلا فلصاحب العين بيع العين التى تعلق بها حقه ليستوفيه من ثمنها فهو أولى من غيره لوضع يده عليها .

(2) **تجهيز الميت**

وهو ما يحتاجه الميت من ساعة موته إلى ساعة قبره من نفقات الغسل ، والتكفين ، والتقبير وأجره النقل إن كان ، ويدخل فى التجهيز أجرة السرادق الذى يتجمع منه المشيعون للجنازة والذى يقيهم لفح الشمس الحارقة أيام الصيف وبرد الشتاء فى أيام الشتاء دون إسراف ، ولا تقتير وما زاد عن ذلك فهو من البدع المستحدثة ومن فعله فهو الضامن له فإن كان وارثاً يحسب من نصيبه فى التركه ، وإن كان أجنبيا فهو متبرع ، ولا يلزم الورثة منه شىء ، وللدائنين حق الاعتراض على هذا العمل إن كانت التركة لا تفى بحقوقهم .

والتجهيز مقدم على كل الحقو المتعلقة بالتركة ، فهو مقدم على الديون ، والوصايا ، وحق الورثة ، لما رواه البخارى ومسلم من قوله ﷺ فى المحرم الذى وقصته الناقة فمات (كفنوه فى ثوبيه) ولم يسأل هل عليه دين أم لا ؟ ولأن التجهيز للميت بمثابة اللباس للحى ، والمدين الحى لا يباع ما عليه من الثياب لقضاء ديونه .

(3) **قضاء ديونه**

الدين هو ما وجب فى الذمة من أى طريق كان ، أو هو ما وجب فى الذمة بدلاً عن شىء آخر على سبيل المعاوضة ، والدين هَمٌّ بالليل ومذلة بالنهار ، وحامل الدين كحامل الصخر لا يستريح إلا إذا رماه ، وحامل الدين لا يستريح إلا إذا أداه

يقول الحكيم يوصى ولده : يا بنى لقد ذقت الطيبات كلها فلم أجد أطيب من

العافية . . وحملت الصخر والحديد فلم أجد أثقل من الدين ، وتجرعت المرارة كلها فلم أجد من أمر من الحاجة إلى الناس ويوم القيامة يحبس بعيداً عن الجنة فلا يدخلها حتى يؤدى ما عليه ولو كان شهيداً .

جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله مالى إن قتلت فى سبيل الله ؟ قال : الجنة فلما ولى قال ﷺ : « **إلا الذين سارنى به جبريل آنفا** » .

وقد ثبت أنه ﷺ كان لا يصلى على المدين فإذا حضر الميت يقول : هل على صاحبكم دين ؟ فإن قالوا : نعم قال : « **صلوا عليه** »(1) .

والدين إما أن يكون دينا لله تعالى كالزكوات ، والكفارات ، والنذور ، وإما أن يكون دينا للعباد .

فإن كان لله عز وجل فقد إختلف فيه العلماء . . قال الإمام أبو حنيفة : ديون الله تعالى ديون مجازية باعتبار ما كان فهى تسقط بالموت إذا لم يوصى بها ، ولأنها فى معنى العبادة والعبادة تسقط بالموت ، وليس معنى هذا زوال كل أثر لهذا التقصير وذاك الإهمال ، بل إن سقوطها دنيويا فقط ، أما الحكم الاخروى فهو آثم بهذا الترك الواجب عليه وأمره إلى الله تعالى ، أما جمهور الفقهاء فقالوا : إن هذا الدين لا يسقط بالموت لأنه حق ككل الحقوق ، فهو حق واجب ومتعلق بالتركة ، ويتقدم الوفاء به على الوصايا والمواريث .

ويقول ابن قدامة فى كتابه (المغنى) فى باب الزكاة : (والزكاة حق واجب تصح الوصية به فلا تسقط بالموت لأنها حق مالى لا يسقط بموت من هو عليه الدين بخلاف الصلاة والصوم)(2) .

أما إذا كان الدين للعباد فلا خلاف فى قضائه ، وعلى الفور ، حتى لا يحبس بعيداً عن الجنة .

قال ﷺ : « **نفس المؤمن مُرتهنة فى قبره بدَيْنه إلى أن يقضى عنه** » فإن هذا الحديث

---

(1) راجع بحثنا عن الزكاة فى مجلة نور الإسلام، العدد الخامس .

(2) فقه الزكاة، للدكتور محفوظ إبراهيم فرج ص 42 .

يقتضى التعجيل بقضاء الدين فكًا لهذه النفس المرهونة وذلك يقتضى سقوط الأصل تبرئَةً لذمته والدين مقدم على الوصية لما صح أن رسول الله ﷺ قال : « **الدَّيْن قبل الوصية** » ولما روى عن على ـ كرم الله وجهه ـ أنه قال : رأيت رسول الله بدأ بالدين . . . وأما تقديم الوصية على الدين فى قوله تعالى : ﴿**مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ**﴾ (1) ، فلأ ن الوصية تبرع من الموصى : وقد تضنُّ الورثة بأدائه ، فحثهم ، ولفت أنظارهم إلى أداء ما هو مظنة إهمالهم له ، بخلاف الدَّين فى ذلك لأنه مستحق بعوض .

(1) تنفيذ الوصايا :

الوصية : هى تصرف فى التركة ، ولكنه مضاف إلى ما بعد الموت ، وهى مشروعة لأن النبى ﷺ قال : « **إن الله تصدق عليكم بثلث أموالكم عند وفاتكم زيادة فى حسناتكم ليجعلها لكم زيادة فى أعمالكم** » وهى جائزة فى ثلث المال من غير توقف على إجازة الورثة ، والأصل فى ذلك ما روى عن سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه أنه قال حينما زاره الرسول ﷺ وهو مريض ، فقال : يا رسول الله قد بلغ بى الوجع ما ترى ، وأنا ذو مال ولا يرثنى إلا ابنة ، أفأتصدق بثلثى مالى؟ قال : « **لا** » ، قال : فالشطر يا رسول الله ؟ ، قال : « **لا** » قال : فالثلث ؟ ، قال : «**الثلث ، والثلث كثير إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم يتكففون الناس** » .

والوصية بنوعيها اختيارية وإجبارية مبسوطة فى كتب الفقة لمن أراد الرجوع إليها .

التركة من المنظور المدينى « بين حِلها وحرمتها »

تكلمنا عن التركة من المنظور الفقهى والقانونى فعرفناها وبيَّنا الحقوق المتعلقة بها من الحقوق العينية وغيرها ولم نتكلم عن مصدرها ، ومنابعها وروافدها كيف جمعت ؟ ومن أين جمعت ؟ هل جاءت عن طرق شرعية ؟ أم عن طرق السلب والنهب والغصب والسرقة ؟ هل تكونت من حلال أم من حرام ؟ وما موقف الورثة لو كانوا يعلمون أنها جمعت من حرام ؟

---

(1) النساء : 11

ما معنى التركة ؟

جاء فى معجم ألفاظ القرآن الكريم الذى أصدره المجمع اللغوى : أن التركة «مال » لأن مدلول المال يشمل كل ما له منفعة مباحة شرعاً . . من ذهب ، وفضة وعقار ، وأطيان، وحيوان ، وثمار ، وآلات ، وإذا كانت التركة مالاً فالمال فى الحقيقة هو مال الله ، وأنه وديعة لديهم ، وإضافته إليهم إضافة مجازية ، قال تعالى ﴿**وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ**﴾ (1) وقال تعالى : ﴿**وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ**﴾ الآية (2) .

وبمقتضى هذه الحقيقة كان الواجب على الناس ، أن يقوموا على هذه الخلافة قيامًا أمينًا ، فلا يجمع هذا المال إلا فيما أحله الله ، ولا ينفق إلا فيما أراده الله ، ولقد دعا الإسلام إلى تملكه ، وحيازته ، والبحث عنه عن طريق العمل المشروع والكسب الحلال ، وبين أن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة ورزق الله تعالى لا يهبط على القاعدين والمتواكلين .

كما حدثنا القرآن الكريم فى كثير من آياته عن المال ، وجمع المال ، والقضايا المتعلقة بالمال ، من الكسب المشروع واللامشروع وأفاضت السنة النبوية الشريفة فى الحديث عن الكسب الحلال ، وعمل اليد ، وجمع المال من منابعه الشرعية ، وقنواته الشرعية ، وأخذت فى ذلك طرائق قددًا ، فمرة بأسلوب التحذير والتخويف ، ومرة بأسلوب الترغيب والترهيب ، وثالثة ، ورابعة فى تذكير الناس دائمًا بأن المال فى الحقيقة هو مال الله حتى لا ينسى الإنسان ويجمع المال من هنا وهناك ، ويتسلط عليه شيطان الهوى فتصبح الدنيا فى نظره درهم ودينار .

أرى طالب الدنيا وإن طال عمره ـــ ونال من الدنيا سروراً وأنعما
كبانٍ بنى بنيانه فأقامه ـــ فلما استوى ما قد بناه تهدَّما

وعما قريب سيقضى نحبه ، ويتنعم بهذا المال غيره ، وفى دعاء نبى الله داود عليه السلام عظة وعبرة ، حيث يقول : « **اللهم إنى أسالك أربعا ،وأعوذ بك من أربع أسالك**

(1) النور : 33 .
(2) الحديد : 7 .

قلبًا خاشعًا ولسانًا ذاكراً ، وبدنًا صابراً ، وامرأةً لا تبغيه حوبًا ، وأعوذ بك من مال جمعته ثم تركته يكون وبالاً عَلىَّ فى قبرى ويتنعم به غيرى ، وأعوذ بك من ولد يكون سيداً عَلىَّ ، وأعوذ بك من جارالسوء إن رأى حسنة أخفاها ، وإن رأى سيئة أذاعها وأفشاها ، وأعوذ بك من امرأة تشيبنى قبل المشيب » .

ويسوق لنا الإسلام نُتَفاً من أخبار السابقين الذين جمعوه من هنا وهناك ولم يتحروا الدقة فى جمعه فطغوا وبغوا ، ونسوا الله والدار الآخرة فكيف كانت العاقبة ؟ وكيف كان المنقلب ؟ فنقول للذين يجمعون المال من الحرام والذين جعلوا الدنيا أكبر همهم ومبلغ علمهم ، فباعوا الآخرة بما فيها وأقبلوا على الدنيا وتنافسوا فيها ، نقول لهم ونذكرهم بقول رسول الله ﷺ : « **يأتى على الناس زمان لا يبالى المرء ما أخذ ، أمن الحلال أم من الحرام ، فإن ذلك لا تجاب لهم دعوة** »[1] .

وروى مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبًا ، وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين** » ، قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ** ﴾[2] ، وقال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ** ﴾[3] ثم ذكر « **الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء ، يقول : يارب ... يارب ، ومطعمه حرام ، ومشربه حرام وغُذّى بالحرام ، فأنى يستجاب له !!** » .

وقال أمير المؤمنين علىٌّ بن أبى طالب : « لا تتركن وراءك شيئاً من المال الحرام فإنك تاركه لأحد رجلين (ولدين) : إما لولد صالح فسعد بما شقيت به أنت ، وإما لولد عاص فكنت عوناً له على المعصية ، وليس أحد الولدين جديراً بأن تؤثره على نفسك ، ويوم القيامة تؤمر برد الحقوق لأصحابها ، وذلك بالحسنات والسيئات ، قال تعالى : ﴿ **وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ** ﴾[4] .

روى الإمام أحمد فى مسنده ، والطبرانى فى معجمه ، والحاكم فى مستدركه

---

(1) رواه البخارى بدون قوله : (**فإن ذلك لايجاب له دعوة**)
(2) المؤمنون : 51 .
(3) البقرة : 172 .
(4) فصلت : 46 .

عن عبد الله بن أنس رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **يحشر الناس يوم القيامة حفاةً عراةً غُرلاً بُهماً ، ثم يناديهم ربهم بصوت يسمعه من قرب كما يسمعه من بعد يقول : أنا الملك الديان ، لا ينبغى لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة أو أحد من أهل النار أن يدخل النار ، وعنده حق حتى أقضيه منه ، حتى اللطمة فما فوقها ولا يظلم ربك أحداً** » قلنا : يا رسول الله وإنما ناتى حفاة عراة ؟ فقال ﷺ : «**بالحسنات والسيئات**» ثم قرأ ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾[1] .

موقف الورثة لو كانوا يعلمون أنها جمعت من حرام

هذا بالنسبة للتركة ، فهى إما أن تكون جمعت من حلال أو جمعت من حرام ، والكلام يدور على فرض أنها من حرام ، فما موقف الورثة منها إذا كان الورثة على علم بأن مورِّثهم جمع تركته عن طريق السلب ، والنهب ، والسرقة ، والغصب ، أو عن إحدى هذه الطرق ؟ وهم يعلمون أصحاب هذه الحقوق ، فواجبٌ على الورثة أن يردوا الحقوق لأصحابها كاملة ، وإلا فهم شركاء مع مورِّثهم فى الإثم ، كمن يعلم أن فلانًا سرق سلعة معينة من بيت فلان ، ثم اشتراها منه فهو والسارق شريكان فى الإثم ، للأسباب الآتية :

أ) أعانه على السرقة .

ب) يسَّر له الأمر .

ج) فتح له الباب وأعطاه الأمان .

د) صرف البضاعة المسروقة .

والله عَزَّ وجل يجازى المسىء بإساءته ، ويكافىء المحسن على إحسانه ، وما ربك بظلام للعبيد ، وإن كانوا يعلمون أن بعض التركة جاء من أكل أموال الناس بالباطل ، ولكنهم لا يعلمون أصحاب هذه الحقوق ، فعليهم أن يخرجوا مقداراً من المال يغلب على ظنهم أنه يساوى المشتبه فيه ويتصدقون به على الفقراء والمساكين حتى يكون طُهرة لهذا المال ، وبذلك تبرأ ذمتهم أمام الله عَزَّ وجل ،

---

(1) فصلت : 46.

ثم يقتسمون التركة فيما بعد .

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، قال : قال رسول ﷺ « **لا يكسب عبداً مالاً حرامًا فيتصدق به لا يقبل منه ، ولا ينفق منه فلا يُبارك له فيه ، ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار ، إن الله لا يمحو السيىء بالسيىء ، ولكن يمحو السيىء بالحسن ، وإن الخبيث لا يمحو الخبيث** » [1] .

معنى الحديث : أن الحرام إذا دخل البيت لوَّث البيت كله ، فلو تصدق من هذا المال لا تقبل منه الصدقة ، ولو أنفق هذا المال حتى على ولده لا يبارك له فيه ، ولو زكَّى ، وصلَّى ، وحَجَّ ، ردَّ الله عليه ذلك ، وإذا فارق بالموت كان هذا المال زاده إلى النار ، فقد قال ﷺ : « **سيأتى على الناس زمان لا يبالى المرء ما أخذ** » إذًا على الإنسان أن يتحرى الدقة فى جمع المال ، وأن يترك الحلال مخافة الحرام ، وهذه درجة الصادقين مع رب العالمين .

كيف تقسم التركة ؟ ومن الذى يتولى تقسيمها ؟

لما جاء الإسلام أبطل ما كان مألوفاً لدى العرب حول التركة فقد كانوا لا يعطون التركه إلا لمن كان يحمل السلاح ويحمى العشيرة ، فلا ترث النساء ، ولا الأطفال ويضع الابن الأكبر يده على التركة فيعطى من يشاء ، ويحرم من يشاء أو يتحالف الرجل مع صاحبه بأن يقول له : دمى دمك ، وهدمى هدمك ، وترثنى وأرثك وتطلب بى وأطلب بك ، فإذا تعاهدا على هذا الوجه فأيهما مات قبل صاحبه كان للحى منهما ما اشترط ، أو يتبنى الرجل ولد غيره وينسبه إليه دون ابنه من النسب ، فإذا مات الرجل ورثه الابن المتبَنَّى .

مثال ذلك

لما مات أوس بن ثابت الأنصارى وترك زوجة وثلاث بنات ، جاء ابنا عمه وأخذا المال كله ، فذهبت امرأة أوس إلى النبى ﷺ وقصَّت عليه القصة ، فدعاهما رسول الله ﷺ فقالا : يا رسول الله إن البنت لا تأخذ شيئًا من الميراث لأنها لا تركب الفرس ، ولا تحمى الديار ، ولا تزود عن الوطن ، ولا تغير على الأعداء

(1) رواه أحمد والطبرانى وغيرهما من رجالات الحديث النبوى الشريف .

يا رسول الله لا يرث إلا من كان طاعنًا بالرمح ، أو ضارباً بالسيف ، أو حاز الغنيمة فينزل القرآن الكريم فيغيِّر هذه المفاهيم البالية وتنزل آيات المواريث تبين من الذى يرث ومن الذى لا يرث ، كما تحدد الأنصبة ، فهناك نصفٌ ، وربعٌ ، وثمنٌ ، وسدسٌ ، وثلثٌ ، وثلثانٌ ، فمن الذى حدد هذه الأنصبة ؟ ومن الذى شرعها ؟ **إنه هو الله رب العالمين .**

المثال الثانى

لما مات سعد بن الربيع جاء أخوه وأخذ المال كله ، فذهبت زوجته ، إلى رسول الله ﷺ فقالت : يارسول الله إن سعداً هلك ولم يترك إلا ابنتيه وأخاه فجاء أخوه وأخذ التركة كلها ولم يترك لى وبناتى شيئاً وإنما تنكح النساء على أموالهن يعنى أن البنت ترغب فى الزواج إذا كانت ذات مال ، فإن لم تكن فلتكن ذات جمال ، فإن لم تكن فلتكن ذات حسب ونسب ، فإن فقدت البنت هذه الصفات فقليل خطابها قليل من يطرق بابها ومن لليتيمة غير مالها وجمالها ؟! فقال الرسول الكريم : **(ادع لى أخاه)** فلما جاء قال له : **(ادفع للبنتين الثلثين وللزوجة الثمن ، وما بقى فهو لك)** وبذلك أراد ربك إلا يترك أمر التركة إلى آراء أصحابها فتولى تقسيمها ، وتوزيعها ، وتجديد أنصبتها ، ولم يترك هذا لنبى ، أو ولى ، أو حاكم أيا كان ذلك صونا لعلاقات الود بين أفرادها ، ومنعاً لحقد الوارثين ، ومراعاة للعدالة ، وقطعاً لدابر النزاع ، خاصة وأن بعض الورثة ينظر إلى التركة وكأنها مغنم يحاول أن يستولى عليها ويختلق الاسباب والمسببات ليحل لنفسه ما حرمه الله عز وجل وربما يؤدى ذلك إلى المشاحنات ، والمعارك ، والمحاكم ، وتحدث القطيعة بين الإخوة ، ولو عرف كل واحد ماله وما عليه ، ورضى بقسمة الله تعالى لاستراح وأراح ، وعاش الجميع إخوة متحابين ، وفى هذا التقسيم بيان للناس ، وأن الخروج عليه تمرد على النظام الآلهى ، وإعلان تحد لله ورسوله ، والله عز وجل يتوعد المخالفين بقوله عقب آيات المواريث ، قال تعالى ﴿ **تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٣) وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ** ﴾(1) .

(1) النساء : 13، 14 .

مؤتمر المرأة بالقاهرة عام (1999) م

فى عام (1999) أقام المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة مؤتمرا للمرأة تحت اسم (مائة عام على تحرير المرأة) بمناسبة مرور مائة عام على صدور كتاب تحرير المرأة لقاسم أمين وفى هذا المؤتمر طالبت المرأة بمساواتها بالرجل فى كل شىء حتى فى الميراث .

ووقفت إحدى السيدات المسترجلات من الأردن واسمها (زليخة أبو ريشة) لتعلن بكل بجاحة أن نظام الإسلام فى الميراث يجب أن يتغير لأن الدنيا تغيرت فالمرأة اليوم تعمل وتحقق عائداً إقتصادياً مثل الرجل تماماً بتمام كما أنها أوصت أبناءها بتقسيم ميراثها بعد وفاتها بالمساواة بين الولد والبنت) [1] .

ومن المؤسف حقا أن بعض الدول استجابت لنداء النساء المسترجلات وللنسائيين من الرجال فقضت بمساواة المرأة بالرجل فى الميراث مثل تركيا، والعراق، تونس، والبقية تأتى و . . . ﴿ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾[2] .

تفضيل بعض الأولاد على بعض

الولد هبة الله لك . . . منحة مُنحت لك . . . نفحة من نفحات ذى الجلال والإكرام ، والأولاد هم أمل الأمة ورجاؤها ، هم حاضرها ومستقبلها ، دخل الأحنف بن قيس على أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان وكان معاوية بحانًا عن كل ما يسر ، فقال : يا أبا بحر ما تقول فى الولد ؟ قال : يا أمير المؤمنين « هم ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم أرض ذليلة ، وسماء ظليلة ، فإن طلبوا فأعطهم ، وإن غضبوا فأرضهم ولا تكن عليهم ثقلاً ثقيلاً فيملوا حياتك ويودوا وفاتك ، ويكرهوا قربك » .

قيل لامرأة من العرب : أى أولادك أحب إليك قال : الصغير حتى يكبر والمريض حتى يبرأ ، والغائب حتى يعود ، قيل : فمن الذى يعيش فى خاطرك ؟ قالت : الغائب فى أرض لا أعلمها ، قيل : فمن تفضلين بالأعطية ؟ قالت : لا

---

(1) كتاب مؤتمرات المرأة لأبى العزائم .

(2) النجم : 58 .

(3) التغابن : 14 .

عطاء بعد عطاء الله ، وعطاء الله لا يحتاج إلى ترقيع .

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

والولد كما هو نعمة قد يكون نقمة ، قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾[3] .

من أجل ذلك أمرنا الإسلام أن نسوى بينهم ، وأن نعدل بينهم ، حتى فى النظرة والقبلة ولا يجوز تفضيل أحد منهم على الآخر لأن ذلك يبذر بذور الفتنة والفرقة بينهم ولا يجنى إلا ثمار الحق والكراهية بينهم . . قال رسول الله ﷺ : « **اتقوا الله واعدلوا فى أولادكم** » وقال ﷺ : « **سووا بين أولادكم حتى فى النظرة والقبلة** » .

وروت لنا كتب السنة أن عمرة بنت رواحة طلبت من زوجها أن يعطى ولدها النعمان بن بشير عطية ، وأن يهب له شيئاً ، فالتوى بها سنة « أى تأخر فى طلبها سنة » ثم أجابها وأعطى للولد عطية ، ولكن الزوجة طلبت من زوجها أن يشهد رسول الله على هذ الأعطية ، فذهب الرجل إلى رسول الله ﷺ وقال له : يا رسول الله إن أم هذا الغلام أمرتنى أن أخص هذا الولد بشيء وقد فعلت ، فأبت إلا أن أشهدك على هذا ، فقال الرسول ﷺ : « **أكل ولدك أعطيتهم ؟** » قال : لا ، قال : «**اذهب فأشهد على هذا غير فإنى لا أشهد على جور ، اتقوا الله واعدلوا فى أولادكم ،ألا يسرك أن يكونوا لك فى البر سواء؟** » قال : بلى يا رسول الله [1] .

جواز التفضيل :

الإسلام يسعى دائما إلى ترابط الأسرة ، والحفاظ على كيانها ، لذلك لا يجب المفاضلة بين الأولاد ، ويكره التفرقة بينهم ، لأ ن ذلك يفتح أبواب الحقد والحسد ، والعداوة ويؤجج القلوب ، ويوغر الصدور ، وربما يؤدى ذلك إلى الخلافات ، والمشاحنات ، ومع كراهية الإسلام الشديدة للمفاضلة بين الأولاد إلا أنه أباحها فى بعض الحالات .

---

(1) متفق عليه .

ذكر ابن حجر فى فتح البارح روايته عن الإمام أحمد بن حنبل : بجواز التفاضل بين الأولاد إن كان له سبب كأن يحتاج لزمانته (أى المرض المزمن) أو لدين عجز عنه ، روى أن أحد الصالحين لما أحس بدنو أجله قسم تركته بين أولاده فأعطى البنت ضعف ما أعطى إخوانها الذكور فغضب الأولاد وذهبوا إلى عالم المدينة وأخبروه بما فعل أبوهم فجاء إليه عالم المدينة قائلاً له : ما حملك على ما صنعت ؟ قال الوالد : انتظر حتى ترى ، فأدخله على البنت فإذا هى عمياء ، مقعدة ، ثم قال أبوها بألم وحسرة : من الذى يتزوجها ؟ ، قال : لا أحد ، قال الوالد : هل أكون ظالماً إذا وهبت لها من مالى ما تصون به عرضها ، وتحمى شرفها ، وتستغنى به عن أخيها وأختها ، فقال له : نعم ما صنعت هذا ، والله هو العدل الذى أمرنا به رب العالمين .

وصلَّى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

المـراجـــع

(1) القرآن الكريم .

(2) أمهـات كتـب التفسيـر : لابـن كثير ، القرطبى ، الفخر الرازى ، الكشاف ، فى ظلال القران ، المنتخب فى التفسير ، تفسير آيات الأحكام .

(3) كتب الأحاديث : البخارى ومسلم ، سنن النسائى ، أبو داود السجستانى ، الترمذى ، ابن ماجه ، الترغيب والترهيب ، رياض الصالحين ، اللؤلؤ والمرجان (فيما اتفق عليه الشيخان) .

(4) مختار الصحاح ، المعجم الوجيز .

(5) البداية والنهاية ، لابن كثير .

(6)أحسن الكلام فى الفتاوى والأحكام ، للشيخ/ عطية صقر .

(7) السيرة التحليلية ، للدكتور / محمد أبو شهبة .

(8) فقه السنة ، للشيخ / سيد سابق .

(9) فقة الزكاة ، للدكتور/ يوسف القرضاوى .

(10) قذائف الحق ، للشيخ/ محمد الغزالى .

(11)قذائف الواحد القهار ، للشيخ/ بدوى محمد .

(12) بحوث وفتاوى إسلامية ، للإمام الأكبر الشيخ/ جاد الحق على جاد الحق .

(13) إحياء علوم الدين ، للإمام / الغزالى .

(14)الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف ، للدكتور / يوسف القرضاوى .

(15) أحكام المواريث ، للشيخ / محمد أبو زهرة .

(16) السلوك الاجتماعى فى الإسلام ، للشيخ / حسن أيوب .

(17) مجلة نور الإسلام : بحث فى موضوع الزكاة ، للمؤلف .

(18) مجلة نور الإسلام : مقال للمؤلف ، عن : الأمة الإسلامية بين ماضيها وحاضرها ، .

(19) الحق المرُّ ، للشيخ / الغزالى .

(20) مجلة المختار الإسلامى ، العدد 39 ، السنة السابعة .

(21) موقف الإسلام من الفن والعلم والفلسفة ، للدكتور / عبد الحليم محمود .

(22) مجلة منبر الإسلام ، العدد 9 ، السنة 25 ، مقال للدكتور / محمد جمال الدين الفندى ، ص 178 وما بعدها ، بتصريف يسير .



الفهرس

مطابع الصقر

تليفون : ٠١٥/٤١٣٧٧٧ - ٠١٥/٤١٢٥٥٥

فهـــرس الموضوعات